أوروبا

(١٨١٥ ـ ١٩١٩)

الأستاذ الدكتور
عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث
وعميد كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير ـ إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

أوروبـا

" انني لا أعرض عليكم أجرا ولا سكنا ولا مؤنا وانما
أعرض عليكم الجوع والظمأ والسير الاجباري والقتال
حتى الموت . فمن كان منكم يحب بلاده بقلبه لا بلسانه
وحده فليتبعني "

غاريبالدي

الفصل الاول

فكرة التنظيم الدولى قبل القرن التاسع عشر

الفصل الاول

فكرة التنظيم الدولى قبل القرن التاسع عشر

تشمل العلاقات الدولية السياسة الدولية ، و التنظيم و الادارة الدوليتين ،والقانون الدولى. والمقصود باصطلاح " العلاقات الدولية " تلك العلاقات القائمة بين الدول المختلفة ،وتنقسم بدورها الى قسمين : علاقات سلم وعلاقات حرب . ففى حالة الحرب فالعلاقة علاقة عداء ،أما فى وقت السلم فقد تظهر العلاقات السياسية . وفى العصور القديمة والوسطى لم يكن هناك تمثيل سياسى ،وانما التمثيل السياسى الدائم هو وليد العصور الحديثة ،ووليد نشوء القانون الدولى و تطوره وكانت العلاقات بين الدول تتم فى العصور القديمة عن طريق البعثات و السفارات ،وربما تبع هذه العلاقات السياسية عقد اتفاقات تجارية ،أما نظام القناصل والسفراء فهو من نتاج العصر الحديث . وفى واقع الامر لم تنشأ علاقات دولية منظمة الا فى الوقت الذى أصبح فيه للدولة وزراء للخارجية بمعنى أنه أصبح للدولة سياسة خارجية معينة .

ولقد عرف الفكر الغربى نهجين فى السياسة الخارجية منذ الثورة الفرنسية : النهج الايديولوجى و النهج

التحليلى . ويفترض الاول ان السياسات التى تصطفيها الدول تجاه العالم الخارجى ـ هى تعبيرات عن المعتقدات السياسية والاحتماعية والدينية السائدة ؛ فتصف السياسات الخارجية ديمقراطية واستبدادية و تحررية واشتراكيبة ومحبة للسلام أو عدوانية ،وهكذا ... ويفترض النهج الثانى ان للسياسة عدة مقومات منها تقاليد الدولة التاريخية وموقعها الجغرافى والمصلحة الوطنية وأهداف الامن وحاجاته ،فعلى المراقب الذى يريد ان يفهمالسياسة الخارحية ان يحيط بكل هذه المقومات وماهو اكثر منها .

وقد شهدت دراسة العلاقات الدولية رد فعل ضد المنهج الايديولوجى لانه يصور السياسة الخارحية وليدة السياسات الداخلية فيتجاهل عناصر الاستمرار فى السياسة الوطنية ويتناسى ان المتطلبات الموضوعية للمصلحة الوطنية تفرض قيودا على رجل الدولة الذى يتصدى لوضع السياسة الخارجية . أيا كانت نواياه وفلسفته الاحتماعية ونظرته الدينية فان هذا لايمكن ان يعميه عن مصالح أمته الاستراتيجية المنبعثة من وضعها الجغرافى و دورها الدولى ولايمكن ان تصرفه عن مراعاة هذا الصالح اذا أراد المحافظة على استقلال بلاده . وهكذا كونت الدول الكبرى سياستها من نتاج التفاعل بين وضعها الدولى المستمر

وبين تقاليدها وأنظمتها الدائمة وتابعت هذه السياسة لفترات طويلة من الزمن بالرغم مما تكون قد تعرضت له من تغيرات سياسية داخلية هامة . ويعنى هذا ان السياسة الخارجية تتطلب من صانعيها أن يراعوا ان المصالح التى يتعهدونها مصالح دائمة و تنظمها تسلسلية تجعل بعضها أقل أهمية من البعض الاخر . فهناك مصالح يجب الدفاع عنها بأى ثمن و مصالح تكون المحافظة عليها فى ظروف معينة ومصالح لايهم الدفاع عنها او المحافظة عليها .

وتهدف السياسة الخارجية لكل دولة عادة الى تحقيق احد هدفين : أما الاقناع واما الاخضاع . فان كانت تبغى الاقناع فوسيلتها الى ذلك هى الدبلوماسية والدعاية ذلك ان الدبلوماسية هى وسيلة اقناع الحكام ، أما الدعاية فهى سبيل اقناع الرأى العام . وان شاءت الاخضاع فطريقها الى ذلك هو القوة المسلحة ، والصورة القصوى لاستخدام القوة هى الحرب . وبذلك تتمثل الاساليب الكبرى لممارسة العلاقات السياسية الدولة فى : الدبلوماسية والدعاية والحرب . وتركز فى هذا المجال على توضيح لفظة الدبلوماسية Diplomatie - Diplomacy التى تطلق اصطلاحا على علم علاقات الدول الخارجية

وشؤونها الاجنبية . هذا هو مدلول الدبلوماسية الواسع ، اما مدلولها الضيق فهو فن التفاوض فيما بين الدول L'art des negciations Art of Negotiations وبالتالى فن التعامل الدولى ،وأساليب الدبلوماسية وغاياتها متنوعة متطورة ،ولقد كان ابرام المعاهدات بين الدول ولايزال فى طليعة هذه الاساليب . كما عرف تاريخ الدبلوماسية الحديثة نظام التحالف (الاحلاف) Le Systeme d'alliance - System of Alliances فى طليعة الوسائل الدبلوماسية ،فلقد كان ينظر له طوال القرن الثامن عشر باعتبار كبير تدعمه محرد فكرة الدفاع الطبيعى او قيام المصالح المشتركة او مجرد انتقال اسباب الخلاف بين المتعاقدين . فلقد كانت فرنسا - فى عهد فرنسوا الاول (١٥١٥ - ١٥٤٧) ومن بعده لاتتردد كلما اتاحت لها الظروف - فى الاستعانة بتركيا على النمسا واسبانيا .

ولقد أدى نظام التحالف والوفاق هذا بأوروبا الى لعظم النظم الدبلوماسية الحديثة شأنا ألا وهو نظام " التوازن الاوروبى " L'equilibre Europeen ذلك النظام الذى كان يهدف فى ظاهره الى حماية الدول الضعيفة من الدول القوية ،فلقد كان من مؤداه الاتعيسر

دولة ما على درجة من القوة تظهرها على الدول الاخـــرى
كلها أوبعضها مجتمعة فلا يغريها ذلك على التعـــــدى
والاستخفاف بسلام غيرها ، وقد عمل مؤتمر فينا على اعادة
التوازن الاوربى الى الصورة التى كان عليها قبل التوسع
النابليونى الى سلام دائم لاوروبا بعد حروب نابليـــون
الطويلة ، فقد كان العمل على تحقيق توازن القـــوى
Balance of Power فى صدارة موضوعات معظم المعاهدات
الدولية السياسية وغاياتها فى القرن الثامن عشـــر
والتاسع عشـر ، ولما كانت المشكلة الحالة فى العلاقـات
السياسية الدولية هى مشكلة القوة ،فان العلاج التقليدى
لمشكلة القوة جاء فى صورة " توازن القوى " ،و هكـــذا
فان سياسة توازن القوى تهدف اساسا الى حفظ الســـلام
او المساهمة فى العمل على اقرار حسن التفاهم الدولـــى
اذليس من مانع ان تقوم الحروب او ان تستخدم وسائـــل
الاكراه لتحقيق التوازن فى القوى او هى ـ على حد تعبير
المؤرخ ارنولد توينبـــى Arnold Toynbee
نظام فن الديناميكية السياسية يمارس حينما يربـــط
مجتمع نفسه بعدد من الدول المستقلة .

وقد أخذ مبدأ توازن القوى يلعب دورا لايستهان بـــه
فى السياسة الدولية منذ القرن السابع عشر و خاصـــة

منذ معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨. وقد أعلن للمرة الاولى في معاهدة آوترخت Utrecht عام ١٧١٣ بين اسبانيا وانجلترا ،ثم راح يتبوأ مكانه في الوثائق والمحادثات الدبلوماسية في فترة مؤتمر فيينا . ففي معاهدة باريس الموقعة في ٣٠ مايو عام ١٨١٤ جاء أن Une paix solide

fonde sur une juste repartition des forces

entre les puissances . وظل مبدأ توازن القوى بعد مؤتمر فيينا يعتبر قاعدة السلوك السياسي الكبير التي ينبغي على الدول التزامها بكل دقة ،فما كان لدولة ما أن تجرؤ على التنكر له ،ولاتكاد معاهدة من معاهدات الصلح التي أبرمت خلال القرن التاسع عشر تخلو من الاشارة الى ذلك المبدأ أساسا على أنه من بديهيات السياسة الدولية . بل ان الناظر في المعاهدات الكبرى التي أبرمت في تلك الفترة يلمس أنها جميعا قد اشتركت في العمل على تحقيق غاية واحدة هي ضمان التوازن . وفي سبيل تحقيق التوازن الاوروبي تمسكت اوربا بمبدأين يضيفان على التوازن الاستقرار الذى تسعى اليه وهما : مبدأ الشرعية La Principe de la legitimite و فكرة التضافر الاوروبي Le Concert Europeen

وقبل ان نتعرض بالبحث فى الوسائل التى انتهجتها اوروبا لتطبيق مبدأ توازن القوى خلال القرن التاسع عشر تنبغى الاشارة الى تطور التفكير فى انشاء منظمة دولية سياسية ذات اتجاه عالمى تختص بالعمل على حفظ الامن والسلام فى العالم و تجنب الحروب التى تسبب اضرارا بالغة للغالب والمغلوب على حد سواء(١) . وربما كان الفيلسوف الصينى كونفوشيوس Confucius (٥٥١ الى ٤٧٩ ق.م) هو أول من فكر فى انشاء هيئة تشترك فى عضويتها الدول للتعاون من اجل الصالح الدولى العام ، اذ جاء فى كتاب Li - Ki الصينى المقدس ، انه كان يرى انشاء اتحاد كبير Grand Union لتحقيق التعاون الدولى ولاستغلال ثروات البشرية لمصلحة جميع الدول . ومنذ أوائل القرن السابع عشر وقبل ان تنتهى حروب الثلاثين عاما ، بدأ بعض المفكرين فى اوروبا ينادون بضرورة انشاء هيئة دولية تقوم على حفظ السلام ، وتشجيع التعاون بين مختلف الدول . ومن أوائل من راودتهم هذه الفكرة الفرنسى آمريك كروشيه Emeric Cruce de Paris فقد نشر فى عام ١٦١٣ مشروعا بعنوان "Le nouveau Cynee, ou Discours d'Etat representant les occasions et moyens d'etablir une paix generale, et la liberte de commerce par tout le monde".

---

(1) انظر: S.J. Hemleben, Plans for World Peace Through Six Centuries, Chicago: Univ. of Chicago press, 1943.

وتنحصر الفكرة الاساسية فى هذا المشروع فى المناداة بانشاء جمعية تضم ممثلين دائمين لكفاة الدول ،بما فى ذلك الدول غير المسيحية مثل الدولة العثمانية واليابان، تجتمع فى مدينة معينة ،وتختص بالفصل فيما قد ينشأ بين الدول المختلفة من منازعات . ولما كان كروشيه يكره الحرب ،فقد استقصى فى كتابه أسبابها وحلل بواعثها وأرجعها الى أربعة عناصر :

١) رغبة بعض الدول فى اظهار شجاعتها لتخشى الدول بأسها

٢) محاولة الملوك والامراء ان يستردوا مافقدوا من اقاليم أو مدن .

٣) رغبة بعض الحكام او الامراء فى تمرين جيوشهم خوفا من ان يكون السلام سببا من أسباب فتور العزائم وتفشى الجبن بين أفرادها .

٤) كراهية الشعوب لبعضها بسبب التعصب الدينى .

كما نادى الدوق سلي de Sully وزير هنرى الرابع ملك فرنسا ،فى مذكراته المنشورة عام ١٦٣٨،بمشروع نسبه الى سيده Henri IV Le grand dessein du roi يهدف اساسا الى انشاء مجلس لاوروبا

Un conseil generäl de l'Europe

يتمتع ببعض الاختصاصات القضائية و الادارية للقيام بفض المنازعات الدولية بالطرق السلمية ،ومنع قيام الحروب وراى سلبى ان يتكون ذلك المجلس من العناصر التالية :

١) الدول ذات النظام الملكى الوراثى مثل : فرنسا وانجلترا و الدانمرك والسويد ،

٢) الدول التى تخضع لنظام ملكى مثل : الولايات البابوية ، والامبراطورية الرومانية المقدسة وبولندا بوهيميا ونابولى .

٣) الدول التى تخضع للنظام الجمهورى وهى : سويسرا والاراضى المنخفضة والبندقية وسردينيا والولايات الايطالية الشمالية .

وقد رأى المؤيدون لسلي أنه لو طال أجل الملك هنرى لمدة سنتين لتحقق مشروعه فعلا . ولكن دراسة المشروع تبين صعوبة تنفيذ مثل هذا المشروع الخيالى فى مثل الظروف التى كانت تمر بها اوروبا فى ذلك الوقت . ومهما كان الامر فلقد أبرز هذا المشروع أمرين لهما شأن كبير فى التنظيم الدولى و هما : اللامركزية والمساواة بين أعضاء التنظيم .

و نجد كذلك فى بعض كتابات هوجو جروسيوس Hugo Grotius,

المعروف بأبى القانون الدولى ،دعوة صريحة الى
عقد مؤتمرات دولية من الدول المسيحية لفض ماقد ينشأ
بينها من منازعات وخلافات ،وفقا لمبادىء العدل والانصاف
وكتب جروسيوس يقول :(١)

" It would be advantageous indeed in a degree necessary, to hold certain conferences of Christian powers, where t ose who have no interest at stake may settle the lisputes of others, and where in fact, steps may be taken to compel parties to accept peace on fair terms."

وقد ساعد على انتشار نظريات جروسيوس التى أثبتها
فى كتابه De Jure B:lli et Pacis عام ١٦٢٥م
وعلى قبولها فى ذلك الحين أنه أخذ فى بحثه مواضيع
القانون الدولى العام بنظريات كانت موضع احترام وقبول
المفكرين فى ذلك العصر .

و بعد مايقرب من ثلاث وعشرين عاما من ظهور أبحاث
جروسيوس ،قضت معاهدة وستفاليا على فكرة وجود رئيس اعلى
للشؤون الدولية وأحلت محلها فكرة وجود عائلةدولية
أعضاؤها دول مستقلة متساوية لاتخضع لاى رئيس وانما

---

(1) L.Claude, Jr., Swords into Plowshares, The Problems and progress of international organisation,N.Y., 1950, P. 23.

تربطها بعضها بالبعض المصالح المشتركة ووجوب اتباع قانون يسرى عليها جميعها • ولذلك تعتبر معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ النقطة التىابتدا منها القانون الدولى العام الحديث • ويتلخص اهم ماجاء فى هذه المعاهدة من تيارات فكرة حديثة فيما يلى :

١) كانت معاهدة وستفاليا أول موتمر اوروبى انعقد بمحض رضى الدول المشتركة فيه لتنظيم شوونها ولحل المنازعات والمشاكل الدولية التى كانت قائمة بينها فهى التى خلقت الجماعة الدولية وجعلت منها هيئة تشعر بوحدة المصلحة •

٢) سوت معاهدة وستفاليا بين الدول جميعا • الجمهورية منها والملكية ، الكاثوليكية والبروتستانتية ولو ان الوقت لم يكن قد حان بعد .لان يسوى بين الدول المسيحية و غيرالمسيحية • ونزعت عن الدول الاوروبية نير السيادة الدينية البابوية كذلك• و بذلك قضت على فكرة وجود رئيس أعلى يسيطر على الدول جميعا ،وهذا واضح من اشتراك الدول البروتستانتية و الدول الكاثوليكية فى هذا الموتمر على قدم المساواة •

٣) طبقت المعاهدة سياسة التوازن الاوروبى محافظة على السلم فى اوروبا ،ولكن لم يأت ذكر التوازن الدولى صراحة ضمن عبارات المعاهدة كما جاء فى معاهدة اوترخت التىتلتها ،وانما يتضح تطبيقها للنظرية مما قرره المؤتمر من استقلال ٣٥٥ دولة كانت تكون الامبراطورية الرومانية و من منع اتحاد المانيا مع النمسا . ولقد سيطرت فكرة التوازن الدولى - كما سبق ان اوضحت - على السياسة الدولية منذ ذلك الوقت ،وحتى قيام الثورة الفرنسية ،فهى أثارت حروب ذلك العصر وهى أول ما كان يناقش فيه عند انعقاد مؤتمرات الصلح .

٤) استبدلت معاهدة وستفاليا نهائيا نظام السفارات المستديمة بنظام السفارات المؤقته ،وكان هذا النظام الاخير هو المتبع الى ذلك الحين . وفى ايجاد السفارات المستديمة مايحكم الروابط بين الدول بعضها مع بعض ،ويؤكد استمرار التشاوروالتفاهم بينها فى المسائل الدولية .

ومن المشروعات الجديرة بالذكر فى مجال اقامة تنظيم دولى مشروع المفكر الانجليزى وليم بن William Penn وقد تعرض لشرحه فى مؤلف اصدره عام ١٦٩٢ تحت عنوان " An Essay Towards Present and Future Peace

of Europe" ويشبه هذا المشروع الى حد بعيد ،مشروع كروشيه السابق الاشارة اليه ،الا ان بن يرى تمثيل الدول فى الجمعية او المجلس المقترح بعدد من الممثلين يتناسب ومقدارالدخل القومى او التجارة الخارجية لكل منهـــــا وقد تضمن كتابه الاراء التالية :

١) أن يقوم بين الدول الاوروبية اتحاد مصدره الاخـــاء والحب المتبادل بين كافة الشعوب . ويتم ذلك بمنـع التنافس فى التسلح ،على آلا يكون هذا المنع ماســا بالشؤون الداخلية لاية دولة ،آو متعارضا مع سيادتها او ضارا باقتصادياتهـا .

٢) يقوم بمعاونة الاتحاد فى آداء هذه الرسالة برلمـان مؤلف من الدول الاوروبية يتولى وضع القواعد العادلـة التى يلزم الحكام بمراعاتها . ويتولى هذا البرلمان امر الفصل فى كل ماينشب من خلاف بين الدول ،وتصدر قراراته بأغلبية ثلاثة آرباع الاصوات .

٣) يتآلف هذا البرلمان من تسعين عضوا ،وتكون كل دولة ممثلة فيه بأعضاء حسب قوتها ،فيكون للامبراطوريـــة الالمانية اثنا عشر عضوا ،ولفرنسا عشرة آعضـــاء ولاسبانيا عشرة ،ولانجلترا ستة ،ولكل من السويـــد وهولنـــدا آربعة وهكـــذا.

٤) لم يذكر فى مشروعه شيئا عن الوسائل التى يجب اتخاذها ضد كل دولة لاتنفذ قرارات برلمانه المقترح واكتفى بأن تكون " قوة الراى العام " هى العامل القوى فى تنفيذ قرارات البرلمان .

ومن أجدر المشروعات بالاهتمام كذلك مشروع القس الفرنسى سان بيير Saint - Pierre المنشورعام ١٧١٣ تحت عنوان
Projet pour etablir la paix perpetuelle en Europe

ويرمى هذا المشروع الى منع الحروب ،ومحاولة حل المشاكل الدولية بالطرق السلميةعن طريق التوفيق او التحكيم وذلك بانشاء منظمة اوروبية تسمى Senat de l'Europe تقوم على تحقيق هذه الاهداف . وتمكينا لهذه المنظمة من أداء مهمتها ،اقترح المشروع تزويدها بقوة بوليس دولية تتكون من كتائب تمدها بها الدول الاعضاء لتعمل بعد وضعها تحت تصرف المنظمة وفقا لاوامر هذه الاخيرة وحدها – وواضح مافى هذا المشروع من ثورية وطموح لايتفقان البتة و ظروف المجتمع الدولى المعاصر لنشره ولقد اثبت سان بيير بلباقة ان توازن القوى لايمكن ان يؤدى الى استتباب السلام ،لان الدول غير متساوية ،ولذلك يكون كل توازن عرضة للاختلال بسبب مطامع

بعض الملوك او الامراء ، اوبسبب الانقلابات الداخليـــــة .
وليس السلام فى رايه وليد توازن القوى ،ولكنه على العكس
يتولد من عدم توازن القوى ، ويفسر هذه الفكرة تفسيـــرا
معناه ان تكون كفة الدول المحبة للسلام أرجح من كفـــة
الدول العدوانية ،وبهذا تتمكن الدول المحبة للســـلام
من رد أى عدوان يقع عليها . ولايتم ذلك الا باقامـــة
اتحاد بين الدول الاوروبيـــة .

ولايقل عن هذا المشروع فى الاهمية ماالقترحـــــه
الاقتصادى البريطانى الشهير جرمى بنتام Jeremy
Bentham فى كتاباته العديدة المنشورة خلال الفتـــرة
من ١٧٨٩ الى ١٨٢٨ من انشاء محكمة تحكيم ذات طابع سياسى
تتكون من ممثلين لكافة الدول تختص بالفصل فى كافـــة
ماينشأ بين أعضاء المجتمع الدولى من منازعات علـــى ان
يضمن تنفيذ قراراتها تعهد الدول الاعضاء سلفا بمقاطعـــة
أية دولة لاتستجيب القرارات الصادرة فى مواجهتهــــــا
بل وباستخدام القوة المسلحة ضدها اذا لم تجد المقاطعـــة
السياسية او الاقتصادية فى حملها على الخضوع . ومـــن
أهم ماتعرض له بنتام قضية السلام التى درسهافى كتابـــه
(١٧٩٣) Principles of international law
وجعل عنوان الباب الرابع فى هذا الكتاب " مشروع لســلام

عالمى دائم " A Plan for an universal and pexpetual peace واقترح بنتام لتحقيق هذا المشروع الخطوات التالية :

١) تخفيض تسليح كافة الدول .

٢) تحرير جميع المستعمرات وجلاء المستعمر عنها

٣) مكافحة المعاهدات السرية ،والدبلوماسية الخفية لانهما تعكران صفو السلام والحرية ،ولاتتفقان مع قضاياهما .

٤) تشجيع تبادل التجارة بين مختلف البلدان .

٥) انشاء محكمة عدل دولية تفصل فى الخصومات ،ولكن ليس لها أن تفرض عقوبات .

٦) تكوين مايسمى " ديت " أى هيئة دولية مكونة من نائبين عن كل دولة . وتكون المناقشات فى تلك الهيئة علنية ليكون الراى العام العالمى على علم بقضاياه ،وليدافع عن السلام والامن .

وفى عام ١٧٩٥ نشر الفيلسوف ايمانويل كنت Emmanuel Kant بحثا أسماه " Zum Ewigan Frieden " أى السلام الدائم . وقد وضع فيه مبادىء لحكم العلاقات بين الدول ،وذكر ان مراعاة هذه المبادىء يترتب عليها ابعاد احتمال نشوب الحرب . وتتمثل هذه المبادىء فى :

١) الغاء جميع المعاهدات او الاتفاقات الدولية التى تكون مشتملة على تحفظات او شروط يصح ان تكون نواة الحرب ،او تتضمن مشروع اقامة حرب مقبلة .

٢) لايجوز لاى دولة ان تتملك اقليما من اقاليم دولة اخرى ولو كان هذا التملك من طريق الهبة أو التبادل او الشراء .

٣) وجوب تسريح الجيوش المنظمة لان من شأنها الحط من قدر الانسان وكرامته .

٤) تحريم القروض الاجنبية نظرا لما تثيره من مشاكل وباعتبارها عقبة كبيرة فى طريق السلام الدائم.

٥) تحريم التدخل فى شؤون الدول الاخرى .

٦) منع المحاربين من استعمال وسائل غير مشروعه قد يترتب على استعمالها فقدان الثقة بعد انتهاء الحرب وعند عقد معاهدة السلام .

ومن دراسة المشروعات السابقة يتضح انها باستثناء مشروع " Cruce' يقتصر نطاقها على الدول الاوروبية ،ومن ثم فليس لها الطابع العالمى الذى يميز المنظمات الدولية فى الوقت الحاضر . كما يتضح أن هذه المشروعات كانت فى مجموعها تغلب عليها الصفة السياسية او الدينية اوكتبت تحت تأثير احداث سياسية معينة عاصرها كاتبوها ولذلك

فانه من الصعب الاخذ بفكرة وجود اى صلة تاريخية بين هذه المشروعات وبين المنظمات الدولية السياسية التى نجحت الدول فى اقامتها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فلم تتعد هذه المشروعات الدائرة النظرية التجريدية ولم تحدث أى تأثير فى سير الاحداث او تصرفات الدول على نحو يمكن معه القول بأنها كانت حلقة فى السلسلة الطويلة التى مهدت لقيام المنظمات الدولية السياسية ولم تقتصر المدرسة المثالية الخيالية فى عالم السياسة والعلاقات الدولية على المفكرين الاوروبيين ، بل ظهرت مشروعات مماثلة لها لدى فلاسفة المسلمين ومفكريهم فنشر ابو نصر الفارابى[1] فى منتصف القرن العاشر كتابه " آراء اهل المدينة الفاضلة " دعا فيه الى ضرورة اقامة اتحاد بين دول العالم . وقد أشار فيه الى مابين مختلف شعوب العالم من تضامن فقال : " ان الانسان لايمكن ان ينال الكمال الذى لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماع جماعة كثيرة متعاونة الافراد يقوم كل واحد منهم للآخر ببعض مايحتاج إليه فى قوامه . ثم قسم المجتمع الانسانى الى مجتمعات كاملة وغير كاملة ، وقسم

---

(١) ولد بمدينة فاراب احدى مدن البلاد التركية ، واستقر فى العراق ، ثم قدم الى حلب واتصل بسيف الدولة الحمدانى . ولقد تأثر الفارابى بجمهورية أفلاطون تأثيرا كبيرا ، ومات بدمشق عام ٩٥٠م .

الكاملة الى ثلاثة أنواع وهى : العظمى ، الوسطى ،والصغرى وعرف العظمى بأنها " اجتماعات الجماعة فى المعمورة " ثم قال : " والاجتماع الذى به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والامة التى تتعاون مدنها كلها على ماتنال به السعادة هى الامة الفاضلة . كذلك المعمورة الفاضلة انما تكون اذا كانت الامم التى قام فيها يتعاونون على بلوغ السعادة " وفى أواخر القرن التاسع عشر دعا الكواكبى (١٨٤٩ - ١٩٠٢) فى كتابه " أم القرى" " الى انشاء اتحاد بين الشعوب الاسلامية " وقد سماه الكواكبى " ام القرى " " لانه فرض ان هذه الآراء وضعت على بساط البحث فى مكة ،وتباحث فيها المؤتمرون الذين يمثلون اقطار الامم الاسلامية فى أرجاء العالم ،وتم استعراضها فى اثنتى عشرة جلسة ،تناولت احوال المسلمين واسباب فتورهم وانهيار قواهم ،وجعل شعار المؤتمرين " لانعبد الا الله " وقد ناقش الكواكبى اتحاده المقترح فرسم مبادئه للعامة ،وفصل شروط العضوية فى الاتحاد والهيئات العاملة . واذا كانت افكار الكواكبى لم تخرج الى حيز التنفيذ فى وقته ،فقد نفذت فيما بعد فى شكل الجامعة العربية ،والمؤتمر الاسلامى ،و الكتلة الافريقية الآسيوية .

وهكذا ظلت فكرة المجتمع الدولي فيما قبل القرن التاسع عشر مجرد آراء يدلي بها الكتاب والفلاسفة ولم تظهر المحاولة الاولى الجادة لاقامة تنظيم دولي الا بعد الحروب النابليونية ،فمنذ ذلك الوقت طرأ تغيير كبير على العلاقات الدولية . فقد بدأت الدول تشعر بضرورة التعاون فيما بينها وبذل الجهود المشتركة لتنظيم المرافق الدولية على النحو الذى يهيئ استغلالها على الوجه الاكمل ويكفل انتفاع جميع الدول بها . فقد ترتب على الثورة الصناعية تقريب المسافات بين اجزاء العالم المختلفة ،وازدياد الترابط الاقتصادى بين الدول بحيث اصبحت كل دولة تعتمد على غيرها فى الحصول على جزء كبير مما تحتاج اليه من السلع ،وان تصدر الى العالم الخارجى جزءا من فائض سلعها و خدماتها و اصبح من الصعب على أية دولة بل من المتعذر عليها ان تعيش فى عزلة عن باقى الدول . وهكذا بدات فكرة المجتمع الدولى تفرض نفسها فلم يخرج التنظيم الدولى الى الوجود على يد أنبياء رأوا فيه الوارث الشرعى للدول ذات السيادة بقدر ما خرج على يد رجال سياسة بحثوا عن ترتيبات ووسائل جديدة تستطيع الوحدات ذات السيادة بوساطتها ان تتابع مصالحها وتدير شؤونها فى الاوضاع المتغيرة لعصر المواصلات والحركة الصناعية .

الفصل الثانى

الاتحاد الأوربى فى القرن التاسع عشر

- معاهدة باريس الاولى (١٨١٤) .
- مؤتمر فينا (٨١٤ – ١٨١٥) .
- معاهدة باريس الثانية (١٨١٥) .
- التحالف الرباعى (١٨١٥) .
- الحلف المقدس (١٨١٥) .

الفصل الثانى

الاتحاد الاوروبى فى القرن التاسع عشر

(The Concert of Europe)

كان المؤتمر الذى عقدته الدول الاوروبية فى مدينة فينا عام ١٨١٤ هو نتيجة غير مباشرة للثورة الفرنسية التى قامت فى اواخر القرن الثامن عشر وللحروب المروعة التى أدت اليها تلك الثورة . فبوفاة لويس الرابع عشر فقدت فرنسا الكثير ، اذ تولى عرشها ملوك ضعاف ليسوا فى مقدرة لويس الرابع عشر السياسية او الحربية . وكلما كانت الملكية الفرنسية قادرة على انتزاع النصر من أيدى الدول المعادية لها كلما أحبها الشعب و تعلق بها . ولكن حينما اثقلت الملكية كاهل الشعب بالمصروفات والضرائب الباهظة فقدت محبة الشعب لها ،وكان عليها ان تسلك احد طريقين : اما ان تغير من سياستها ،او ان تذهب الى غير رجعة . ولم يكن فى استطاعة الملكية ان تغير من سياستها ،فلويس السادس عشر كان ضعيفا ولم يتحمل المسؤولية . حقيقة انه أظهر بعض النوايا الطيبة نحو اصلاح حال الشعب ،ولكن الطبقات صاحبة الامتيازات رفضت كل التنازلات . ولقد بدات الثوة فعلا بتدمير الباستيل فى يوليو عام ١٧٨٩ ،و أخذ الشعب يراقب الملك ،وفسروا أعماله بأكثر مما تحتمل ،وازدادت الرغبة فى مجيئة الى باريس ليكون تحت مراقبتهم . فقامت مظاهرة

الى فرساى فى ٥ اكتوبر عام ١٧٨٩ أجبرت الملك على العودة الى باريس حيث اصبح فى حقيقة الامر سجين الثورة • وحاول الملك فى عام ١٧٩١ الهروب مع عائلته من سجنه ولكن قبض عليه عند فارن و أعيد الى العاصمة وأصبح تحت رحمة مجلس طبقات الامة •

وقامت بعض المفاوضات نيابة عن الملك مع عدد معين من الدول الاوروبية (وهى النمسا واسبانيا وبعض الدول الاخرى) للتعاون العسكرى مع الجيش الملكى لاعادة الهدوء الى فرنسا • ورغم عدم اكتمال هذا المشروع فقد تكون فى عام ١٧٩٢ تحالف من الدول الاوربية ،وأعلنت دول التحالف الاوروبى الاول الحرب عليها فى عام ١٧٩٣• ويرجع تكوين هذا التحالف ضد فرنسا الى العوامل الآتية :

١) لم يقابل الانجليز بعين الارتياح الهجوم على الملكية الفرنسية وقتل الملك ،فوجدوا فى ذلك تناقضا لمبادىء الثورة الفرنسية •

٢) لم تعد الثورة الفرنسية مسألة داخلية صرفة تهم فرنسا وحدها ،فالثورة قد خرجت من حدود فرنسا الى بلجيكا ،واستولى الجيش الفرنسى عليها و أعلن حرية الملاحة فى مصب نهر شلت Scheldt وكانت انجلترا حريصة على اغلاق مصب هذا النهر

حتى لاتنافس تجارته تجارة نهر التيمز ،و لذلك وجدت انجلترا ضرورة التدخل فى الحرب .

٣) لم تعد الثورة الفرنسية محلية صرفة ،فعندما أحرز رجال الثورة بعض النجاح فى صدهم لقوات الاعداء (فالى) اعلنوا فى ١٩ نوفمبر عام ١٧٩٢ قرارا بتأييد فرنسا لكل أمة تطالب بحريتها ،أى آن فرنسا مستعدة للتدخل فى شؤون الدول الاخرى ،وهذا مالاتقره الدول الاوروبية .

لقد بدأت الحرب الفرنسية الكبرى عندما غزت قوات النمسا وبروسيا فرنسا ،وتمكنت جيوش الثورة من صد هذه القوات ،وتم الاستيلاء على ولاية الفلاندرز و كل ولايات الاراضى المنخفضة ماعدا Luxemburg وقام الجنرال الثورى كوستين Custine ببعض العمليات العسكرية الناجحة فى المانيا ،كما استولى الفرنسيون ايضا على سافوى . وشجع نجاح كوستين فى المانيا مجلس طبقات الامة على العمل من أجل الحصول على فتوحات اكثر . وفى النهاية انفرط عقد التحالف الاوروبى الاول بسبب انقسام الاعداء على أنفسهم بخصوص تقسيم بولندا مرة اخرى فى عام ١٧٩٣ ،فعقدت بروسيا الصلح منفردة مع فرنسا متأثرة بتقسيم بولندا دون ان يكون لها

نصيب فى الغنيمة (صلح بال فى ٥ ابريل ١٧٩٥) و كذلك اسبانيا التى خشيت من عبور القوات الفرنسية لاراضيها (٢٢ يوليو ١٧٩٥) . وفى عام ١٧٩٧ عقدت فرنسا صلحا مع النمسا يعرف باسم صلح كامبو فورميو . ولما كانت فرنسا تعلم ان اوروبا لابد وان تقوم بحرب اخرى ضدها بدا ت تعمل على تقوية نفوذها فى البلاد المفتوحة ،وعلى انشاء جمهوريات موالية لها فى البلاد المجاورة (فى هولندا وسويسرا وبيد مونت ونابولى والولايات البابوية) ورأت الدول الاوروبية ضرورة وضع حد لاطماع فرنسا ،فتكون فى عام ١٧٩٩ التحالف الاوروبى الثانى من انجلترا والنمسا والروسيا وتركيا . وانتهى هذا التحالف بتوقيع معاهدة اميان Amiens فى ٢٥ مارس ١٨٠٢ ،ولكنها فى الواقع لم تكن نهاية الحرب بين انجلترا وفرنسا ،ففى عام ١٨٠٥ استطاع بت Pitt وزير خارجية انجلترا تكوين حلف اوروبى ثالث ضد فرنسا من الروسيا والنمسا والسويد ،وتمكن نابليون بونابرت من اقناع بروسيا بالوقوف على الحياد فى هذه الحرب نظير منحها مقاطعة هانوفر . وكانت الاهداف المعلنة لهذا التحالف هى اعادة فرنسا الى حدودها القديمة ،ودعوة مؤتمر لتسوية المسائل الدولية المختلفة التى نشأت اثناء الحرب واقامة نظام فيدرالى للمحافظة على السلام فى اوروبا

وهذا الهدف الاخير يسترعى الانتباه بصفة خاصة ،فهو يبين لنا ان فكرة ايجاد أساس مستقر ما للمحافظة على النظام فى اوروبا قد خطرت فى الاذهان حتى فى تلك الفترة المبكرة اثناء الصراع مع نابليون . ولسوف نشاهد كيف ان تلك الفكرة هى التى نشأ عنها ماعرف بالحلف المقدس اثر سقوط نابليون .

ولقد استمرت الحرب حتى عام ١٨١٤ ،وفى النهاية دخلت الدول الاربع الكبرى : النمسا وانجلترا وبروسيا وروسيا ،فى محالفة عظمى بموجب معاهدة شومون Chaumont فى ٩ مارس ١٨١٤ . فقد تعهدت الدول الموقعة على تلك المعاهدة بتوحيد جهودها فى محالفة مدتها عشرون عاما واتفق رأيها اولا على اسقاط نابليون ثم الحيلولة دون عودته هو وأسرته الى فرنسا ،واخيرا على ضمان التسوية الاقليمية التى تضعها الدول المتحالفة لمدة عشرين عاما وقد كان اثر المحالفة مباشرا ،فقد قرر الحلفاء ولم ينقض شهر مارس اعادة آل بوربون الى فرنسا ،واحتلوا باريس بالفعل فى ٣١ مارس ١٨١٤ . وفى ابريل تنازل نابليون من حقه وحق اسرته فى العرش ،فجلس الحلفاء ليشكلوا خريطة اوروبا من جديد وفقا لاهوائهم . وفى ٣ مايو ١٨١٤ دخل لويس الثامن عشر باريس بينما آبعد

نابليون الى جزيرة البا فى اليوم التالى ،وعندئذ بدات المفاوضات بين لويس الثامن عشر والحلفاء لعقد معاهدة باريس الاولى . ولما كان الموقعون على معاهدة شومون قد اتفقوا على عقد اجتماعات دورية لتاكيد التفاهم وتوثيق العلات الودية فيما بينهم ،فان المعاهدة قد تضمنت ايضا اساس نظام المؤتمرات التى عقدتها الدول الكبرى وهى المهمة التى اضطلعت بالقيام بها وكان مؤتمر فينا نفسه أول وأهم هذه المؤتمرات التى عقدتها الدول لهذه الغاية ،وان لم يكن آخرها .

معاهدة باريس الاولى (٣٠ مايو ١٨١٤)

: The First Treaty of Paris

وقعت معاهدة الصلح الاولى فى باريس فى ٣٠ مايو ١٨١٤ ،وقعها تاليران عن الملك الفرنسى وممثلو النمسا وروسيا وبريطانيا وبروسيا . وأعلنت المادة الثانية ان حدود فرنسا لابد وأن تظل كما كانت عليه فى ١ يناير عام ١٧٩٢ مع بعض التغييرات المعينة ،وهكذا لم يتقرر عودة حدودها فى اوروبا الى ماكانت عليه عام ١٧٨٩ . كما تعهدت المعاهدة بالاعتراف بكل الترتيبات التى يتفق عليها الحلفاء بشأن الاقاليم التى تخلت عنها فرنسا و النظام الذى سوف ينجم عن هذه الترتيبات ليكفل

التوازن الحقيقى و الدائم فى اوروبا .واما هذه الترتيبات
المنتظرة فكان قد تم تقرير المبادىء التى تقوم عليها
بحيث تتألف من الاراضى المنخفضة دولة واحدة تجمع بين
بلجيكا وهولندا ،وان تسترجع النمسا كلا من لمبارديا
والبندقية وان تستقل المانيا ،ويتألف منها اتحاد
كونفدرالى ،و آن تحتفظ انجلترا ببعض الجزر التى
استولت عليها ،وكانت جزءا من المستعمرات الفرنسية
توبا جو وايل دى فرانس وسانت لويس وسيشيل .

ودلت شروط الصلح الذى تم فى باريس اذا على ان
الذى حصل لم يكن رجوع الملكية الى فرنساوحسب ،بل كان
الغرض المتوخى منها كذلك اضعاف فرنسا ذاتها . حقا
لقد احتفظت فرنسا بأفينيون Avignon
(فى الجنوب على نهر الرون) ،ومونتبليار Montebeliard
وملهوسن Milhausen (فى الشرق فى اقليم الراين
الاعلى) وشامبرى Chambery وآنسى Annecy
(فى سافوى) و كانت فرنسا قد استولت على هذه الاقاليم
قبل ١٧٩٢ . وكذلك احتفظت بحقوقها القديمة فى الصين
فى نيوفوندلاند ،والجزيرة الانجليزية فى امريكاالشمالية
ولكنها فقدت عددا من مستعمراتها ،وحرمت من ان يكون
لها صوت ما فى توزيع الاسلاب من الامبراطورية النابليونية

وبعقد الصلح مع فرنسا فى معاهدة باريس الاولى انتهت الحروب التى بدأت فى اوروبا فى عهد الثورة الفرنسية ،ثم استمرت فى عهد الامبراطورية النابليونية واصبح من الضرورى عقد مؤتمر للتباحث فى شؤون اوروبا العامة وتسوية المشكلات التى نجمت من هذه الحروب الطويلة . ووقع الاختيار على فينا لتكون مقرا لهذا المؤتمر لانها مدينة اوروبية عظيمة ،وعاصمة لدولة من الدول الكبرى التى انتصرت فى الحرب ،ولان حكومتها حكومة الامبراطورية النمسوية ـ كانت تمثل كل ماينطوى عليه معنى المحافظة على التقاليد والقانون والنظام فى اوروبا وقتئذ . وهكذا فالمؤتمر لم ينعقد لابرام الصلح لان الحرب كانت منتهية فعلا وقانونا بين فرنسا وبين الدول المتحالفة ،وفى استطاعة فرنسا كذلك عند انعقاد المؤتمر ان تطلب الانضمام الى الاسرة الدولية . ولم يكن الغرض من عقد المؤتمر اعادة تنظيم شؤون اوروبا على قواعد جديدة ،باعتبار ان النظام الاوروبى قد انهار فعلا من اساسه نتيجة لحروب الثورة و نابليون خلال العشرين سنة الماضية . ولكن الذى حدث ان السياسيين الذين اجتمعوا فى هذا المؤتمر اعتقدوا على العكس من ذلك ان النظام القديم بالصورة التى عرفها القرن الثامن عشر ،أى احترام السلطات الحكومية وتمجيد التقاليد

و المحافظة على التوازن الدولى ،هو خير نظام وجـــــد ليضمن للشعوب حرياتها ،وليحقق سيادة القانون . وكـــان الاصل فى نشأة هذا المؤتمر انه جاء فى معاهدة باريـــس ، الاولى ،فى مادتها الثانية و الثلاثين ،ان تتعهد الدولـة المشتركة و قتشد فى الحرب من كلا الطرفين بارســـال مندوبيها فى خلال شهرين الى فينا للاجتماع فى مؤتمـــر عام لوضع التسوية التى تضمنتها نصوص هذه المعاهـدة(1) على انه لما كان يحق لفرنسا بحكم هذه المادة ،ولانهـا كانت فى حالة سلم مع الدول بفضل ابرام معاهدة الصلـح هذه ،وان تشترك فى وضع التسوية المزمعة ،فقد أراد الحلفاء ان يحرموها هذا الحق ،فأضافوا مادة سريــة ، اضطرت فرنسا الى الموافقة عليها ،نصت على ان يكـون الحلفاء فيما بينهم هم وحدهم فقط الحق فى وضع المبادىء والقواعد التى تجرى عليها تسوية الصلح النهائيــة .

---

(1) Article XXXII ran as follows: "All the Powers engaged on either side in the present war shall, Within the space of two months, send plenipotentiaries to Vienna for the purpose of regulating, in General Conress, the arrangements which are to complete the provisions of the present treaty".

مؤتمر فينا (١٣ سبتمبر ١٨١٤ - ٩ يونيو ١٨١٥)

تكون المؤتمر من الدول التى وقعت على معاهدة باريس الاولى ،وكانت سبعة هى : بريطانيا ،روسيا ،النمسا بروسيا ، السويد ، اسبانيا ،والبرتغال . وعندما تبين ان العدد كبير انحصر النشاط بموجب اتفاق بين الدول الكبرى بين دول أربع فقط هى : بريطانيا ،روسيا ،النمسا وبروسيا ،تألف منها مايعرف باسم " لجنة الاربعة " ولقد نجح تاليران عند اجتماع المؤتمر بفضل مهارته السياسية ،فى ان يجعل الدول توافق على انضمام فرنسا الى هذه اللجنة التى تحولت عندئذ الى " لجنة خماسية " وكانت لجنة الخمسة هذه هى المؤتمر فعلا ،فاستأثرت وحدها ببحث المشكلات و المسائل الهامة ،وباتخاذ القرارات الحاسمة بشأنها . وعندما انتهى مؤتمر فينا من أعماله انضمت ثلاث دول اخرى هى السويد ،واسبانيا ،والبرتغال الى الدول الخمس الاولى فى التوقيع على وثيقة او قرار المؤتمر النهائى (Final act) فى ٩ يونيو ١٨١٥ . و أما ممثلو سائر الدول و الامارات الذين بلغ عددهم فى فينا المائة تقريبا ،فقد اشترك قليلون منهم فى أعمال اللجان الاخرى الفنية . ولم يعقد المؤتمر جلسة واحدة رسمية تضم جميع اعضائه ،سواء عند البدء فى العمل اوعند الانتهاء منه .

بدأت اعمال المؤتمر باجتماع ممثلى الدول الاربع انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا فى ١٣ سبتمبر ١٨١٤ وبعد عشرة ايام وصل تاليران ولم ترقه عزلة فرنسا وبعدها عن لجنة الاربعة ،فبذل جهدا كبيرا وتحققت رغبته عند انشاء لجنة الخمسة التى ضمت فرنسا اليها . والى جانب هذه اللجنة الخماسية أنشأ المؤتمر عددا من اللجان الاخرى لدراسة الموضوعات التفصيلية واعداد البيانات اللازمة . فكانت هناك لجنة الثمانية وهى التى وقعت على القرار النهائى كما سبق فى ٩ يونيو ١٨١٥ . ولم تكن مهمة هذه اللجنة سوى تلقى القرارات والبحوث الخاصة بالمسائل الاوروبية الهامة ودرست هذه اللجنة موضوع تجارة الرقيق ومسألة الاتحاد السويسرى ،ثم كانت هناك " اللجنة الالمانية " لبحث شؤون المانيا ووضع دستور لها ،ثم " لجنة الاحصاءات " وقد اختصت بتعداد السكان فى الاراضى التى يراد استبدالها او اعطاؤها كتعويض كجزء من التسويات التى يتفق عليها المؤتمر . ولقد تناول المؤتمر مسائل تسعا تتعلق ببولندا وسكسونيا وبحدود الراين ،وببلجيكا و هولندا ،وبالدانمرك والسويد وبسويسرا وبايطاليا ،وبالاتحاد الالمانى ،وبالانهار الدولية ،وبتجارة الرقيق .

بلغت الخلافات فى فينافى بداية ١٨١٥ درجة خطيرة حدت بفرنسا والنمسا وانجلترا الى تكوين حلف دفاعى لمقاومة مطالب روسيا وبروسيا فى ٣ يناير ١٨١٥ وقد أسفرت هذه الخطوة المتطرفة عن نتائج طيبة : فقد استسلم اسكندر فى بعض النقاط وحدت بروسيا حذوه . وكانت جميع الامور قد سويت فى الواقع عندما فوجىء العالم بأنباء انطلاق نابليون من آسره فى البا ،وفرار لويس الثامن عشر ،واستقبال فرنسا من جديد للامبراطور الذى حكمت بسقوطه بقية اوروبا . ولذلك انزعج المندوبون انزعاجا كبيرا وبادروا يعملون بكل سرعة لانجاز القرار النهائى الذى وقع بالفعل قبل معركة ووترلو بتسعة أيام فقط . وقد تضمن القرار النهائى التسوية التى وضعها السياسيون للمسائل التسع التى سبقت الاشارة اليها .

قامت تسوية فينا على أساسين هما : توازن القوى Balance of Power و التعويضات Compensation قاعدتا الدبلوماسية الاوروبية فى القرن الثامن عشر. فأعاد السياسيون فرنسا الى ماكانت عليه (Status quo ante bellum) قبل حروبها الاخيرة كى يعيدوا التوازن الدولى فى اوروبا ،ثم انهم اتبعوا خطة تعويض الدول التى أخذت منها اراضيها لاعطائها الى دولة اخرى

كذلك صار ارجاع الاسر القديمة الى الحكم فى الدول التى نحى نابليون أصحابها من عروشهم وضمها الى فرنسا ولكن هذا المبدأ الشرعية " Legitimism " لم يتبع أيضا حذافيره فلم يشأ المؤتمر عودة الاسر الحاكمة التى كان يسوءه رجوعها او التى أراد توزيع املاكها فى شكل " تعويضات " تعطى للدول التى تولى المؤتمر التصرف فى املاكها . وفى الواقع ان هذا كله انما كان يجرى وفق المبادىء والتقاليد وما اخذ به العرف الدبلوماسى فى القرن الثامن عشر ،فلم يفكر انسان ان هناك مايدعو لاستشارة الشعوب التى أخذ المؤتمر على عاتقه ان يفصل هو وحده فى مصيرها . ولم يلبث المؤتمر ان اضاف الى قاعدتى توازن القوى والتعويضات اعتبار آخر ،وهو ضرورة الاطمئنان لعدم تكدير السلام من ناحية فرنسا فى المستقبل اى اتخاذ التدابير والاجراءات التى تمنع فرنسا من الاقدام على أية اعتداءات جديدة فأحاط المؤتمر مدن فرنسا بحلقة من الدول التى آرادوا أن تكون قوية بدرجة تكفى لمنع فرنسا من استئناف الاعتداء فضموا بلجيكا الى هولندا ،و أعطوا الاراضى الواقعة على ضفة الراين اليسرى الى المانيا بينما دعموا استقلال سويسرا التى ضمنت الدول حيادها ،ثم أعطوا سافوى الى سيدمونت لتقوية الحدود الشرقية الجنوبية بالنسبة لفرنسا .

ولقد أدى العمل بمبدا توازن القوى الى نتائج هامة فقد كان اساس النظام الجديد طبقا لتسوية فينا انشاء توازن القوى بين مجموعتين من الدول العظمى : انجلترا وفرنسا ، الدولتان الغربيتان فى جانب ، وروسيا وبروسيا والنمسا الدول الثلاث الشرقية فى جانب آخر ، ولم تكن واحدة من هذه الدول العظمى قوية بالدرجة التى تعطيها السيطرة بمفردها على شؤون اوروبا او القدرة على المغامرة بدخول الحرب واحراز النصر على الدول الاخرى وكان يقع بين هاتين المجموعتين اقليم وسط اوروبا ويشمل المانيا وايطاليا وسويسرا والاراضى المنخفضة (بلجيكا وهولندا) . اما المانيا وايطاليا فكانت كل منهما مجزأة الى دويلات وامارات صغيرة ، بينما ضمنت الدول حياد سويسرا ثم الاراضى المنخفضة ، وتمكنت آسرة هابسبرج النمسوية من السيطرة على الدويلات الصغيرة فى ايطاليا والمانيا بفضل ماكان لها من املاك فى ايطاليا وماتمتعت به من نفوذ فى المانيا بسبب ان الامبراطور النمسوى كان رئيس الاتحاد الكونفدرالى بها فلم تعد اسرة هابسبرج فى حاجة الى توسع جديد من ناحية ، فى حين انها وجدت من ناحية أخرى ان من صالحها ان تظل قائمة هذه الدويلات الصغيرة . فصارت سياسة النمسا التمسك بالوضع القائم والمحافظة عليه واخماد كل الثورات

القومية و الدستورية فى المستقبل • وكان من أثـــــر زيادة نفوذ النمسا فى كل من ايطاليا والمانيــــا ان تأخرت وحدة الاولى ،وتعطل اتحاد الثانية مدة خمسيــــن عاما تقريبا ،أى حتى عام ١٨٧٠ – ١٨٧١ • كما ان حصـــول بروسيا على بعض الاقاليم الواقعة على نهر الراين منحها حق الدفاع عن المانيا عموما ،فعلا شأنها ثم انتقلـــت اليها تدريجيا الزعامة فى المانيـــا •

وعلى آية حال تتكون معاهدة فينا الموقعة فـــى ٩ يونيو ١٨١٥ من عدة أقسام رئيسية اولى تلك الاقســـام مايتعلق بمبدا ارجاع الحقوق الشرعية لاصحابها ،أى بمعنى آخر تحقيق مبدا التوازن الدولى الذى كان موجودا فـــى ذلك الوقت • وقد تطلب تحقيق هذا المبدا ان عوضت بعــض الدول عن بعض المناطق التى فقدتها بمناطق اخرى ليظــل التوازن الدولى معمولا به • كانت هذه هى القاعـــــدة المرعية اذا ما استثنينا الروسيا التى خرجت بنصيـــب الاسد نتيجة تشددها ،ولما كانت تحتفظ به من جيش كبيــر العدد بلغ المليون جندى • ولذا اضطرت كل من انجلتـــرا والنمسا مرغمتين على منح ولاية وارسو – بعد تنـــــازل بروسيا عنها – الى الروسيا رغم كبر مساحة هذه الولايـــة مما سيتيح للروسيا التفوق فى اوروبا ،وما يستتبع ذلــك من اخلال بالتوازن الدولى فى نظر كل من انجلترا والنمسا

أما فيما يتعلق بمطالب بروسيا فى ضم اقليم سكسونيا بأكمله اليهافى مقابل تنازلها للروسيا عن بولندا (ولاية وارسو) ،فقد عارضت النمسا و انجلترا فى منحها اياها كاملة حتى لايتضخم حجم بروسيا فيخل ذلك بالتوازن الدولى . فاضطرت بروسيا فى نهاية الامر الى قبول ضم نصف سكسونيا ومقاطعة الراين الالمانية وبذلك أصبحت مساحتها اكثر مما كانت عليه فى عام ١٨٠٥ وهو التاريخ الذى حدد لارجاع حدود كل دولة الى ماكانت عليه وقتئذ .

أما بخصوص الولايات الالمانية التى اجتاحتها قوات نابليون و أقامت فيها نوعا من الوحدة ،فقد تمت تسوية اوضاعها السياسية طبقا لمشيئة الدولتين الالمانيتين الكبيرتين النمسا وبروسيا اللتين كانتا تتنافسان حول زعامة هذه الولايات . ولقد نجحت النمسا فى الجولة الاولى واستطاعت ان تشكل الولايات الالمانية تبعا لاهوائها ،وذلك للحد من سلطة بروسيا ،فأقامت النمسا ولاية بافاريا كدولة قوية تعتمد على ولائها فى مقاومة النفوذ البروسى فى الولايات الالمانية . كذلك تمكنت النمسا من اقامة اتحاد للولايات الالمانية التسعة والثلاثين تحت زعامتها بصفتها الدولة الالمانية الكبرى

ورغم ان تسوية المسألة الالمانية قد تمت بما لايتفق ورغبات الولايات الالمانية ، الا انها لم تكن مجحفة بحقوق الالمان مثلما حدث في المسألة الايطالية .

واذا انتقلنا الى الولايات الايطالية التي كانت تشبه في وضعها السياسي الولايات الالمانية الى حد بعيد ، نجد ان نظرة الدول الاوروبية اليها وعلى رأسها النمسا قد اختلفت من نظرتهم للولايات الالمانية . فقد أهملت المطالب القومية للولايات الايطالية اهمالا شديدا فيه مساس بكرامة الايطاليين . وتم هذا بفضل سياسة مترنيخ الرجعية الاستبدادية ومؤازرة الدول الاوروبية له . فايطاليا لم تكن في نظر مترنيخ سوى تعبير جغرافي ومنطقة نفوذ لها . ولذا فقد شكل ايطاليا طبقا لاهوائه ووفق ميوله الاستبدادية الرجعية . فقد أعاد مملكة نابولي الى ما كانت عليه من قبل مع وضع أحد أفراد أسرة البوربون الفرنسية ملكا عليها . وفي نفس الوقت عقد معه معاهدة سرية تمنعه (ملك نابولي) من منح بلاده حكما دستوريا الا بعد موافقة النمسا ، ولم تكن الاخيرة ترضى بأي حال من الاحوال ان يجد النظام الدستوري طريقه الى ايطاليا حتى لاتنتقل عدواه الى الولايات الايطالية التابعة لحكمها . كذلك استطاعت النمسا استرجاع لمبارديا

واحتلال ولاية البندقية ،وبذلك تمكنت من استعادة نفوذها في ايطاليا والضغط على الولايات الايطالية الاخرى لاتباع سياسة تتفق مع رغباتها و مصالحها . كذلك استرد البابا ممتلكاته (الولايات البابوية) . كما ضمت بيد مونت اليها مدينة جنوه .

أما القسم الثانى من تسوية فينا فهو الخاص باحاطة فرنسا بدول قوية تمنعهامن الاعتداء على غيرها . و لما كانت كل من هولندا وبلجيكا تقع على حدود فرنسا الشمالية ولاتستطيع بمفردها ان تقاوم التوسع الفرنسى ،فقد روى ادماج الدولتين فى بعضهما لتكون دولة واحدة قوية على حدود فرنسا ،رغم كره البلجيكيين الشديد لجيرانهم الهولنديين . كذلك اعترفت الدول الاوروبية باستقلال سويسرا وضمان حدودها واستعادت كل من اسبانيا والبرتغال ماكان لهما من حدود قبل الغزو النابليونى . كما كوفئت السويد على انضامها الى جانبالحلفاء فى الحرب ضد نابليون بمنحها النرويج التى كانت تابعة للدانمرك.

ومن التسويات الهامة التى تمت بمقتضى هذه المعاهدة وضع تنظيم دولى لاستغلال الانهار الدولية ،حتى لا يؤدى لتضارب المصالح بين بعض الدول حول الاستفادة من هذه

الانهار الى قيام نزاع دولى قد يؤدى الى نشوب حــــرب كذلك أعلنت الدول الموقعة على المعاهدة استنكارهـــا لتجارة الرقيق بصفتها تجارة غير مشروعة و لاتتفق مـــع أبسط القواعد الانسانية . وكان لهذا الاستنكار صداه فـــى تحريم ممارسة هذه التجارة فى المستعمرات الخاضعــــة لحكم كل من اسبانيا وفرنسا والسويد وهولندا.

والحقت بالمعاهدة سبع عشرة وثيقة أخرى هى عبـــارة من المعاهدات التى وقعت بين الدول المشتركة فى المؤتمر لوضع الترتيبات السابق الاشارة اليها واستكمالها (١).

ورغم عيوب تسوية فينا ،فقد نجحت فى تحقيق الغـــرض المباشر الذى هدفت اليه الدول التى وقعت على معاهـــدة باريس الاولى فى ٣٠ مايو ١٨١٤ و كانت تريد وتنشد اقامة نظام حقيقى ودائم للتوازن الدولى فى اوروبا . حقيقـــة طرأ على هذا النظام شىء من التعديل بانفصال بلجيكـــا عن هولندا فى عام ١٨٣١ ،أو حينما خطت ايطاليا خطـــوة كبيرة نحو وحدتهــا فى عامى ١٨٥٩ ،و ١٨٦٠ ،ولكن هـــذا النظام لم ينهدم و على العكس فقد استطاعت تلك التسويـــة ان تجنب اوروبا حربا اخرى لمدة اربعين عاما ،وحتـــى هذه الحرب (حرب القرم ١٨٥٣ ــ ١٨٥٦) وقعت فى ميادين

(1) Oakes and Mowat, The Great European Treaties of the Nineteenth Century, PP.95-[illegible].

بعيدة • ولكن التوازن الدولى الذى أوجدته تسوية فينـــا قد تصدع فعلا فى عام ١٨٧٠ عندما قامت الحرب السبعينيـــة بين المانيا وفرنسا واستولت الاولى على الالزاس واللورين من فرنسا • وعلى أية حال خضعت التسويات التى اقرهـــا مؤتمر فينا بمرور الوقت لضغط شعبى أو اوتوقراطـــى وهو امر لم يكن من المحتمل التنبؤ به او منعه فـــى حينـــه •

معاهدة باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥):.

بعد هزيمة نابليون فى ووترلو واجه ساسة اوروبـــا امرين : الاول عقد الصلح من جديد مع فرنسا التى آزرت نابليون أثناء حكم المائة يوم ،والثانى تجديد محالفـــة الدول العظمى على اساس الاتحاد فيما بينها بعمل مشتـــرك الغرض منه اتقاء اية أخطار قد تهدد السلام العام مـــن جانب فرنسا فى المستقبل ،ثم المحافظة على التسويـــة النهائية التى تمت فى فينا لعدم تكدير السلم كذلـــك فى اوروبا • وبالنسبة للامر الاول ،عقد الحلفـــــاء (انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا) معاهدة جديدة مـــع فرنسا هى معاهدة باريس الثانية The Second Treaty of Paris وقد فقدت فرنسا بمقتضاها كثيرا مـــن

المزايا التى كانت قد نالتها فى معاهدة باريس الاولى فى ٣٠ مايو ١٨١٤ ،فأرجعت فرنسا الآن الى الحدود التى كانت لها عام ١٧٩٠ (أى بدلا من حدود ١٧٩٢ التى كانت قد نصت عليها معاهدة باريس الاولى) كما طلبت من فرنسا دفع تعويض قدره سبعمائة مليون من الفرنكات يؤخذ منها جزء لتقوية الحصون التابعة للدول ذات الحدود الملاصقة للحدود الفرنسية ،ويوزع بقية المبلغ على حكومات الحلفاء والدول الاخرى التى اصابتها اضرار من ناحية فرنسا . وقد قسم هذا المبلغ الضخم بصورة يتمكن بها الفرنسيون من سداده فى خلال خمس سنوات على اقساط متساوية وبشريطة ان يحتل مائة ألف مقاتل من جيوش الحلفاء حصون فرنسا الشمالية الشرقية الى أن يتم تسديد المبلغ بأجمعه .

التحالف الرباعى (٢٠ نوفمبر ١٨١٥):

أما بالنسبة للامر الثانى فقد انطوت فكرة الاتحاد الاوروبى على انشاء تحالف بين الدول التى اشتركت فى النضال ضد فرنسا من جهة ،ثم السعى من اجل المحافظة على السلام عموما فى أوروبا من جهة اخرى. و استطاع كاسلريه ،وزير خارجية انجلترا على وجه الخصوص ان يظفر بتحديد المبدأ الذى تضمنته معاهدة شومون السابقة ،

من حيث المبادرة بتقديم القوات العسكرية اذا وقع عدوان جديد من جانب فرنسا • وفى اليوم الذى وقعت فيه معاهدة باريس الثانية مع فرنسا ،أبرمت الدول الاربع الكبرى فيما بينها تحالفا رباعيا Quadruple Alliance كانت هى الاساس الذى قام عليه نظام الاتحاد الاوروبى فى السنوات التالية •

وقد تعهدت الدول الاعضاء فى هذه المحالفة الرباعية بتأييد معاهدة باريس الثانية المبرمة مع فرنسا فى التاريخ نفسه ،ثم انها اخذت على عاتقها أن تبادر كل منها بتقديم ستين ألف مقاتل لمساعدة أى عضو من اعضاء المحالفة يقع عليه هجوم فى المستقبل • وأبرزت المادة السادسة من المعاهدة فكرة الاتحاد الاوروبى كما صورته معاهدة شومون وانما بصورة عملية ،فنصت على ما يأتى: " حتى يمكن دعم الروابط التى تجمع فى الوقت الحاضر الملوك الاربعة فى اتحاد وثيق ،يوافق المتعاقدون على تجديد عقد اجتماعاتهم فى فترات معينة سواء كانت هذه الاجتماعات تحت اشرافهم شخصيا ،او حضرها وزراؤهم الذين يمثلونهم ،وذلك لتبادل الرأى فيما يتعلق بمصالحهم المشتركة ،و لفحص الوسائل التى يقر الرأى فى كل فترة او دورة من هذه الدورات على اعتبارها ذات أعظم

أثر طيب فى تامين هدوء وسكينة الامم ورخائها وفى تاييدواستقرار السلام فى اوروبا "[1] وقد ترتب على هذا النص وتطبيقه قيام الاتحاد الاوروبى The Concert of Europe الذى أخذ يعالج المشاكل التى ظهرت فى اوروبا فى الفترة التالية .

---

(1) Article VI of the Quadruple Alliance of Paris, November 20, 1815:"To facilitate and to secure the execution of the present treaty, and to consolidate the connections which at the present moment so closely unite the Four Sovereigns for the happiness of the world, the High Contracting Parties have agreed to renew their Meetings at fixed periods, either under the immediate auspices of the Sovereigns themselves, or by their respective Ministers, for the purpose of consulting upon their common interests, and for the consideration of the measures which at each of these periods shall be considered the most salutary for the repose and prosperity of Nations, and for the maintenance of the Peace of Europe".

ومما دفع روبرت ستيوارت كاسلريه ،وزير خارجية انجلترا الى انشاء التحالف الرباعى خوفه من فرنسا وتجدد الاعتداء من ناحيتها فاحتاط للامر بعقد أوامر المحالفة مع الدول الكبرى من جهة ،وتدبير احتلال فرنسا نفسها (وقد استمر هذا الاحتلال حتى عام ١٨١٨) من جهة آخرى ،وكان تحقيق هذه الحيطة اذن فى ابرام المحالفة الرباعية . ولم يرض كاسلريه فيما بعد ان يخرج هذا التحالف الرباعى عن الغرض الاساسى الذى أنشىء من اجله ، فيتخذ منه السياسيون الرجعيون فى اوروبا وعلى رأسهم مترنيخ أداة للتدخل فى شؤون الدول الداخلية ،بدعوى ان اخماد كل ثورة او انقلاب قد يحدث فى داخل هذه الدول ضرورى من اجل صيانة السلام العام فى اوروبا . وهكذا تكون سياسة كاسلرية عند انشاء التحالف الرباعى قد نجحت فى تحقيق مايلى :

١) ضمان تنفيذ الشروط التى فرضها المنتصرون فى الحرب على فرنسا بمقتضى معاهدات الصلح .

٢) ان انشاء نظام الاتحاد الاوروبى قد اتاح الفرصة لتسوية عدد من المشكلات التى ظهرت فيما بعد ،من غير حاجة للالتجاء الى الحرب كوسيلة ناجحة لفضها

الحلف المقـــدس (٢٦ سبتمبر ١٨١٥) .

وفى الوقت الذى وضع فيه ساسة اوروبا القواعـــــد العملية لتنفيذ شروط التسوية الاوروبية فى فينـــــــا ، آخرج اسكندر الاول (١٧٧٧ ـ ١٨٢٥) قيصر روسيا الى الوجود مشروعا آخر للسلام من ثمرات خياله الخصب يعرف باســـــم الحلف المقدس The Holy Alliance

وقام مشروع القيصر على فكرة" ان يصبح الملوك اخوة و ان يسترشدوا فى معاملاتهم مع بعضهم بعضا بمبادىء المسيحيـة وتعاليمها . و آراد القيصر الروسى آن يستند الاتحــــــاد الاوروبى الذى يدعو اليه على كل المبادىء و التعاليـــم التى جاءت بها المسيحية ،آى انه آراد ان يتخذ من الديـن اساسا تقوم عليه العلاقات بين الدول و كان لمشروع القيصر بهذا الثوب الدينى الذى آضفى عليه آثار عديدة ومنوعـــة لقد كان القيصر رجلا تنطوى شخصيتـه على متناقضات كثيرة ، وعندما تقدم بهذا المشروع كانت تغمره موجة من الـــورع و التقى ،ويعيش تحت تأثير" آرملة احد السياسييــــــن الروس هى البارونة جوليانا فون كرودنـــر Krüdner ، كان القيصر قد قابلها فى مدينـة بال بسويسرا فى خريـــف ١٨١٣ ،فى وقت كانت فيه هذه السيدة قد نبذت حياة التـرف واللهو التى انغمست فيها سابقا ،وصارت تأخذ على عاتقها مهمة اعتقدت انها موصى بها اليها،و هى ارشاد الملـــوك والامراء الى الطريق الســوى .

وتألفت وثيقة الحلف المقدس من مقدمة وثلاث مواد .
وجاء فى المقدمة مامعناه ان امبراطورى روسيا والنمسا وملك بروسيا صاروا يعتقدون بأنه قد بات ضروريا ان يسترشدوا فى علاقاتهم مع بعضهم بعضا بالمبادىء السامية التى نادى بها الدين المسيحى والحقائق العالية التى أتى بها . وأنهم لايبغون من اعلانهم هذه الوثيقة الا ان يطلعوا العالم أجمع على القرارات التى اتخذوها لهذا الغرض . فنعت المقدمة اذن على انه : " ليس لهذه الوثيقة من غرض سوى ان تعلن للعالم اجمع انه قد صح عزم الموقعين عليها - سواء فيما يتعلق بادارة شؤون بلاد كل منهم ،أو فيما يتعلق بشؤون علاقاتهم السياسية مع كل حكومة من الحكومات الاخرى - على ان يسترشدوا بمبادىء الديانة المقدسة (المسيحية) وحدها ،وهى مبادىء العدالة والمحبة المسيحية والسلام ،وتلك مبادىء لاينبغى ان يكون الاخذ بها مقصورا على العلاقات الشخصية و حسبه بل يجب ان تكون ذات أثر مباشر على مايصدر من آراء عن الملوك والامراء ،وان يسترشد بها هؤلاء فى كل خطواتهم بوصف انها الوسيلة الوحيدة لدعم الانظمة الانسانية ومعالجة وجوه النقص بها " .

وفى المادة الاولى تعهد الملوك الثلاثة المتعاقدون

بالبقاء متحدين ،وتجمع بينهم أواصر الاخوة الحقيقية
و التى لاتنفصم عراها ، اهتداء بما جاء به الكتاب
المقدس الذى يأمر جميع الناس ان يعتبروا أنفسهم
أخوانا . ولما كانوا يعدون أنفسهم أبناء وطن واحد
فانهم يتبادلون فى كل الظروف والمناسبات (فى كل زمان
ومكان) المعاونة والمساعدة والنجدة ،و حيث انهم
يعتبرون انفسهم آباء لرعاياهم ولاجنادهم فى أسرةواحدة،
فهم سوف يسوسونهم بروح الاخوة نفسها التى تحفزهم الى
الذود عن الدين و السلام و العدالة ،والمحافظة على هؤلاء
جميعا . وفى المادة الثانية جاء مانصه : " وعلى ذلك
فان المبدأ الوحيد الذى يسير عليه العمل بين الحكومات
او بين رعاياها سوف يكون تأدية الخدمات من جانب كل
فريق للآخر ،واقامة الدليل بفضل الرغبة الطيبة الثابتة
على تبادل المحبة التى يجب ان تملأ قلوبهم ليعتبروا
أنفسهم جميعا أعضاء أمة مسيحية واحدة . أما الامراء
الثلاثة المتحالفون فانهم يعتبرون أنفسهم مجرد وكلاء
من قبل الاله ليحكموا فروعا ثلاثة من أسرة واحدة: النمسا
وبروسيا وروسيا . معترفين بذلك بأن الامة المسيحية
التى يؤلفون هم ورعاياهم قسما منها ليس لها غير سيد
واحد هو الاله يسوع المسيح .... " وفى المادة الثالثة
والاخيرة ،وجهت الدعوة الى بقية الدول التى تريد

الاعتراف بهذه المبادىء المقدسة حتى تنضم الى الحلف المقدس .

و عند مقارنة ماجاء فى المادة الثانية من الحلف المقدس ،بالمادة السادسة فى التحالف الرباعي يتضح الفارق الكبير بين تفكير القيصر اسكندر الذى طغى عليه نوع من التصوف المبهم وقتئذ ،وبين الطريقة العملية الايجابية التى اهتدى اليها كاسلريه لمحاولة المحافظة على التسوية الاوروبية . ولقد أثار الحلف المقدس دهشة رجال الدين ورجال السياسة على السواء . فمترنيخ وصفها بأنها " طبل أجوف " ،وفيض من عواطف التقى والورع التى تجيش فى صدر القيصر اسكندر " . ثم ان كاسلريه صار يعتبرها " خليطا " من الصوفية والكلام الفارغ ". ورغم ذلك فقد انضمت اكثر الدول الى الحلف المقدس مراعاة لشعور القيصر اسكندر ... وكان من بين الدول التى انضمت اليه فرنسا ،وهى التى تلمست دائما كل الطرق للخروج من عزلتها السياسية ،والعودة الى المجتمع الاوروبى . أما انجلترا فقد امتنعت من التوقيع على هذه الوثيقة بدعوى ان الدستور يمنع الملك او الوصى على العرش من فعل ذلك .

ومن آثار الحلف المقدس انه خلف آثارا عميقة فــى اذهان سواد الناس مدة جيل بأكمله عندما ساد الاعتقــاد بأن قيام الحكومات الاستبدادية ،ثم اخماد كل حركـــات او ثورات الشعوب التحررية ، انما كان من اسباب وجـــود الحلف ،كما كان من نتائج انشائه . ورغم ذلك فـــان الحلف المقدس لم يكن فى ذاته مسؤولا من انتشار الرجعيــة ولامن قيام نظام الحكم المبنى على الاستبداد وعلى اخماد الحركات القومية و الدستورية فى اوروبا ،بل كـــان المسؤول فى ذلك كله التحالف الرباعى وحده فقط .ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها ان تعهد اعضاء الحلف المقدس بمساعدة بعضهم بعضا فى كل الظروف و المناسبات كـــان تعهدا يتعذر تنفيذه ،لأن الظروف و المناسبات لم تكـــن معينة ومحددة ،على عكس ماحدث فى معاهدة التحالـــف الرباعى التى اوضحت هذه الظروف والمناسبات ،ثم عينت قدر المساعدة المطلوبة ونوعها ــ و هى ستون ألف مقاتـل يقدمها كل عضو عند وقوع الاعتداء على أحد أعضــاء المحالفة .كما نصت على عقد المؤتمرات الدورية ،أى أن التحالف الرباعى ،قد وضع القاعدة التى من شأنهــا ان تجمع بين الدول فى صورة عملية ،وفى اتحاد اوروبــى له أغراض معينة ومحددة ومعروفــة .

وعلاوة على ذلك أدرك مترنيخ ماكان للتحالف الرباعى من قيمة عملية فاعتمد عليه فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى الى تأليف جبهة متحدة من الحكومات الاوروبية هدفها اخماد الحركات والثورات التى قد تهدد النظام القائم والسلم فى اوروبا . وبرغم ان مترنيخ كان يرى فى الحلف المقدس " طبلا أجوف " فقد ادرك ايضا امكان الاعتماد على هذا الحلف المقدس فى الجمع بين الدول الموقعة على وثيقته و التقريب فيما بينها للقيام بعمل مشترك - دائما على اساس التحالف الرباعي - الهدف منه تأييد النظام القائم ،ثم تحويل التحالف الرباعى الى أداة فعالة للتدخل فى شؤون الدول الداخلية اذا اقتضى تأييد النظام القائم هذا التدخل . ولكن اصطدمت أهداف مترنيخ مع السياسة البريطانية التى استنها كاسلريه وسار عليها جورج كاننج من بعده . وقد أدى هذا الاصطدام فى النهاية الى فشل الاتحاد الاوروبى عند معالجة المشكلات السياسية التى واجهها رجال السياسة بعد ذلك . ومن هذه المشاكل رغبة فرنسا فى الانضمام الى التحالف الاوروبى ومسألة التدخل Intervention بسبب الثورات والاضطرابات التى وقعت فى ايطاليا ،وثورة اليونان ضد السلطان العثمانى رغم ان الحلفاء لم يضمنوا ممتلكات وأراضى الامبراطورية العثمانية ،ثم أخيرا شؤون المستعمرات الاوروبية فى امريكا وهى التى لم يتناولها الحلفاء. وكل هذه المشاكل سنتعرض لها فى الجزء التالى الخاص بدراسة " نظام المؤتمرات " .

الفصل الثالث

نظام المؤتمرات

- مؤتمر اكس – لاشابل.
- مؤتمر تروباو.
- مؤتمر ليباخ.
- مؤتمر فيرونا.

الفصل الثالث

نظام المؤتمرات (The Congress System)

جاء فى المادة السادسة من معاهدة باريس الثانية انه من اجل تدعيم الروابط العميقة التى توجد بينهم ، سيقوم الملوك الاربعة أو وزرائهم بجمع مؤتمرات ،فى فترات محددة يبحثون فيها الوسائل اللازمة لا لمجرد ضمان استمرار السلم ولكن تأكيد احترام " المصالح العامة الكبرى " وبشكل خاص " هدوء الشعوب ورفاهيتها" . ولذلك فان مسألة العلاقات مع فرنسا لن تصبح هى الموضوع الوحيد الذى يعالج فى هذه الاجتماعات : فيمكن لحكومات الدول المنتصرة ان تثير كل المشكلات حتى تأخذ حيالها موقفا مشتركا . ولاشك ان فكرة المؤتمرات الدورية كان منهجا دبلوماسيا جديدا ،يمكنه ان يسهل الوفاق بين الحكومات، فبدلا من الاكتفاء بمجرد تبادل " المذكرات " سيكون لرجال الدولة المسؤولين عن تسيير السياسة الخارجية مقابلات مباشرة ،حيث يمكنهم تبادل وجهات نظرهم بطريقة سهلة ، والبحث عن أسس لحلول وسط بين مصالحهم. و اذا كانت الحكومات فى هذه المؤتمرات ستتخذ لها هدفا يتمثل فى المحافظة على " المصالح المشتركة " ،فان هذا كان دليلا على معرفتهم بمعنى الواجب الجماعى ،او على الاقل بما يعتقدون انه من الواجب ان يقوموا به . ولكن ،هل يمكننا

ان نرى فى ذلك فكرة جديدة للعلاقات الدولية؟ و هل كانت رجال الدولة يفكرون فى عام ١٨١٥ فى اقامة " اتحاد اوروبى " ؟ قطعا لا فليس هناك فى هذه النصوص مايهدف الى تحديد سيادة الدول فى صالح منظمة دولية ،ومايننظم حماية متبادلة للسلامة الاقليمية ،أو مايعنى التعهد بالابتعاد عن الحرب ولم يكن للحلول المقترحة أى هدف سوى تأكيد تفوق الدول العظمى المنتصرة فكانت فى اقصاها تمثل نوعا من " الادارة " Directioire ولاتمثل تمهيدا لمجهود تنظيم مستوحى من الفكرة الاتحادية .

مؤتمر اكس لاشابل (Aix-la-Chapelle):

عقدت الدول الاوروبية أول اجتماعاتها فى سبتمبر ١٨١٨ فى اكس لاشابل من أعمال وستفاليا فى المانيا للفصل فى موضوع فرنسا . لقد طالبت فرنسا بجلاء قوات الحلفاء عن أراضيها ،دون انتظار لمدة الخمس سنوات المحددة فى معاهدة باريس الثانية ،وبقبول الحلفاء بدخولها فى " المجموعة الاوروبية " . ولقد استخدم دوق ريشليو Richelieu رئيس وزراء فرنسا ــ السياسة الداخلية حجة اساسية ،لكى يدفع الحلفاء الى الموافقة على الجلاء عن الاراضى الفرنسية قبل الميعاد. ولم تعترض

الدول على هذه الرغبة ،فكاسلريه كان قد أطمأن الى فرنسا ،وصار لايرى مايحول دون مودتها الى حظيرة الاتحاد الاوروبى . وبمجرد ان تم الاتفاق فى المؤتمر على الطريقة التى تسدد بها فرنسا فورا بقية التعويضات المطلوبة منها ،وافقت انجلترا وبروسيا والنمسا وروسيا على جلاء جيش الاحتلال فى معاهدة اكس لاشابل فى ٩ اكتوبر ١٨١٨.أما بخصوص طلب فرنسا الانضمام الى المحالفة الرباعية فقد اختلفت آراء الدول حول هذا الموضوع . فاقترح القيصر الروسى بقاء التحالف الرباعى كما هو موجها ضد فرنساء على ان يسمح لفرنسا فى الوقت نفسه بالانضمام الى محالفة عامة اخرى ،تعلن فيها الدول عزمها على القضاء على الثورات ،ومساعدة بعضها بعضا ،وعلى الخصوص مساعدة الدول التى تتعرض حكوماتها للاضطراب . ولكن كاسلريه رفض هذا الاقتراح وامتنع امتناعا تاما عن آى تدخل فى شؤون الدول الداخلية .

كانت السياسة الروسية ترغب فى ادخال فرنسا فى " المجتمع الاوروبى " لكى تستخدمها كقوة موازنة اما لانجلترا او للنمسا ،وكانت انجلترا تفضل الاحتفاظ بالاتجاه المتفق عليه فى عام ١٨١٥ ،لا لمجرد استمرار اعتقادها فى " الخطر الفرنسى " ولكن لخوفها من قيام تعاون بين

روسيا .وفرنسا . وكانت كل من النمسا وبروسيا تشارك في الشعور بهذا الخوف ،ولكنهم اعتقدوا مع ذلك في انهم سيزيدون من الاخطار برفضهم طلب فرنسا ; وحين تفقد الامل ،يمكن للحكومة الفرنسية ان تتوجه صوب سياسة " التحالف الخاص " مع روسيا . وعلى آية حال اقنع مترنيخ الدول الاربع بعقد اتفاق سرى فيما بينها في اول نوفمبر عام ١٨١٨ تتعهد بموجبه باستخدام جيوشها مشتركة ومتحدة ضد فرنسا اذا حدثت ثورة ناجحة يترتب عليها تهديد امن جيراتها وسلامتهم . ولقد وافقت انجلترا على هذا الاجراء ولكن في حالة واحدة فقط ،هي امتلاء أحد أفراد أسرة بونابرت عرش فرنسا .

وفي ٤ نوفمبر ١٨١٨ وجهت الدول الاربع في مذكرة مشتركة الى فرنسا الدعوة الى الملك الفرنسي ليعمل من الآن فصاعدا بآرائه وجهوده للاتحاد مع الحلفاء الاربعة لتحقيق مايعود بالنفع على الانسانية وعلى فرنسا معا . وقد وافق المؤتمر على هذا الحل الوسط في ١٥ نوفمبر ١٨١٨ ،وذلك في وثيقتين ،احداهما تتضمن المبدأ الذى وافقت عليه الدول الاربع في الاتفاق السرى بتاريخ أول نوفمبر ،فكانت هذه الوثيقة عبارة عن " بروتوكول سرى" تجددت بمقتضاه المحالفة الرباعية لمراقبة فرنسا

ولحمايتها كذلك من الاخطار الثورية التى تتهددها،وعلى ان يبلغ هذا البروتوكول الى دوق ريشيليو ويطلع عليه بصفة خاصة . وأما الوثيقة الثانية فقد قامت على المبدأ الذى ووفق عليه فى " المذكرة المشتركة " فى ٤ نوفمبر، فكانت تصريحا Declaration دعيت فرنسا الى الانضمام اليه ،وجاء فيه ان الدول الخمس ،انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا ،تنوى توثيق عرى الاتحاد فيما بينها على اساس المعاهدات والاتفاقات المعقودة للمحافظة على السلام ،وذلك كان الاساس الذى تمسكت انجلترا به دائما ، والمبدأ " العملى " الذى قام عليه التحالف الرباعى ،والذى كان يجب فى نظر انجلترا ان يقوم عليه الاتحاد الاوروبى . ولما كانت انجلترا تعارض فكرة عقد مؤتمرات دورية باعتبار انها ترمز الى التدخل ،فقد جاء فى ختام التصريح تحديدا واضحا وهو انه لاينبغى عقد " اجتماعات جزئية " لبحث شؤون الدول الاخرى ،من غير ان تطلب هذه ذلك ،وفى حضورها اذا لزم الامر . وكان معنى ذلك بالرغم من هذه الشروط المحددة ،أن تقرر فى هذا التصريح مبدأ التدخل . وهكذا تدعمت أركان المحالفة وصارت بعد انضمام فرنسا اليها محالفة خماسية Quintuple Alliance ضد الثورات فى اوروبا.

وفى الوقت الذى قل فيه الخوف من انفجار فى فرنسا ، ازدادت المخاطر فى نقط أخرى من القارة . ففى المانيا نجحت الحركة التحررية فى مملكة بافاريا حيث منح الملوك والامراء نظما دستورية . وفى ايطاليا ظهرت الاخطار فى نابولى فى يوليو عام ١٨٢٠ ،وفى تورينو فى مارس عام ١٨٢١ . وكانت الحركة الثورية تهدف الى اجبار الملوك والامراء على قبول نظام دستورى ،كما انها اشتملت على برنامج وطنى : فمندوبى جمعيات " الكاربونارى فى نابولى حاولوا ان يبعثوا فى بقية الدول الايطالية الاخرى حركة فى صالح اتحاد ايطاليا ،وفكر سانتا روزا Santarosa رئيس الثوار فى بيد مونت فى تحرير لمبارديا والبندقية من الحكم النمسوى ،ولكنها لم تكن الا مجرد أمنيات . وفى اسبانيا سقط نظام فرديناند السابع المطلق فى يناير ١٨٢٠ ،وفرضت حركة ثورية تقودها مجموعة من الضباط على الملك نظاما دستوريا . وحاول أنصار الملكية المطلقة ان يقوموا بحركة مضادة فى يوليو عام ١٨٢٢ ،وفشلوا أمام مدريد . ولم تكن أى من هذه الحركات الثورية تهدد الوضعية الاقليمية التى أنشأتها معاهدات عام ١٨١٥ ،بطريق مباشر ،فلم يتعرض احد للحدود ،ولكنها هددت النظام الاجتماعى والسياسى . وكان هذا يؤكد المخاوف التى عبر عنها اسكندر الاول

منذ اكتوبر عام ١٨١٥ . فهل كان من الضرورى العودة الى الحلول التى كان القيصر قد اقترحها ،أى التدخل المشترك فى الشؤون الداخلية للدول ؟

لقد عرض الروس هذه المسألة من جديد فى أثناء مؤتمر اكس لاشابل واقترحت المذكرة التى قدمها القيصر فى ٨ اكتوبر عام ١٨١٨ ،بعد ان ذكرت مبادىء الحلف المقدس اقامة " تحالف عام " يفتح للجميع ،ويكون " اساسا لنظام ضمان مشترك لحالة الممتلكات الراهنة للدول المتعاقدة " . ولكن الحكومة الانجليزية اعترضت على ذلك ،وأعلن كاسلريه بطريقة تهكمية فى مذكرة فى ١٩ اكتوبر ان مبادىء معاهدة التحالف المقدس ،حتى اذا ما " اعتبرت كأساس لنظام اوروبى فى نطاق الضمير السياسى، لا يمكن الرجوع اليها فى نطاق " الالتزامات الدبلوماسية العادية التى تربط دولة بدولة آخرى" . وكان معنى اعطاء تحالف بين الدول هدفا يتمثل فى " الاحتفاظ بنظام الوراثة ،والحكم ،والملكية فى كل الدول الاخرى،و ضد كل عنف او هجوم " هو التبشير بوجود حكومة دولية يمكنها ان تفرض قانون عدالة على الجميع ،فكيف يمكن التفكير فى اقامة مثل هذه الحكومة ؟ وقال كاسلريه عن الامتداد " العالمى " لهذا التحالف ،انه امكانية " لم يكن أبدا مظهر عملى ولايمكن أن يكون لها ذلك".

ورغم ان مترنيخ قدر المزايا التى مثلها المشروع الروسى بالنسبة للمحافظة على النظام الاجتماعى او السياسى ،فانه لم يؤيد المشروع الروسى . فما هو سبب ذلك ؟ لم يكن ذلك لمجرد انه خضع لضغط السياسة الانجليزية ،بل كان قبل كل شىء بسبب خوفه من مشروع تحالف " عام " الم يكن فى وسع القيصر ان يدخل فى هذا التحالف الدول الاوروبية " المتوسطة " والتى سيكون حضورها مضايقا للنمسا؟ الم يفكر فى جعله يضم اسبانيا ، ويشكل يمكنه من ان يمد " الضمانات " ،بالنسبة لمسألة المستعمرات الاسبانية ،فيما وراء النطاق الاوروبى؟ الم يدع اسكندر انه يظهر للعالم ان السلم يتوقف عليه شخصيا ويحاول اثبات سيطرة روسيا على السياسة الدولية؟ ولذلك فقد أبعد اقتراح القيصر ،بوضعه فى صيغة الماضى فى " البلاغ النهائى " لمؤتمر اكس لاشابل . و كان هذا حلا سهلا ،مادامت الاضطرابات الثورية لم تكن قد ظهرت بعد ولكن الاقتراح الروسى وحد من يصغى اليه ،وتقررت سياسة التدخل بالفعل حينما ظهرت هذه الاخطار كحقائق ملحة . وفى ثلاث مناسبات ،وهى مؤتمر تروبا وفى ديسمبر عام ١٨٢٠ ،وفى مؤتمر ليباخ فى يناير عام ١٨٢١ ،وفى مؤتمر فيرونا فى صيف عام ١٨٢٢ ،سارت الدول رغم ترددها ، ثم مقاومة انجلترا على الطريق الذى أشار اليه القيصر.

مؤتمر تروبـــاو (Tropeau) :

كان اكثر الملوك خوفا من نتائج الثورة العسكريـــة في اسبانيا الاسكندر قيصر الروسيا ، الذى خشى مـــــن انتقال عدوى الثورة الى بلاده حيث تعيش فى ظروف مماثلـة لاسبانيا . فهب للمطالبة بعقد مؤتمر من سائر ملـــــوك اوروبا لاستنكار قيام دستور ١٨١٢ والمطالبة بالغائـــه ولو بقوة السلاح اذا لزم الامر . وقد عارض كاسلريه دعـوة مؤتمر للانعقاد دون بيان الغرض من انعقاده بصورة واضحة جلية . وقد ظل مترنيخ معارضا لعقد المؤتمر حتى شهـــر يونيو ١٨٢٠ ، ولكنه سرعان ماتخلى عن موقفه عندما حـدث فى شهر يوليـو ١٨٢٠ ان اشتعلت الثورة العسكرية فـــى نابولى واضطر ملكها فرديناند الاول الى قبول دستـــور ١٨١٢ الاسبانى (اى استصدار دستور مثله) فكان لهـــذا الحادث الذى هدد بالزوال النظام الحكومى النمسوى فـــى ايطاليا ، أعظم الاثر فى تشكيل الخطة التى اعتزم مترنيـخ اتباعهـــا .

عارض كاسلريـه الدعوة الى عقد مؤتمر واضطر امـــام التوسع المفرط فى تفسير تعهدات فينا الى اعلان موقفـه ، فأصدر فى ٥ مايو ١٨٢٠ وثيقة رسمية مطولة اتخذت اساسا للسياسة الخارجية البريطانية فى القرن التاسع عشـــر

وقد قال كاسلريه فى تلك الوثيقة : " لقد كانت (المحالفة بين الدول العظمى) اتحادا لاستعادة جانب كبير من القارة الاوروبية وتحريره من السيطرة العسكرية الفرنسية . وبتحقق هزيمة الفاتح نابليون بسطت المحالفة حمايتها على اوضاع التملك التى أقرها الصلح - بيد انه لم يقصد بها ان تكون اتحادا لحكم العالم او للاشراف على الشؤون الداخلية للدول الاخرى ،وقد تحوطت على وجه التخصيص ضد انتهاك فرنسا " لاوضاع التملك " التى تم اقرارها فنصت على الحيلولة دون عودة المغتصب (نابليون) أو أى فرد من أفراد أسرته الى العرش ،وجعلت الحكم الثورى الذى زلزل فرنسا ودمر اوروبا موضوع انشغال بالها دائما - ولكن الاحتياطات التى انتوت اتخاذها كانت تنصب بصفة خاصة ضد الحكم الثورى فى طبيعته العسكرية القائمة فعلا فى فرنسا اكثر مما تنصب على المبادىء الديمقراطية التى كانت فى ذلك الحين ،كما هى الآن،منتشرة بصورة عامة جدا فى شتى أنحاء أوروبا....

"....وليس ثمة ماهو اكثر ضررا لدول القارة من اتخاذ شؤونهم مادة للمناقشة اليومية فى برلماننا ، وهو الامر الذى سيترتب حتما على اسراع بعض الدول باقحام نفسها فى شؤون الدول الاخرى ،اذا نحن وافقنا

على المضى معهم بخطى متساوية فى مثل هذا التدخل.....

" ... والواقع ان شعورنا ليس واحدا ،ولايمكن ان يكون كذلك بالنسبة لجميع المسائل . فان وضعنا ونظمنا وطرائق تفكير شعبنا ومشاريه تجعلنا نختلف عن غيرنا اختلافا جوهريا .....

" ... وما من بلد يتبع نظام حكم نيابى يستطيع ان يتصرف وفقا لهذا المبدأ (مبدأ تدخل دولة بالقوة فى الشؤون الداخلية لدولة اخرى) ـ وكلما عجلنا باعلان انكار ان مثل هذا المبدأ يكون ـ على أى نحو ـ اساس محالفتنا كان ذلك أفضل ....

" ... ونحن ـ (انجلترا) ـ سنقف فى مكاننا عندما يتهدد نظام اوروبا (الاقليمى) خطر حقيقى، ولكن هذا البلد لايمكن ان يتصرف ولن يتصرف وفق مبادىء الحيطة المجردة القائمة على التكهنات .... "

لقد أوضح كاسلريه انه يعتبر الثورة الاسبانية مسألة داخلية لاتشكل خطرا على البلاد الاخرى ،وانه لايرى مبررا لتأييد انجلترا أية محاولة لقمع تلك الثورة بالقوة واوضح الدبلوماسى للقارة بأن انجلترا تدين بأسرتها

الممالكة الحالية ودستورها لثورة داخلية .. ومن ثم فانها لاتستطيع ان تنكر على البلاد الاخرى هذا الحق نفسه فى تغيير شكل حكوماتها . وفضلا عن ذلك فان الحكومة الانجليزية لا تستطيع ان تتصرف دون تأييد برلمانها وشعبها ،وهما لم يخطرا بأية التزامات سوى تلك التى تم الاتفاق عليها فى فينا على النحو الذى أوضحه وأكد ان انجلترا سوف تفى بتلك الالتزامات ولكنها لاتعترف بالتزامات سواها .

وعلى أية حال كانت الثورة التى نشبت فى نابولى مصدر خطر كبير على نظام مترنيخ برمته فى ايطاليا . وانتهز مترنيخ فرصة وجود القيصر الروسى فى وارسو واقترح عليه ان يعقد مع امبراطور النمسا اجتماعا يكون مقصورا عليهما وحدهما لبحث المسائل التى تشغل الاذهان وقتئذ ،ولكن القيصر اسكندر رفض ان يتم تفاهم منفصل بين الامبراطوريتين وحدهما فقط ومن غير ان يشركا معهما بقية الدول التى وقعت على تصريح اكس لاشابل فى ١٥ نوفمبر ١٨١٨ . وقد لقى هذا الرأى ايضا كل تأييد من فرنسا . ولكن كاسلريه رفض المساهمة فى مشروع قال ان من شأنه ،وبالصورة التى يريدها مترنيخ انشاء محالفة عداثية ضد نابولى و ارغام انجلترا على الاشتراك

فى الحرب التى سوف تكون نتيجة هذه المحالفة العدائيــة وعندئذ لم يجد مترنيخ مناصا من قبول الفكرة التـــى نادت بها روسيا وأيدتها فرنسا لدعوة مؤتمر للانعقـــاد على غرار مؤتمر اكس لاشابـــل .

حضر هذا المؤتمر روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسـا، ولما كان كاسلريه مترددا فى حضور مثل هذا المؤتمـــر فقد أرسل شقيقه لورد ستيورات Stewart لتمثيـل انجلترا فيه . ومنذ البداية كان مقضيا بالفشل على أمـل مترنيخ فى ان يجمع كلمة الدول على عمل مشترك لتأييــد سياسة النمسا فى ايطاليا . ولكن انجلترا سعت جاهــدة لتجنب مبدأ التدخل من بداية المؤتمرات الى نهايــــة عهدها ،وتمسك كاسلريه بالفكرة الاساسية التى اوجـــدت التحالف ،وقصر مهمته على تأديــة الغرض الذى وجـــد من أجله . وهكذا رفضت انجلترا مبدأ التدخل و آيدتهــا فرنسا فى ذلك . واعتمد مترنيخ حينئذ على تأييد قيصـر روسيا ،واستنادا على هذا التأييد استطاع مترنيخ ان يغفل معارضة انجلترا وفرنسا ،فتعددت اجتماعات ممثلى الـدول الثلاث : النمسا وروسيا وبروسيا وآسفرت هذه الاجتماعات عن عقد بروتوكول تروبا و الذى وقعه اعضاء الحلـــف المقدس فى ١٩ نوفمبر ١٨٢٠ . ومع ان انجلترا رفضت التوقيع

على هذا البروتوكول ،فقد انضمت اليه فرنسا خشية العزلة السياسية .

و نص بروتوكول تروبا و على ان"الدول التى يحدث تغيير فى حكوماتها بسبب قيام ثورة بها ،ويترتب على هذا التغيير تهديد للدول الاخرى ،تفقد بحكم الضرورة عضويتها فى التحالف الاوروبى ،وتظل خارج التحالف ومستبعدة منه الى ان يجىء الوقت الذى يعطى الموقف الداخلى فى هذه الدول الضمانات اللازمة لتأييد النظام القانونى ،والاستقرار . أما اذا نجم عن هذه التغييرات اخطار مباشرة تهدد الدول الاخرى ،فالدول المتحالفة تتعهد فيما بينها بارجاع الدولة المذنبة الى حظيرة التحالف (او الاتحاد الاوروبى) اما بالوسائل السلمية ، واما بقوة السلاح اذا لزم الامر " ولقد نقد كاسلريه هذا البروتوكول نقدا مرا ،لان انجلترا كما قال لايمكنها الموافقة على نظام من شأنه ايجاد نوع من حكومة عامة فى اوروبا لها من السلطان ماتستطيع به تحطيم السيادة العليا فى داخل الدولة . وكعضو من اعضاء المحالفة لاتستطيع انجلترا كذلك تحمل مسؤولية القيام بأعمال بوليسية من قبيل مايريده أصحاب هذا البروتوكول.

مؤتمر ليباخ (Laibach) :

تأجل مؤتمر تروباو من غير الوصول الى قرار بشأن المسألة الايطالية على ان يجتمع المؤتمر فى يناير عام ١٨٢١ فى مدينة ليباخ ،على ان يدعى لحضوره فرديناند الاول ملك نابولى لان الدول الثلاث رفضت المفاوضة مع حكومة ثورية . وانعقد المؤتمر فيما بين ٨ يناير و ١٢ مارس ١٨٢١ و حضره امبراطور النمسا وقيصر روسيا ومترنيخ وفرديناند الاول ملك نابولى . وقرر المؤتمر، او بمعنى آصح اعضاء الحلف المقدس (النمسا وروسيا وبروسيا) الغاء دستور نابولى ،ثم عهد ثلاثتهم الى النمسا بمهمة تنفيذ هذا الالغاء بالقوة العسكرية. ولذلك آرسلت النمسا جيشا الى نابولى آخمد الثورة الدستورية وآعاد الى فرديناند سلطاته الاستبدادية . وقبل ان يختتم المؤتمر آعماله استنجد به ملك سردينيا ضد رعاياه الثائرين ،فآرسلت النمسا الجيش الذى جمعته فى لمبارديا لهذه الغاية دائما لاخماد الثورة فى بيد مونت ،و آعيد بفضل هذا الجيش النظام القديم الى سردينيا.

وفى مايو ١٨٢١ انفض المؤتمر بعد ان آعد منشورا جاء فيه ان الهدف من التحالف الاوروبى انماهو تأييد المعاهدات القائمة والمحافظة على السلام العام وتحقيق

سعادة الامم ،وان التغييرات النافعة والضرورية من الناحيتين التشريعية و الادارية ،والتى تحدث فى داخل الدولة يجب ان تأتى من جانب أولئك الذين أعطاهم " الله " مسؤولية الحكم فى هذه الدول . وهكذا فان المؤتمر لم يقنع بتأييد مبدا التدخل Intervention الذى أسفر عنه مؤتمر تروباو ،بل عمل على ارجاع النظام القديم بحذافيره ،على اساس الاعتراف من جديد بالحق الالهى المقدس للملوك فى الحكم . وقد أدت تلك القرارات الى اتساع شقة الخلاف بين دول الحلف المقدس (روسيا والنمسا وبروسيا) وبين انجلترا بالذات ،مما عجل فى نهاية الامر بفشل نظام الاتحاد الاوروبى . فلقد أعلنت الحكومة الانجليزية استنكارها لما حدث وعدم اعترافها به وتنصلها من تبعاته وتمسكها بما سبق ان اعلنته من قبل .

وفى اثناء انعقاد المؤتمر فى ليباخ قام اليونانيون بالثورة ضد الحكم العثمانى و طالبوا باستقلالهم عن الدولة العثمانية ،وقد نظر مترنيخ الى هذه الثورة على أنها تهديد للحكم الملكى أيا كان نوعه بصرف النظر عما اذا كان الملك فى هذه الحالة السلطان العثمانى المسلم . فليس هناك فارق بين الملك المسلم والملك المسيحى ،فالثورات تهدد كليهما على السواء. وكان من

رأيه ان يقوم بعمل من شأنه تأييد موقف السلطان العثمانى ليحول بذلك دون تدخل روسيا ضد الدولة العثمانية لنصرة اليونانيين • أضف الى هذا ان الثوار فى اسبانيا استطاعوا ان ينتزعوا من الملك فرديناند السابع دستورا أقيمت بفضله الحكومة الدستورية فى مدريد ،و هذا بينما كانت الثورة مشتعلة فى مستعمرات اسبانيا فى امريكا الجنوبية ،فأعلنت الارجنتين استقلالها منذ ٩ يوليو ١٨١٦ وأنشئت ديكتاتورية مستقلة فى براجواى منذ ١٨١٧،وأعلنت ديكتاتورية اخرى فى فنزويلا على يد سيمون بوليفار منذ عام ١٨١٣ ،واستطاع بوليفار كذلك ان يحرر كولومبيا فى اغسطس ١٨١٩ ،و بعد ذلك بعامين تحررت بيرو ،و فى مايو ١٨٢٢ أعلنت المكسيك استقلالها • وفى هذا الشهر ايضا أعلن بدرو Pedro نفسه امبراطورا مستقلا فى البرازيل • وازاء انتشار الثورة فى العالمين الجديد والقديم والتفكير فى التدخل العسكرى فى هذين العالمين من اجل اخماد الثورة بهما ،انعقد مؤتمر فيرونا فى منتصف اكتوبر عام ١٨٢٢ •

مؤتمر فيرونا Verona :

حضر المؤتمر امبراطور النمسا وقيصر الروسيا

وملوك بروسيا وسردينيا ونابولى و جراندوق تسكانيا ودوقة بارما ،ودوق سودينا ،ثم كثيرون من السياسيين وعلى رأسهم مترنيخ . و مثل فرنسا وزير خارجيتها ،كما مثل انجلترا دوق ولنجتون ولورد ستيوارت شقيق كاسلريه ولم يحضر كاسلريه لانه مات منتحرا منذ ١٢ أغسطس ١٨٢٢قبل انعقاد المؤتمر ،ولم يشأ وزير خارجية انجلترا الجديد جورج كاننج الذهاب الى فيرونا لانه لايرتاح لسياسة مترنيخ . و كان على المؤتمر ان يعالج مسألتى اسبانيا وايطاليا ،كما كان منتظرا ان تثيراهتمام المؤتمر الثورة التى قامت فى المورة . ولكن المسألة الاسبانية استغرقت معظم نشاط المؤتمر ،وتركت مسألة ايطاليا من غير الوصول الىحل حاسم بشأنها ، كما لم يجرؤ المؤتمر على بحث المسألة اليونانية لاختلاف الدول فى أمرها.

وفيما يتعلق بالمسألة الاسبانية فقد اظهر المندوبون الفرنسيون عزم حكومتهم على التدخل ليس فقط للقضاء على الثورة فى اسبانيا ،بل ولاخمادها فى مستعمراتها الامريكية كذلك . وأيدت النمسا وروسيا وبروسيا المقترحات الفرنسية ،وفى ٣٠ اكتوبر قرر المؤتمر التدخل المسلح فى شؤون اسبانيا ،وفى ١٩ نوفمبر ١٨٢٢ بعثت هذه الدول بانذار الى مجلس الكورتيز الاسبانى و سحبت سفراءها

من مدريد . وامتنعت انجلترا من مجاراة الدول في هـــذا
العمل ،فأعلن ولنجتون ان الحكومة الانجليزية لاتوافـــق
اطلاقا على أي تدخل في شؤون الدول الداخلية ولاتؤيـــده،
وانفض مؤتمر فيرونا في ١٤ ديسمبر من نفس السنة ،وامـــام
هذا الاصرار فشل اعضاء المؤتمر في ان يتدخلوا ككـــل
لاخماد الثورة الاسبانية . ولكن فرنسا تدخلت بمفردهـــا
وعلى مسؤوليتها الخاصة لقمع الثورة . وقد أغمضت انجلترا
عينيها عن هذا التدخل المنفرد ،ونجحت فرنسا في القضـــاء
على الثورة وفي اعادة ملك اسبانيا الى عرشه مرة أخـــرى.
ولكن المسألة الاسبانية لم تقف عند هذا الحد ،بل مضـــى
وزير خارجية فرنسا شاتوبريـــان Chateaubriand
يريد اخماد الثورة في المستعمرات الاسبانية في امريكـــا
الجنوبية . ولكن هذه المشروعات لقيت معارضة من جانـــب
كاننج الذي أراد ان يظل العالم الجديد يعيش في حريـــة
واستقلال وان يفتح ابوابه للتجارة الاوروبية ،ولانجلتـــرا
أكبر نصيب في هذه التجارة ،وان يغلق أبوابه دون أي
تدخل مسلح من جانب أوروبـــا .

ولقد كان للموقف الذي اتخذه كاننج في المسألـــة
الاسبانية ومستعمرات اسبانيا الامريكية اعظم الاثر فـــي
انحلال نظام مترنيخ بالصورة التي أظهرته بها في هـــذه

الآونة فكرة الاتحاد الاوروبى . حقيقة ان تمادى بعض الدول مثل روسيا والنمسا وبروسيا فى توسيع اختصاصات تلك المؤتمرات أدى الى فشلها . ولقد برر كاننج عدم اشتراكه فى المؤتمرات بأسباب ثلاثة :

١) ان الشعب الانجليزى الذى بنى حياته الدستورية على اساس الثورة لا ينظر بعين الارتياح الى جلوس المندوب الانجليزى الى جانب مندوبى الدول الاستبدادية لعقد الاتفاقات السرية . واذا كانت انجلترا ستتمسك برأيها و بوجهة نظرها فيما يعرض عليها من مشاكل ،فان بريطانيا لايمثلها الا صوت واحد . فهى فى هذه الحالة لن تستطيع التغلب على اصوات الدول الاستبدادية العديدة .

٢) ان نظام المؤتمرات على النحو الذى سار فيه ،قد فرض القوة كوسيلة مشروعة للقضاء على الثورات الداخلية و التى تعتبر من الشؤون الداخلية لكل دولة ولا يجوز التدخل فيه . وان مبدأ التدخل هذا لاتقرة الحكومة الانجليزية ويأباه الشعب الانجليزى.

٣) ان هذه المؤتمرات لاتمثل الا الدول الكبرى فحسب ومن الضرورى ان تشمل المؤتمرات الدول الكبرى و الصغرى على حد سواء . فاهمال تمثيل الدول

الصغرى فيه جعل مصالحها عرضة للضياع ولتسلط
الدول الكبرى عليها .

لقد صممت انجلترا على منع فرنسا ولو أدى ذلك
الى استخدام القوة اذا ماحاولت قوات فرنسا عبور الاطلنطى
والتدخل فى مسائل امريكا الجنوبية ،لأن مصالح انجلترا
التجارية ستكون اذا فى خطر كبير . ولذلك اقترح
كاننج دعوة الولايات المتحدة الى مؤتمر فيرونا وان
تشترك فى مناقشاته . وكان الرأى العام فى انجلترا
فى ذلك الوقت ميالا لمناصرة حرية الشعوب و مناهضة
النظام الاوروبى القائم على ضغط آمال الشعوب و الحد
من حريتها . ثم ماكانت انجلترا تستطيع ان تنسى ان
مصالحها بحرية قبل ان تكون قارية ،وان لها تجارة مهمة
مع امريكا الجنوبية . ثم هى دولة راسمالية تهتم
بالانتاج الصناعى الكبير ومحتاجة الى اسواق عالمية .
فهى اذا مستعدة لان تعترف باستقلال الدول الثائرة فى
امريكا الجنوبية مهما أساء ذلك الى عواطف اسبانيا
التى كانت حليفتها بالامس ضد نابليون . ومن ناحية أخرى
عارضت الولايات المتحدة الامريكية كل تدخل يأتى من
جانب اوروبا ،بالاخرى من جانب فرنسا فى شؤون امريكا

الجنوبية • وكان موقف الولايات المتحدة الامريكية علـــى قدر كبير من الاهمية لأنه أسفر عن وضع مبدأ عام شامـــل يمنع العالم القديم (أى الدول الاوروبية) من التدخـل فى شؤون العالم الجديد بأجمعه ،وليس فيما هو متصـــل بالمستعمرات الاسبانية وحدها فقط • فقد بعث الرئيـــس جيمس منرو (Monroo) فى ٨ مارس ١٨٢٢ برسالـــة الى الكونجرس الامريكى يوصى فيها بضرورة الاعتراف بكـــل مستعمرة اسبانية استطاعت التحرر و الخلاص ،أمة مستقلة •

ودارت مفاوضات بين كاننج والوزير الامريكى فـــى لندن هدفها استمالة الحكومة الامريكية الى استصـــدار تصريح مشترك بينها وبين انجلترا ضد أى تدخل اوروبـــى فى امريكا • ولكن الاقتراح الانجليزى لقى معارضة مـــن جانب وزير الخارجية الامريكية و قتئذ John Quincy A dams الذى بنى رفضه للعمل المشترك مع انجلتـــرا على اعتبارات عدة ،مبعثها خوفه من ان تؤدى هذه المشاركة الى دخول الولايات المتحدة ذاتها فى دائرة النظـــام الاوروبى الذى تسعى لانتزاع انجلترا منه ،ثم خوفـــه من ان التصريح المنشود ضد أى تدخل اوروبى فى امريكـــا لايلبث حتى يتخذ شكلا يدل على ان الدولتين ،انجلتـــرا

والولايات المتحدة ليس غرضهما مجرد الحيلولة وحسب دون استيلاء دولة اوروبية على قسم من املاك اسبانيا فى امريكا بل انهما تتعهدان فوق ذلك بالامتناع ايضا من فعل ذلك ، الامر الذى يغل يد الولايات المتحدة فلا تستطيع فى المستقبل الاستيلاء على بعض الاقاليم التى كانت تريدها مثل تكساس Texas أو كيوبا Cuba وكان آدمز يرغب على وجه الخصوص فى الاستيلاء قريبا على كيوبا . فكان فى رأية اذا ان من الضرورى ان تبتعد الولايات المتحدة كل البعد عن النظام الاوروبى ،وان تحرص على ان يبقى الباب مفتوحا لتضم اليها ماتشاء من الاقاليم فى المستقبل . أى أن آدمز لم يكن يريد التقييد بتصريح يغل يد الولايات المتحدة عن العمل .

وتحت تأثير هذه الاعتبارات أصدر منرو تصريحه المشهور الذى تضمنته رسالته الى مجلس الكونجرس الامريكى فى ٢ ديسمبر ١٨٢٣ . وكان هذا التصريح يشمل المبادىء الآتية : وأولها ان الولايات المتحدة ليست لها أى مصلحة ولاتريد التدخل فى شؤون اوروبا السياسية ،و أنها تريد من الدول الاوروبية وتطلب منها الابتعاد عن التدخل فى شؤون العالم الجديد السياسية بل انها لن تتردد

فى قتال أية دولة تحاول ان تفرض او تبسط سيطرتهـــــــا السياسية فى امريكا ،وأخيرا ان الولايات المتحـــــــدة لاتتدخل فى شؤون المستعمرات والممتلكات الحالية التـــى للدول الاوروبية فى امريكا . ومع ان التصريح الــــــذى تضمنته رسالة منرو الى مجلس الكونجرس الامريكى كـــــان تصريحا من جانب واحـــــــــــد Unilateral فقد جاء محققا للاغراض التى آرادها كاننج . وبينمـــــا انتصرت الرجعية فى اسبانيا امكن ان تنجو امريكـــــا الجنوبية من طغيان الحلف المقدس .

وهكذا تسببت سياسة كاننج فى فشل الحلف المقـــدس وتبعا لذلك فى اخفاق محاولة الدول ان تحكم اوروبـــــا بطريق المؤتمرات . وسبب ذلك ان انجلترا ما كانت تجـــد فى هذه المؤتمرات مايحقق الاغراض التى آرادتهـــــــا سياستها . ولم تكن احتجاجات كاننج مجرد عبارات بليغـــة وحسب ،عندما آخذ يتساءل عن ذلك النفوذ الذى قيل انــــه كان لانجلترا فى مشاورات التحالف الاوروبى ،و الذى قـــال كاننج ان مترنيخ كان يحث الحكومة الانجليزية على عـــدم التفريط به . ثم انبرى كاننج يقول : " لقد رفعنـــــا صوتنا بالاحتجاج فى ليباخ ،وذهبت معارضتنا ادراج الرياح

فاذا كان لنفوذها ان يبقى قائما فى الخارج فالواجب ان يعتمد هذا النفوذ على مصادر القوة فى داخل بلادنا ، وتلك تكون بالتعاطف و التفاهم بين الشعب و الحكومة ، وتتم فى الاتحاد بين الشعور السائد والمشورة التى يتفق عليها الرأى العام ،ثم فى الثقة المتبادلة والتعاون الكامل بين مجلس العموم والتاج البريطانى ." و هكذا كان معنى تحطيم سياسة التدخل اخفاق فكرة الاتحاد الاوروبى ،و عندما تمسكت انجلترا بمبدأ عدم التدخل، كانت فكرة الاتحاد الاوروبى مقضيا عليها بالفشل كما ارادته الدول الاوتوقراطية . وانقسمت الدول الى قسمين : قسم الدول الاوتوقراطية وهى روسيا والنمسا وبروسيا (اعضاء الحلف المقدس الاصلية) ،وقسم الدول المتمسكة بالمبادىء الحرة و هى الدول الغربية انجلترا و فرنسا ثم الولايات المتحدة الامريكية التى وقفت الى جانب انجلترا فى مشكلة المستعمرات الاسبانية فى امريكا ، فعطلت مطامع و أغراض الدول الاوتوقراطية الرجعية صاحبة مبدأ التدخل فى شؤون الدول الداخلية .

الفصل الرابع

فرنسا من ١٨١٥ الى ١٨٥٢

- فرنسا وحكم البربون الجديد .
- لويس فيليب وملكية الاورليان .
- فرنسا من الجمهورية الثانية الى قيام الامبراطورية .

الفصل الرابع

فرنسا من ١٨١٥ الى ١٨٥٢

عقد الحلفاء معاهدة شومون فى اول مارس ١٨١٤ لمواصلة الكفاح ضد نابليون ،وفى ٣٠ مارس من السنة نفسها دخلت جنودهم باريس و عاد البوربون معهم الى عاصمة ملكهم القديمة . فدخل لويس الثامن عشر الى باريس فى ٣ مايو ١٨١٤ ،ثم استتب له الامر فى فرنسا نهائيا بعد حكم المائة يوم واتهزم نابليون فى موقعة واترلو (يونيه ١٨١٥) وذهابه الى المنفى .

ومنذ البداية كان مقضيا بالفشل على ملكية البوربون العائدة لاسباب متعددة وهى :

١) أخفق البوربون فى ايجاد حلول موفقة للمسائل و التى واجهتهم عند استلامهم الحكم .

٢) اخذ البوربون بالمبادىء والاساليب الرجعية متناسين جميع التغييرات التى حدثت فى داخل البلاد منذ بداية الثورة الفرنسية حتى عام ١٨١٤

٣) كانت المشكلة الكبرى التى ورثتها الملكية العائدة من عهد الثورة ونابليون هى محاولة التوفيق بين هدفين مختلفين : انشاء نوع من الحكومة ترضى عنه

البلاد ،واتباع سياسة خارجية ترضى عنها الدول •
ولكن فشل البوربون فى اقامة حكومة يرضى عنها
الفرنسيون ،فانتهى الامر بقيام ثورة ١٨٣٠• كما
اخفقت ملكية أورليان التى تولت الحكم بعد ثورة
١٨٣٠ لأن لويس فيليب اتبع سياسة خارجية كانت
متعارضة تماما مع رغبات الامة •

ويدور تاريخ فرنسا منذ عام ١٨١٥ حتى انشاء
الجمهورية الثالثة عام ١٨٧١ حول آمرين هامين : أولهما
رغبة الفرنسيين فى القضاء على تسوية فينا التى ارتبطت
فى أذهانهم بانكماش حدود بلادهم ،واصطدام هذه الرغبة
بتصميم الدول الاوروبية على التمسك بالتسوية كأساس
للنظام الاوروبى • وثانيهما ،رغبة الطبقة المتوسطة
(البورجوازية) التى جنت اعظم فائدة من الانقلابات
والتغييرات الاقتصادية والاجتماعية التى حدثت ايام
الثورة و عهد نابليون فى ان تظل محتفظة بما فى أيديها
من مزايا عن طريق انشاء حكومة دستورية تقف حائلا أمام
اتجاهين :

١) عودة النظام القديم بدعاماته الثلاث : الملكية
المطلقة ،والكنيسة ذات الاراضى و الاملاك الواسعة

وارستقراطية النبلاء الوراثيـــة ٠

٢) تسرب المبادىء الاشتراكية الى طبقات الصناع والعمال و تغلغل هذه المبادىء فى كيان المجتمع حتـــــى لاينجم عن ذلك افساح المجال لعناصر جديدة تشتـــرك مع الطبقة البورجوازية فى الحكم عن طريق التوســع فى قواعد الانتخابـــات ٠

وقد أدت هذه العوامل كلها الى قيام ثورات ١٨٣٠ ، ١٨٤٨٠

فرنسا وحكم البوربون الجديـد :

انحصرت مهمة البوربون عند عودة لويس الثامن عشــر الى عرش فرنسا فى آمريـــن اثنين :

(١) التوفيق بين مبدآين متناقضين : الشرعيـــــــــــة Legitimacy و هو مبدآ العهد القديـــم و سيادة الشعب و هو ثمار الثـورة ٠

(٢) عقد الصلح للمرة الثانية مع الحلفاء المنتصرين ٠

وقد رفض تاليران رئيس الوزراء ابرام المعاهدة القاسية معتمدا فى رفضه على امكان اثارة غضب الشعب . ولكن الملك الحذر لم يشأ اثارة آزمة بينه وبين الحلفاء، فاستقال تاليران ،وخلفه فى الوزارة الجديدة دوق ريشيليو Richelieu فى ٢٤ ديسمبر ١٨١٥ ،ووقع ريشيليو على معاهدة باريس الثانية فى ٢٠ نوفمبر١٨١٥.

وكان لويس الثامن عشر قد اصدر فى ٤ يونيو ١٨١٤ الميثاق او العهد الدستورى ،و حكمت فرنسا وفق احكام هذا الدستور منذ عام ١٨١٤ حتى قيام الثورة فى يوليو ١٨٣٠ . و كانت مآخذ هذا الدستور و نقائصه من اسباب تلك الثورة الرئيسية . وقد تألف هذا العهد الدستورى من مقدمة وستة وسبعين بندا . وجاء فى المقدمة ان كل السلطة ترتكز فى شخص الملك . ومن مواد الدستور الست والسبعين ،ضمنت الاثنتى عشرة مادة الاولى حقوق المواطنين الفرنسيين ،و هى المساواة امام القانون بصرف النظر عن الالقاب والرتب ،و حق الجميع فى شغل الوظائف المدنية والعسكرية ،ثم ضمان حرية الفرد باحترام القانون ،فلا يجوز القبض على انسان اوان توقع عليه عقوبة الا بمقتضى اجراء قانونى . ولكن الدستور الذى اعطى فيه الحرية الفردية لجميع المواطنين الفرنسيين

ترك الامة فى مجموعها من غير ضمان لحرياتها ،لان ضمان حريات الامة انما يكون بدعم المسؤولية الوزارية،وذلك بأن يتولى السلطة التنفيذية مجلس وزراء يرتبط بقاؤه بثقة المجلس الذى تنتخبه الامة ،أى البرلمان . و ذلك ضمان كان الدستور خلوا منه . فقد جاء فى المادة الثالثة عشرة : " ان شخص الملك مقدس ولايمكن ان يمسه شئ،ووزراؤه مسؤولون ،والملك وحده صاحب السلطة التنفيذية" ،ومع ذلك فقد تركت هذه المسؤولية الوزارية من غير حل. ففى حين كان للملك الحق فى تعيين وزرائه ،لم يذكر الدستور اذا كان من واجب الملك ان يختار هؤلاء من بين الاكثرية فى المجلس حتى تكون حكومته برلمانية او دستورية، وعلى كل الاحوال فقد صار يفسر كل من لويس الثامن عشر وشارل العاشر من بعده هذه المادة الثالثة عشرة بأنها تخولهما حق دعوة الوزارة واقالتها حسب مشيئتهما دون التقيد فى ذلك برغبة مجلس النواب .

وتألفت بمقتضى هذا الدستور الهيئة التشريعية من مجلس للاعيان ،و آخر للنواب ،وصار للملك الحق فى منح القاب الشرف والنبل وراثة او لمدى الحياة فقط . اما مجلس النواب فكان يتكون من نواب ينتخبون لمدة خمس سنوات ،وقد جعل حق الانتخاب مقصورا على الذين يدفعون

ضرائب مباشرة قدرها ثلاثمائة فرنك سنويا و لاتقل اعمارهم عن ثلاثين سنة ،بينما اشترط فى الناخب ان يبلغ الاربعين او يزيد ،ويدفع ضريبة مباشرة قدرها الف فرنك سنويا على الاقل ،و هى شروط فى صالح طبقة الاغنياء فقط . ولذلك فان مجلس النواب سرعان ماصار أداة حكومية تمثل مصالح الاغنياء . وصار عدد المتمتعين بحق الانتخاب يقلون عن مائة الف ناخب من مجموع تسعة وعشرين مليون نسمة ،هم سكان فرنسا . واما الذين يصلحون للنيابة فكانوا اثنى عشر الفا فقط . و كان يتجدد خمس عدد النواب سنويا ،وللملك الحق فى حل مجلس النواب فى اى وقت واجراء انتخابات عامة جديدة .

تبع عودة الملك الى باريس فى يوليو ١٨١٥ وقوع حوادث دامية كثيرة خصوصا فى جنوب فرنسا ،وانتشر ما يعرف بالارهاب الا بيض ،ولم تتردد الملكية العائدة فى الانتقام من رجال العهد الماضى . ولما كانت وزارة تاليران التى استمرت فى الحكم من يوليو الى سبتمبر ١٨١٥ قد اظهرت بعض الاعتدال فى موقفها من الحوادث الانتقامية فقد أبعدت من الحكم وخلفتها وزارة ريشليه .
وفى عهده حوكم المارشال ناى أحد الابطال العسكريين

فى عهد نابليون و أعدم فى ديسمبر ١٨١٥ ٠ وفى وسط موجة الارهاب هذه تم انتخاب المجلس الاول فى أغسطس ١٨١٥فدخل المجلس عددكبير من مؤيدى الملكية العائدة عرفوا باسم الملكيين المتطرفين (Ultras) ٠ وتزايد الارهاب الابيض بعد تأليف مجلس النواب ،و عندئذ اضطر الملك الى حل المجلس فى سبتمبر ١٨١٦ ٠ وفى الانتخابات الجديدة حصلت وزارة ريشيليه على اكثرية من العناصر الملكية المعتدلة ،أيدت سياسة التهدئة والتسكين التى اتبعها ريشيليه فى الداخل والخارج معا٠

ولما كان خمس عدد الاعضاء يتجدد سنويا ،فقد بدأ جماعة من الاعضاء المستقلين و الاحرار يدخلون مجلس النواب بعد عام ١٨١٦ ،حتى اذا كان عام ١٨١٨ ،اصبح من الميسور ملاحظة وجود اختلاف فى الرأى بين اعضاء المجلس وأمكن التمييز بين احزاب ثلاثة ظاهرة هى :

١) حزب اليمين : وهم الملكيون المتطرفون وشعارهم الحرب ضد الثورة ،وأقدر رجالهم فيليل وشاتوبريان Chateaubriand وصحيفتهم الجورنال دى ديبا (Journal des Debats).

٢) حزب الوسط : وهؤلاء من الملكيين المعتدلين، ويهدفون للتوفيق بين الملكية و الثورة ،وأقدر رجالهم ريشيلييه وديكاز .

٣) حزب اليسار : وهؤلاء من الاحرار الذين قبلوا الملكية ولكنهم ارادوا انشاء حكومة مسؤولة على الطراز الانجليزى .

وكان اصحاب السطوة و النفوذ عند عودة ملكية البوربون ،الملكيون المتطرفون ألد أعداء الثورة. وكان برنامج المتطرفين يستند الى فكرة اساسية هى احياء النظام القديم وانما مع تعديلات تتفق قبل كل شئ مع مصالح طبقة النبلاء و الاشراف التى هى طبقتهم وان لم تكن هذه التعديلات ملائمة لصالح الملكية نفسها. وقد وجدوا ان خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية هى ارجاع الكنيسة الكاثوليكية الى سابق سطوتها ،وعقد محالفة وثيقة بين الكنيسة و الدولة . وحتى تتمكن الكنيسة الكاثوليكية من استرجاع سطوتها و مكانتها ،آراد المتطرفون ان تستعيد الكنيسة جميع الاملاك التى اغتصبت منها ايام الثورة و كانت لاتزال فى حوزة الدولة . ثم انهم أعطوا رجال الدين حق الاشراف على التربية والتعليم.

و على العموم يتلخص برنامج المتطرفين فى :

أ) اقامة الملكية المستقرة والقائمة على دعائم موطدة .

ب) انشاء الكنيسة الغنية صاحبة الاملاك الواسعة

حـ) الاستئثار بقسط وافر من السلطة السياسية التى ظلوا حتى هذا الوقت محرومين منها .

و أما المعتدلون ـ من جماعات الوسط واليسار ـ فقد دافعوا من الثورة ،وأرادوا استمرارها و لكن من غير الروح الثورية . وتمسكوا بكل قوة بتراث الثورة ، وماكانوا يرضون بعودة النظام القديم بحال من الاحوال، ولذلك فقد تعذر أى اتفاق بينهم وبين المتطرفين . وقد تمسك المعتدلون بالدستور الذى أصدره لويس الثامن عشر ،لان هذا الدستور قضى نهائيا على تقاليد النظام القديم ،و أحل مكانها تقاليد الثورة والامبراطورية النابليونية ،حيث قد آخذ عن الثورة مبادىء التسامح والمساواة أمام القانون و عدم التمييز بين الطبقات فى خدمة الدولة ،أى فتح ابواب الوظائف أمام الجميع ، بينما آخذ من الامبراطورية أداة الحكومة المركزية .

وكان واضحا ان التوفيق متعذر بين حزبى المتطرفين والمعتدلين ،وان لامفر من سقوط آحد هذين الحزبين وخروجه من الميدان السياسى فى آخر الامر ،لأن فرنسا لم تكن تستطيع احتمال الصراع الى ما لا نهاية من اجل الاستئثار بالسلطة و النفوذ بين هذين الفريقين. واما نتيجة هذا الصراع فكانت اندحار المتطرفين . ولم يكن لويس الثامن عشر يجهل حقيقة مركزه المزعزع ،و لذلك عمد الى حل ذلك المجلس الذى ضم متطرفى الملكيين و عهد بالوزارة الى ريشيليو من المعتدلين - فى الظروف التى ذكرناها (فى سبتمبر ١٨١٦).

ونجحت وزارة ريشيلييه فى سياستها الخارجية ،عندما كسب ريشيلييه ثقة الحلفاء ،وتقرر فى مؤتمر اكس لاشابل (١٨١٨) انسحاب جيوش الاحتلال من فرنسا . ولكن الانتخابات الجديدة آسفرت عن دخول عناصر جديدة عززت جماعة الاحرار فى المجلس ،فأجبر هؤلاء ريشيلييه على الاستقالة فى ديسمبر ١٨١٨ و عندئذ تولى الوزارة دوق ديكاز ،و هو كسلفه من المعتدلين . وقد اعتمد ديكاز على موازرة الاحرار فى المجلس ،فألغى فى اول مايو ١٨١٩ الرقابة على الصحف، و تقررت حرياتها . ولكن مقتل دوق دى برى فى فبراير ١٨٢٠ سرعان ما آثار ضد ديكاز العناصر المتطرفة ،فقطن

وزارته . و كان ذلك بداية التغيير الذى أدى الى سيطرة الرجعيين والمتطرفين على شوءون الحكم فى فرنسا بشكل أدى فى النهاية الى انفجار ثورة يوليو ١٨٣٠.

وجد المتطرفون ان الوقت غير مناسب لتولى انصارهم الوزارة ،ولذلك فقد عهد الى ريشيلييه بتأليف الوزارة الجديدة . و فى عهده أعيدت الرقابة على الصحف ،ثم صدر قانون الانتخاب فى يونيو ١٨٢٠ ،ضيق حقوق الانتخاب لمصلحة الطبقة المالكة الغنية . وقد ترتب على هذا النظام دخول اكثرية متطرفة الى مجلس النواب ،لم تكن ترضى عن اعتدال ريشيلييه ،فلم تلبث ان اضطرته الى الاستقالة فى ديسمبر ١٨٢١ . فألف الوزارة الجديدة زعيم المتطرفين الكونت دى فيليل الذى استمر فى الوزارة سبع سنوات من عام ١٨٢١ الى عام ١٨٢٧ . وكانت سياسة فيليل رجعية بحته ،ولكنه اتبع فى تنفيذها أساليب دلت على المهارة والحنكة . وكان فيليل مصمما على المضى فى تجربته الرجعية مهما كانت النتائج . فشدد فيليل الرقابة على الصحف (١٨٢٢) و فرض ضرائب عالية على الواردات ارضاء لاصحاب المصالح الاغنياء ،و أعطى الكنيسة حق الاشراف على التربية والتعليم . ولاضعاف الاكثرية الحرة

فى مجلس النواب استصدر قانونا للانتخاب عام ١٨٢٣ جعل مدة مجلس النواب سبع سنوات بدلا من خمس فيتجدد سبع أعضاء المجلس فقط كل سنة بدلا من خمس اعضائه . وفى عام ١٨٢٤ عظم نفوذ المتطرفين فى مجلس النواب . و فى ١٦ سبتمبر ١٨٢٤ توفى لويس الثامن عشر ،وتولى من بعده اخوة الكونت دارتوا باسم الملك شارل العاشر.

و كان الملك الجديد عظيم الاعتقاد بأن للملوك حقا مقدسا فى الحكم ،ثم انه كان صاحب ميول شديدة نحو الاكليريكية ،(أى لتأييد الكنيسة) حتى صار الملكيون يعرفون الآن باسم (حزب القساوسة) Parti-Pretre ولم يكن من المنتظر وقد ناهز الملك السابعة والستين من عمره ان يتخلى عن معتقداته أو أن ينحرف من ميوله . ولذلك فقد استطاع فيليل الذى بقى فى رياسة الوزارة ان ينفذ برنامج الملكيين المتطرفين بحذافيره . ولما كانت سياسة التحالف بين العرش و الكنيسة التى حرى عليها فيليل قد أيقظت مخاوف الامة ،وتركزت المعارضة الحرة ضدة فى مجلس الاعيان ،فقد عمد فيليل من اجل التغلب على هذه الصعوبات الى خلق ستة وسبعين نبيلا جديدا فى عام ١٨٢٧ ،ثم انه بادر بحل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة .

ولكن نتيجة الانتخابات جاءت على خلاف ماكان يرجوه ، فاستطاع الاحرار ان يؤلفوا اكثرية معارضة فى المجلس الجديد ،و عندئذ اضطر فيليل الى الاستقالة بعد حكومة دامت سبع سنوات . وبعد شهر من استقالة فيليل ،اضطر شارل العاشر الى قبول وزارة " معتدلة " فألف الكونت دى مارتينارك (Martignac) الوزارة الجديدة وكانت غايته الاعتماد على احزاب الوسط فى الحكم ،و لكنه فشل فى استمالة الاحرار والمعتدلين ،ولم ينل تأييد الملكيين المتطرفين ،كما ان الملك وجده " معتدلا " اكثر مما ينبغى ،فاتحدت كلمة الاحرار و المتطرفين ضده ،و سقطت وزارته فى ابريل عام ١٨٢٩ .

كلف الملك البرنس حول دى بولينياك بتأليف الوزارة الجديدة ،و قابل الرأى العام الفرنسى هذا النبأ بغضب شديد ،لان بولينياك كان احد زعماء المهاجرين فى عهد الثورة . ثم ان بولينياك كان قد احتج فى عام ١٨١٥ ضد الدستور ورفض ان يقسم يمين الولاء له وبقى سنوات طويلة من أقرب المقربين الى شارل العاشر . وبمجرد وصوله الى الحكم ،أعلن بولينياك عزمه على " اعادة تنظيم المجتمع و اعادة ماكان لرجال الدين من نفوذ و شأن فى اعمال الدولة ،وانشاء ارستقراطية قوية و احاطة هذه

الارستقراطية بالامتيازات " . و لكن بولينياك لم يكن لضعفه و تردده الرجل الذى فى استطاعته حقا تنفيذ هذا البرنامج الرجعى المتطرف . بل انه صار يعتمد على كسب الانتصارات الخارجية فى استمالة الامة الى تأييد سياسته ،فاحتل الجزائر عام ١٨٣٠ ،واعتمد على هذا الانتصار ،فأجرى انتخابات جديدة ،ولكن نتيجة هذه الانتخابات جاءت على عكس ماكانت الحكومة تنتظر ومع ذلك أصر بولينياك على بقاء الوزارة على حالها ، و على تعديل قانون الانتخاب وتقييد حرية الصحافة .

ولم تلبث الحكومة ان شعرت بحرج مركزها عندما أتت الانتخابات بأكثرية معارضة لها فى مجلس النواب، وعندئذ لم يجد شارل العاشر ووزيره مخرجا من هذا المأزق الا يحل المجلس ولم يجتمع بعد . وفى ٢٥ يوليو ١٨٣٠ صدرت " مراسيم سان كلو الاربعة الشهيرة" (وكان سان كلو أحد قصور شارل العاشر) و تعلن :

١) حل مجلس النواب .

٢) ادخال تغييرات على قانون الانتخابات .

٣) دعوة الهيئة التشريعية للاجتماع يوم ٢٨سبتمبر

٤) تقييد حرية الصحافة .

وبمجرد ذيوع نبأ هذه المراسيم الاربعة نزلت أسعار الاوراق المالية واحتج عليها كبار العلماء ،وتوقف المصرفيون فى باريس عن اجراء عمليات الخصم ،وتعذر على اصحاب الصناعة الحصول على المال او الاقتراض ،وطفقوا يخرجون من مصانعهم العمال فى اعداد كثيرة . وسرعان ما أقيمت المتاريس فى الشوارع ووقع الاصطدام بين العمال و الجنود ،و سفكت الدماء . وعندئذ تسلح أعضاء الحرس الاهلى القديم (وكان قد أنحل منذ عام ١٨١٨) ،واستولى الثوار على مكاتب الحكومة ودواوينها وامتنع عن الحكومة المال . وتولى الجمهوريون تنظيم الثورة ،وسيطر البورجوازيون عليها واتحدت كلمة العمال الذين هدفوا الى اغراض سياسية وحسب ،فلم يطلبوا تغييرات اجتماعية .

و فى ٢٨ يوليو اجتمع ثلاثون عضوا من أعضاء المجلس المنحل فى منزل المصرفى الغنى كازمير بريية ،وكان يكره الفوضى و " حكم الغوغاء " . وتقرر تأليف حكومة مؤقتة اتخذت مقرها فى مبنى (اوتيل دى فيل) و عرضت رياسة الحرس الاهلى على لافاييت رجل الثورة القديم ، فقبل المنصب ،وعرض التاج على لويس فيليب دوق أورليان وعبثا حاول شارل العاشر اصلاح الخطأ الذى ارتكبه ، فسحبت الحكومة المراسيم الاربعة فى ٢٩ يوليو ،و لكن هذا

الاجراء جاء متأخرا ،كما لم تفلح محاولة اخرى عندما
آراد شارل العاشر التنازل لصالح حفيده ابن دوق دى برى
وهو دوق دى بوردو Bordeau فدخل لويس
فيليب الى باريس يحمل شارة الثورة المثلثة الالوان،
و حينئذ لم يجد شارل العاشر مناصا من مغادرة فرنسا
الى انجلترا ثم انتقل الى النمسا ومات بها فى عام١٨٣٦.

ولثورة يوليو آهمية كبير فى تاريخ فرنسا ،ولو آنه
كان يبدو وان هذه الثورة فى ظاهرها لم تحدث تغييرات
جوهرية ،فقد بقيت الملكية نظاما للحكم بالرغم من اقصاء
البوربون عن العرش ،بل ان العرش انتقل الى آسرة
اورليان ،وهى فرع من آسرة البوربون ذاتها . ورغم ان
الجمهوريين هم الذين نظموا الثورة و تسلموا زمامها،
فكان من المتعذر بل من المستحيل اقامة الجمهورية
فى فرنسا لان اوروبا فى عام ١٨٣٠ كانت ولاشك تفسر انشاء
الجمهورية بأنه عمل عدائى تقصد فرنسا ان تتحداها به،
ولايمكن ان ترضى اوروبا به . وعلاوة على ذلك فان ثورة
يوليو لم تفشل فقط فى ازالة الملكية ،بل آخفقت كذلك
فى ادخال تغييرات واسعة على الدستور نفسه ،ولم
تحقق سيادة الامة . فقد اهتم مجلس النواب قبل دعوة
لويس فيليب للحكم باعداد دستور جديد حتى يقسم الملك

يمين الولاء له عند تنصيبه ،ولم يكن هذا الدستورالجديد فى الحقيقة الا دستورعام ١٨١٤ مع تعديلات بسيطة تناولت المواد التى سببت المتاعب فى الماضى . فعدلت المادة الرابعة عشرة بشكل يجيز للملك استصدار المراسيم الضرورية لتنفيذ القوانين ،ويمنعه فى الوقت نفسه من وقف القوانين او تعطيلها . وكذلك لم يعد اقتراح القوانين من حق الملك وحده بل صار المجلسان (النواب والاعيان) يتمتعان بهذا الحق ايضا ،ثم جعلت جلسات مجلس الاعيان علنية مثلها فى ذلك مثل جلسات مجلس النواب وبدلا من النص على الكاثوليكية ، اصبح الدين الذى يعتنقه اكثرية الفرنسيين هو دين الدولة الرسمى . وعلاوة على ذلك ،فقد اختفت من الدستور الجديد تلك المقدمة التى اشتمل عليها دستور ١٨١٤ و التى آيدت نظرية حق الملك المقدس فى الحكم . ثم صدر قانون بقواعد الانتخاب الجديد فى عام ١٨٣١ ظل معمولا به حتى عام ١٨٤٨ ،ووسع بمقتضاه حق الانتخاب حتى يشمل الذين يدفعون مائتى فرنك ضرائب عقارية بدلا من ثلاثمائة فرنك . وواضح من ذلك ان ملكية يوليو كانت تعتمد على طبقة اصحاب الملاك آى الطبقة المتوسطة الغنية (البورجوازية) . وهكذا وجد أولئك الذين اشتركوا فى ثورة يوليو و خصوصا العمال الذين حرموا السلطة السياسية انهم قد خدعوا

فى آمالهم و أغراضهم . و كان اعتماد ملكية يوليو على الطبقة المتوسطة (البورجوازية) و على جماعة اليمين من هذه الطبقة ،وهم اصحاب سياسة الجمود من عوامل ضعف هذه الملكية التى سميت بملكية يوليو أوملكية الاورليان .

لويس فيليب و ملكية أورليان :

لقد تعددت العوامل ـ الى جانب الاعتماد على طبقة البورجوازية وعلى اصحاب سياسة الجمود ـ التى سببت ضعف ملكية اورليان وأدت الى زوالها . وهذه العوامل هى :

(١) كان من اخطر هذه العوامل تلك التى ارتبطت بنشأتها وطبيعة تكوينها فناقش الكثيرون ما اذا كان لويس فيليب يحكم مستندا الى حق الملوك المقدس فى الحكم ،او الى رغبة وارادة الشعب الممثلة فى نوابه . وواضح ان ملكية يوليو ـ وهى وليدة الثورة ـ ماكانت تستند اطلاقا الى حق الملوك المقدس فى الحكم . كما ان هذه الثورة قد اطاحت بمبدأ الشرعية الذى أيده مؤتمر فينا وتمسك به المتطرفون الملكيون ورغم ذلك تساءل الكثيرون اذا كان اعتلاء لويس فيليب يعنى فى هذه الظروف ان السيادة قد صارت متركزة فى الشعب . و أما

الذين خالفوا هذا الرأى فكانت حجتهم ان التشبث بهذا الكلام معناه ان ملكية يوليو ليست فى حقيقة الامر الا جمهورية ،فى حين ان الجمهورية كنظام للحكم قد رفضت تماما • وقد أفصح لويس فيليب نفسه عن نظرية الملكية هذه ،عندما قال : " انه يملك بفضل من الله وبناء على ارادة الأمة " و هذا كان الاساس القانونى الذى استندت اليه ملكية يوليواساسا غير ثابت ،و من اول الامر موضع مناقشة كبيرة •

(٢) لم تكن لملكية يوليو سيطرة موطدة فى داخل البلاد و هيمنة تامة على شؤونها ،ومرجع ذلك الى ان الذى فصل فى عام ١٨٣٠ فى مصير فرنسا كان مجلس النواب ، وهو مجلس سبق ان حله شارل العاشر ولكنه اجتمع من تلقاء نفسه لتقرير مسألة اعطاء التاج الى لويس فيليب ،فلم يكن اجتماعه اذا قانونيا • اضف الى ذلك ان الذين اشتركوا فى بحث هذه المسألة كانوا ٢٥٢ عضوا فقط من ٤٣٠ ،وان الذين أعطوا اصواتهم فى صالح لويس فيليب كانوا ٢١٩ ،أى أنه كان مشكوكا فى مركز هذه الملكية من الناحية القانونية منذ البداية • ونتج عن ذلك ان ملكية يوليو صرفت كل جهودها للعمل على توطيد مركزها

ووجهت معظم نشاطها لبسط سيطرتها على الشعب الفرنسـى ودعم جهودها لاسيما وانها لم تكن ذات أصول بعيدة اوتعتمد على تقاليد عتيقة تفرض احترامها على الشعب •

(٣) كان بقاء ملكية يوليو محوفا بالمخاطـر من كل جانب • ومن أشد هذه المخاطر وجود الاعـداء الخارجيين الذين انكروا عليها حق البقاء نفسه ،ثـم وجود الانقسام فى صفوف أنصار هذا النظام الجديد الذيـن اختلفت آراؤهم بشأن السياسة التى وجب على ملكيـة يوليو اتباعها فى الداخل والخارج معا • أما الاعـداء الخارجيون فهم الشرعيون الذين يطالبون بالعرش لـدوق دى بوردو حفيد شارل العاشر • و الى جانب هؤلاء الشرعييـن كان هناك الجمهوريون ،وبعض هؤلاء من الطبقة البورجوازية والبعض الآخر من العمال ،ويطالبون جميعهم بحق الانتخـاب العام • وهؤلاء الجمهوريون الذين استطاع لافاييت أيـام الحكومة المؤقتة ان يجذبهم لاقامة ملكية يوليو بعـد ان آكد لهم انها سوف تكون " افضل انواع الجمهوريـات المعروفة ،ثم تبين للجمهوريين بعد ذلك انهم خدعـوا فكان نشاطهم الى جانب نشاط الشرعيين مصدر خطر كبيـر على ملكيـة يوليـو •

(٤) من الاخطار التى تعرضت لها ملكية يوليو وقوع الانقسام فى صفوف مؤيدى هذه الملكية أنفسهم. فقد انقسم هؤلاء الى فريقين : فريق اصحاب الحركة و التقدم، وفريق الجمود والمقاومة من المحافظين ،وكان على رأس التقدميين لافيت Lafitte وهو من أغنياء المصرفيين فى باريس ثم لافاييت . وكان من راى هذا الحزب أن ثورة يوليو ١٨٣٠ لم تنته بمجرد اعتلاء لويس فيليب العرش بل هى باقية ومستمرة وطالبوا فى برنامجهم الداخلى اجراء عدة اصلاحات ديمقراطية . أما حزب الجمود من جماعة المحافظين فكان زعماءه كازمير بريبه وجيزو ،ودوق دى بروجلى. وهذه الجماعة اعتقدت ان ثورة يوليو ١٨٣٠ قد انتهت ،وذلك بمجرد ان قبل لويس فيليب الدستور المعدل (٩ أغسطس ١٨٣٠) واعتلى العرش . وكان فى رأيهم ان ثورة يوليو أحلت ملكا يريد المحافظة على النظام البرلمانى كما تأسس فى عام ١٨١٤ محل ملك آخر كان يريد القضاء على هذا النظام . وقد كان مصير الملكية متوقفا لدرجة كبيرة على الطريق الذى سوف تسلكه فى ادارة شؤون الحكم. ولقد فضل لويس فيليب الاعتماد على حزب المحافظين او الجموديين ولو أنه لم يستطع فى اول الامر ان يقطع كل صلته بحزب التقدم . ولذلك فقد ظل الملك منذ ان استقام له الامر يشكل وزارات تجريبية من الحزبين ،ولكن هذه الوزارات

الائتلافية ،بسبب طبيعة تكوينها نفسه عجزت عن السير على سياسة واضحة متماسكة ،مما ترتب عليه استمرار هياج الخواطر فى باريس ،و مطالبة الجماهير باعدام وزراء شارل العاشر . ونتج عن ذلك ان ركدت الاعمال و تعطل الصناع الذين غادر منهم حوالى مائة و خمسين ألفا باريس للبحث عن عمل فى جهات آخرى . وتزعزعت الثقة فى الحكومة .

وشعرت الطبقة البورجوازية بالاطمئنان على مصالحها فانحازت الى جماعة المحافظين الجموديين ،و بذلك تمهد الطريق امام هذا الحزب ليصل الى السلطة . و فى ١٣ مارس ١٨٣١ عهد الملك الى كازمير بريبه بتأليف الوزارة من حزب الجموديين المحافظين ،وهو الحزب الذى ظل يتمتع بالسلطة ،مع تغييرات طفيفة حتى نهاية عهد هذه الملكية .

غداة تأليفه الوزارة ،أفصح كازمير بريبه Casimir Perier رجل الجموديين او المحافظين الاول ، عن برنامجه فى الحكم ،وهو المضى فى تنفيذ المبادىء التى جاءت بها ثورة يوليو من غير ضعف ،ودون حاجة للتطرف . ووصف بريبه القواعد التى تسير عليها سياسة الحكومة الداخلية بأنها استتباب النظام و تنفيذ

القوانين واحترام السلطات وعودة الامن العام الى نصابه واستقرار الهدوء و السكينة . وقال من سياسته الخارجية ، ان الواجب يقتضى ان تقوم هذه على القواعد نفسها التى ذكرها ،ثم انه وضع مبدأ عدم التدخل بمعناه المزدوج، أى عدم تدخل الحكومة الفرنسية فى جانب الشعوب الثائرة على حكوماتها ،ثم عدم تدخل الدول الاوروبية فيما يجرى من احداث وراء كل منها . واعتمد كازمير بريبه فى سياسته الخارجية لتعزيز مركز ملكية يوليو ،على انشاء تفاهم وثيق، مع بريطانيا . ولقد ظل هذا التفاهم الودى بين انجلترا وفرنسا دعامة قوية تعتمد عليها ملكية يوليو ليس فى علاقاتها الخارجية وحسب ،بل وفى مركزها الداخلى كذلك ، الى الوقت الذى قضى فيه على هذا التفاهم بسبب اصطدام مصالح الدولتين فى عام ١٨٤٦ فى مسألة الزواج الاسبانى . ولكن كازمير بريبه لم يستمر طويلا فى الحكم اذ أصيب بالكوليرا وتوفى فى ١٦ مايو١٨٣٢.

ومع ان الملك آلف جملة وزارات بعد ذلك من حزب المحافظين الجموديين ،فقد بقيت المبادىء التى وضعها كازمير بريبه هى المبادىء التى استرشدت بها هذه الوزارات . الا ان التمسك بهذا البرنامج بشقيه الداخلى و الخارجى ،كان معناه فى نظر الشعب الفرنسى ان ملكية يوليو قد اخفقت فى تبرير وجودها . وفى عهد تلك الوزارات

كان أول ماعنيت به الملكية ، العمل من احل الاحتفـــــاظ ببقائها امام معارضة الشرعيين و الحمهوريين الذيـــن تآمروا لقلب ملكية يوليو . ففى يونيو ١٨٣٢ حـــرك الجمهوريون الثورة فى باريس و ذلك بعد وفاة كازميـــر بربيه مباشرة ،و لكن آحدا من الزعماء لم يشترك فـــى هذه الحركة ،وامتنع العمال عن المساهمة فيها ،فقضـــت الحكومة على الثورة بعد قتال استمر يومين فى شـــوارع باريس . ولم ييأس الحمهوريون بسبب هذا الفشل فقامـــوا بالثورة فى عدة أماكن . على ان الحكومة التى قضت علـــى هذه الثورات لم تحاول استمالة العناصر المعادية لهـــا، او ان تبحث مشاكل العمال التى كانت من اسباب هـــذه الاضطرابات ،بل وجهت كل اهتمامها لمجرد القضاء علـــى الجمهوريين خصومها السياسيين قضاء مبرما . وبفضـــل المحاكمات والاساليب الصارمة التىاتبعتها الحكومة مـــع معارضيها آمكن اسكات الحمهوريين فترة طويلة . ووقعـــت ست حوادث اعتداء على حياة الملك فيما بين ١٨٣٥،١٨٤٦ ، واكتشفت مؤامرات كثيرة لاغتياله اشترك فيهاالحمهوريـــون وتعد هذه الاعمال من الامور التى اضعفت من شأن الحمهوريين وقيمتهم . واستصدرت الحكومة فى سبتمبر ١٨٣٥ عدة قوانيـن لمحاكمة الذين يهددون آمن الدولة امام محكمة خاصة وكان آهم القوانين التى استصدرت " قانون الصحافة " لحمايـــة الملك والدستور والمبادىء الاساسية التى يقوم عليهاالمحتمع

كان عجز الملك عن تأليف حكومة برلمانية ثابتة من أكبر أسباب ضعف هذه الملكية وزوالها فى النهاية . فقد بلغت الوزارات التى تشكلت فيما بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠عشر وزارات ،كان رؤساؤها من المحافظين الجموديين الذين انحصرت مهمتهم فى دعم مركز الملكية وتأييد سلطانها والقضاء على اعدائها فى الداخل ،ثم المحافظة على السلام مع الدول فى الخارج . وبمجرد أن انتصر المحافظون على اعدائهم من شرعيين وجمهوريين وبونابرتيين، انقسموا فيما بينهم الى جماعتين كبيرتين :

أ) حزب الوسط اليسارى بزعامة تيير(A.Thiers)

ب) حزب الوسط اليمينى بزعامة جيزو(F. Guizot)

وكان من مبدأ تييرو جماعته ان الملك " يتولى ولايحكم " أى أن الملك يجب ان يختار وزراءه دائما من بين حزب الاكثرية فى المجلس ،ولايتدخل فى شؤون الحكم . أما جيزو وجماعته فكان مبدأهم " ان العرش ليس مقعدا خاليا " ،أى ان الملك مع احترامه لرأى الاكثرية فى المجلس ليس ملزما باتباع رأى هذه الاكثرية و ليس مكلفا باختيار وزرائه من بين حزب الاكثرية .

كان لويس فيليب لايرضى بأن تكون له رياسة الدولة

فحسب ،كما آراد تيير ،بل عمل على ان يكون حاكما حقيقيا ، اى آنه اراد ان " يتولى ويحكم " وانتهز فرصة القضاء على مقاومة اعدائه من شرعيين وجمهوريين وبونابرتيين، ثم الانقسام الذى حصل فى صفوف الحموديين ،و آخذ يشكل الوزارات التى تدين له بالطاعة . ولكن هذا العمل سرعان ما آثار المعارضة القوية ضد " سياسة البلاط و ضد وزارات البلاط " وعندئذ اضطر الملك الى استدعاء تيير لتشكيل الوزارة . واضطر تيير الى الاستقالة عندما رفض الملك الانسياق الى الحرب بسبب الازمة بين محمد على والسلطان فى عام ١٨٤٠ و طلب الملك من جيزو تأليف الوزارة .

وفى هذه السنوات التى سيطر فيها جيزو زعيم الجموديين من الوسط اليمينى ،تجمعت الاسباب المباشرة التى آدت الى اشعال الثورة فى فبراير عام ١٨٤٨،و زوال ملكية يوليو . ظل جيزو متمسكا بالدستور الصادر فى عام ١٨١٤ والمعدل فى ١٨٣٠ و كان برنامجه الاحتفاظ بالنظام فى الداخل والسلم فى الخارج كخير وسيلة لزيادة ثراء فرنسا ورفعة شأنها . واقتضى التمسك بالدستوران يحتفظ جيزو بالشكل البرلمانى للحكومة ،آى ضرورة الاستناد الى اكثرية فى مجلس النواب تؤيد الحكومة دائما وتوافق

على تصرفاتها . واستطاع جيزو ان يحصل دائما على هذه الاكثرية ولذلك فقد شهدت فرنسا فى هذه الفترة (١٨٤٠ - ١٨٤٨) نوعا من الحكم يقوم على الجمود الشديد أى المحافظة على النظم الموجودة و عدم التغيير. ولقد تبين عند البحث ان الرشوة والفساد هما سبب وجود هذه الاكثرية التى أيدت الوزارة دائما فى مجلس النواب ،ولذلك قامت فى الفترة مابين ١٨٤١ و ١٨٤٨ حركة من اجل المطالبة بالاصلاح النيابى فى فرنسا على اساس تخفيض مقدار الضرائب التى يدفعها الصالحون للانتخاب و النيابة ،وافساح المجال لهيئات وطبقات معينة لايستطيع افرادها دفع أية ضريبة لممارسة حقوق الانتخاب . ولكن جيزو كان يرفض هذه المطالب ،فضج المطالبون بالاصلاح الدستورى .

وبينما أغفلت الحكومة معالجة شؤون العمال ولم تهتم بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية ،كانت عناصر المعارضة تزداد قوة ضد الحكومة ، ومن اخطر هذه العناصر جماعة الاشتراكيين الذين بدأوا يظهرون فى الميدان وكانوا أكثر راديكالية من الجمهوريين أنفسهم. فقد شهدت ملكية يوليو دور الانتقال من نظام الصناعات الصغيرة المنزلية الى نظام المصانع والورش واستخدام الالات والبخار فى الصناعة . و ظهرت نتيجة لهذا الانقلاب الصناعى عدة مشاكل كان لابد من استصدار تشريعات جديدة

لتسويتها او حلها من جهة ،ولحماية الطبقات العمالية من الاضرار والمساوىء التى اقترنت بحدوث هذا الانقلاب من جهة اخرى . ولكن ملكية يوليو التى هى حكومة البورجوازية والطبقات الغنية والرأسمالية ،لم تهتم بهذه المشاكل بل استمر الرأسماليون واصحاب العمل يستغلون مصانعهم والايدى العاملة بها أسوأ استغلال . وعلاوة على ذلك بقيت الطبقة العمالية محرومة من التمثيل النيابى عندما تمسكت الحكومة بالدستور دون تغيير او تعديل . واصبح من المنتظر فى هذه الظروف ان يتجه المفكرون مثل سان سيمون ،ولويس بلان الى بحث مشاكل العمل و العمال والعلاقة بين العمل ورأس المال ،ثم يقومون بالدعوة الى الاشتراكية . فكان ذلك مبدأ ظهور الحزب الاشتراكى فى فرنسا. وقد هدف الاشتراكيون الى انشاء الجمهورية على اعتبار ان الجمهورية افضل الوسائل التى تجعل العناصر الديمقراطية تتمكن من السيطرة على الحكومة.

وهكذا تعددت عوامل التذمر من حكومة جيزو،وزاد من هذا التذمر سياسة الحكومة الخارجية التى كانت تحرص على المحالفة الودية مع انجلترا لدرجة التفريط أحيانا فى حقوق الكرامة الوطنية ،وتعمل على استمالة الملكيات المطلقة والرجعية فى اوروبا . فقد عابت المعارضة على

حكومة جيزو موقفها من المسألة الشرقية ،وعقد اتفاقية المضايق (يوليو ١٨٤١) . ثم احتجت المعارضة احتجاجا شديدا على موقف الحكومة المتخاذل من انجلترا فى حادث بريتشارد Pritchard (١٨٤٤) ،وكان بريتشارد قنصلا لانجلترا لدى بومارى ملكة جزيرة تاهيتى Tahiti (فى المحيط الهادى الى الشرق من استراليا)،طرده الفرنسيون من الجزيرة وضموا تاهيتى الى أملاكهم فساءت العلاقات بين انجلترا وفرنسا. ولكن لويس فيليب لم يشأ الدخول فى حرب مع انجلترا بسبب ماأسماه " حماقات تاهيتى " ،و أعلن استنكاره لضم الجزيرة ،وحصل القنصل الانجليزى على تعويض كبير .

واخيرا تحطم التحالف الودى بين انجلترا و فرنسا على صخرة الزواج الاسبانى ،عندما أراد جيزو ان يتخذ من هذه المسألة وسيلةلتأييد مركز حكومته ،فأعلن فى اكتوبر ١٨٤٦ ان حكومته قد صح عزمها على عقد زواج ابن الملك لويس فيليب دوق دى مونبانسييه Montpensier من لويزا فرناندا Louisa - Fernanda ابنة ملك اسبانيا فرديناند السابع (المتوفى عام ١٨٣٣) .وكانت هذه شقيقة لايزابيلا الثانية ملكة اسبانيا. ثم زواج ايزابيلا نفسها من فرنسيسكو دى اسيز Asis

دوق قادش • وفى عام ١٨٤٥ كان هذا المشروع قد قطع مرحلة كبيرة ،وكان معنى هذا الزواج التمهيد لاعتلاء دوق مونبانسييه عرش اسبانيا ،لانه لم يكن متوقعا ان تنجب الملكه ايزابيلا وارثا للعرش الاسبانى ،ولم ترض انجلترا عن هذا المشروع ،فقضى اصرار جيزو على المضى فى مشروع هذا الزواج (١٨٤٦) على التحالف الودى مع انجلترا ،الامر الذى أدى الى عزلة فرنسا السياسية •

وبالاضافة الى ذلك ،ظلت المعارضة تجدد مطالب الاصلاح النيابى كل عام ،ولكن جيزو تمسك برفض هذه المطالب دائما معلنا ان المعارضة انما تبغى مجرد اثارة المشاكل السياسية فى حين انها لاتمثل رأى الامة الحقيقى فى شئ وازاء ذلك أعدت المعارضة مايعرف باسم " مآدب الاصلاح " Reform Banquets "،و هى اجتماعات يحضرها عدد غفير من الناس يخطب فيهم زعماء المعارضة الذين يطلبون الاصلاح ،وتوزع فيها المنشورات • ومما هو جدير بالذكر ان اصحاب هذا المآدب كانوا من أحزاب المعارضة الموالية للملك والتى أرادت فقط ان تجعل الملكية تغير سياستها • ولكن لم تلبث احزاب المعارضة المعادية للملكية ان اقامت هى الاخرى اجتماعات شبيهة بهذه المآدب ،و كثرت هذه " المآدب الاصلاحية " خلال عام ١٨٤٧ ،

فكانت بمثابة استفتاءات غير رسمية اظهرت بوضوح ان الشعب يريد الاصلاح النيابى حقيقة . وقد ندد جيزو فى خطاب تعوزه الحكمة ألقاه فى بداية عام ١٨٤٨" بالنزعات العدائية العمياء " التى ترمى الى القضاء على النظم القائمة ،فقررت المعارضة اقامة مأدبة كبرى فى باريس للاحتجاج على مقولة جيزو . وهددت الحكومة بمنع اقامة تلك المأدبة التى حدد لها يوم ٢٢ فبراير عام ١٨٤٨،فأفزع هذا الموقف الحازم لأول وهلة ذلك الائتلاف غير المتجانس الذى يضم غلاة الكاثوليك والجمهوريين الديمقراطيين والاشتراكيين ،ولكن غوغاء باريس تدخلوا ليلة ٢١ / ٢٢ فبراير،فأسفر تدخلهم عن استقالة جيزو وسقوط ملكية يوليو فى ٢٥ فبراير ،وفرار الملك و أسرته الى انجلترا.

تنازل لويس فيليب لمصلحة حفيدة الكونت دى بارى de Paris ولكن المجلس لم يوافق على هذا الحل، ولم تلبث جموع باريس ان اقتحمت فناء المجلس مما آدى الى فض الاجتماع ،ولكن الاعضاء الذين بقوا نادوا ،تؤيدهم جموع الشعب بقيام حكومة مؤقتة تتألف من الاشخاص الواردة اسماؤهم فى قائمة اقترحها عليهم لامارتين . وكانت القائمة تضم سبعة أسماء كلها لمصلحين وجمهوريين معروفين وأبرزها لامارتين Lamartine ولدر ورولين (Ledru - Rollin) وجارنييه باجس Garnier

Pages) . ولكن بينما كان ذلك يجرى فى قاعة المجلس شكلت حكومة اخرى فى دار صحيفة ريفورم Reform ذات الآراء الاشتراكية القوية . وقد ضمت هذه الحكومة اصحاب الاسماء الواردة فى القائمة السابقة ،ولكنها ضمت ايضا بعض الاسماء الاخرى و على الاخص اسم لوى بلان (Louis Blane) الذى يعد ممثل الاشتراكية العظيم الاوحد فى جيله . وقد ادمجت الحكومتان فى حكومة واحدة هى التى عرفت باسم " الحكومة المؤقتة " . وكان اعضاؤها يدينون بسلطاتهم للثورة وحدها ولم يكن لهم أى سند قانونى .

فرنسا من الجمهورية الثانية الى قيام الامبراطورية :

قامت الخلافات الحادة بين اعضاء الحكومة منذ البداية ،فلم يقبل الجمهوريون المعتدلون المنتمون الى الطبقة المتوسطة وعلى رأسهم لامارتين مساهمة الاشتراكيين معهم فى الحكم عن طيب خاطر . فلم يكونوا على استعداد لتأييد مشروعات لويس بلان تأييدا مخلصا . وبعد تشكيل الحكومة مباشرة اتخذت بعض الخطوات الهامة ، فأعلن حق الانتخاب العام لجميع المواطنين ،وتقرران يقوم الناخبون الجدد الذين يزيدون على تسعة ملايين بانتخاب

جمعية تتولى البت فى أمور الدستور فى موعد قريب ،وأعلن فتح باب الانتساب الى الحرس الوطنى لجميع المواطنين بعد ان ظل طويلا مقصورا على الطبقة الوسطى و حدها ، وأعلن لويس بلان لجماعة من اصحاب الالتماسات ان الحكومة تتعهد بأن تؤمن لجميع الفرنسيين العمل الكافى ليقيم أودهم ،وصدر على الفور مرسوم بانشاء " الورش القومية".

ولقد تبع مجرى الثورة نزعات العصر الفكرية ،وكانت باريس وفرنسا عامرة بالنشاط الفكرى السياسى والاجتماعى قبل عام ١٨٤٨ . وكان سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ – ١٨٢٥) هو صاحب النفوذ الاول فى هذا المضمار وقد قدم هذا المفكر العميق للعالم حشدا هائلا من الافكار العلمية والخيالية . فكان يعتقد بأن الحياة ليست سوى فترات متعاقبة من البناء والهدم . وكانت الثورة الفرنسية فترة هدم للنظام القديم ،وأنه قد آن الاوان لفرنسا ان تبدأ عهد البناء . وانه على فرنسا اذا ارادت تحقيق هذا الهدف هو بناء اقتصاد صناعى متقدم يهيىء حياة أفضل للعامل بصفة خاصة والمواطن الفرنسى بصفة عامة . وكان من رأيه ان الارتفاع بالانتاج وبمستوى العمال يعتمد ايضا على تركيز رؤوس الاموال والسلطة الادارية فى أيدى الفئة القادرة على الاستغلال أى رجال الاعمال . وحتى لايسىء هؤلاء استخدام رؤوس الاموال هذه

فلا بد من وضعهم تحت رقابة دقيقة من جانب البرلمان
وقد نشر سان سيمون آراءه فى مجموعة من المؤلفات أهمها
اعادة تنظيم المجتمع الاوروبى (١٨١٤) والصناعة (١٨١٧)
والمنظم (١٨١٩ - ١٨٢٠) و النظام الصناعى (١٨٢١) والمسيحية
الجديدة (١٨٢٥) . ولقد مارس سان سيمون نفوذا عظيما
على مفكرى الجيل الذى تلاه وساسته .

وقد استرعى كذلك شارل فورييه Fourier
(١٧٧٢ - ١٨٣٧) اهتمام الكثيرين من معاصريه ،ولكنه
لم يمارس نفوذا يذكر على الفكر فى الاجيال التالية .
وكان يؤمن بأن الناس ان تركوا احرارا فى تنظيم
شؤونهم سينقسمون الى مجموعات " طبيعية " لكل منها ميولها
واستعداداتها الخاصة لمختلف المهن و بذلك تؤدى الاعمال
التى يحتاج اليها العالم فى حرية وكفاءة . لقد كانت
آراء فورييه اكثر واقعية من آراء سان سيمون ولكنها
لم ترتفع الى المستوى الذى اصبح فلسفة انتاجية اصلاحية
يمكن ان تشمل كل اجزاء الدولة . ونشر فورييه آراءه فى
مؤلفات عدة ولكنه يعتبر مؤلفه بعنوان " عالم صناعى
جديد " (١٨٢٩) من أهم مؤلفاته قاطبة .

و ثمة حركة لها اهمية مباشرة تفوق اهمية مدرستى

فوربيه وسان سيمون ،وان تكن وثيقة الصلة بأفكار هذا الاخير ،ألا وهى الحركة الاشتراكية التى غدت لاول مرة أثناء ثورة ١٨٤٨ تمثل قوى كبرى بين شعوب اوروبا . ولقد تغير مدلولها كثيرا منذ ذلك التاريخ بتأثير كارل ماركس خاصة . وكان داعيتها الاول فى فرنسا فى تلك الحقبة لويس بلان (١٨١١ - ١٨٨٦) وهو كاتب غزير الانتاج فى الشؤون السياسية والاقتصادية و من اهم المبادىء التى نادى بها بلان " حق العمل " . فحق العمل عنده حق من حقوق الانسان بل هو أقوى الحقوق ،وكان يهدف الى تغيير نظام المجتمع الفرنسى بالتدريج بطريقة تؤدى الى الغاء المنافسة على اعتبار ان المنافسة هى احد الاسباب الرئيسية فيما أصاب العمال من بؤس وفقر . والحل الذى وضعه عو " الورش التعاونية " تتساوى فيها أجور العمال وتوزع الارباح على العمال . ويرجع السبب فى انتشار افكار لويس بلان انها وضعت برنامجا واضحا لعلاج مشكلة البطالة والفقر ،وتطلع اليها آلاف العمال والفقراء على اعتبار انها هى المنقذ لهم من التدهور الاجتماعى . ولقد تعلق الرأى العام بنقطة واحدة فقط وأساء تأويلها ألا وهى حق العمل . فباتت عبارة " سنعمل ونحيا أونحارب ونموت " شعارا للذين كانوا يعتبرون أنفسهم اتباعه . ولقد رأينا كيف حمله التأييد الشعبى الى عضوية الحكومة المؤقته وكيف انه أعلن عن عزم الحكومة على

توفير العمل للجميـــــع .

لقد فشلت الورش القومية التى صدر مرسوم بانشائهـ
ولقد كان فشل مشروع لويس بلان أمرا محتوما . فان فرصـــة
الحصول على عمل ثابت بأجر طيب قد جذبت الى هذه الــورش
كل ذوى الاعمال العارضة فى باريس ،ولم تلبث ان جذبـــت
ايضا اعدادا هائلة من الاقاليـم . ففى خلال شهرين ارتفـع
عدد الذين يتقاضون منها أجرا ـ ولانقول الذين يعملـــون
بها ـ من ٠٠٠ر٢٥ الى ٠٠٠ر٦٦. ولم يعد من المستطاع توفير
عمل يزيد على يومين فى الاسبوع ،فكان العاطلون ينالــون
فى سائر الايام منحة (سميت مرتب بطالة Salaire
d'inactivite) قدرها فرنك واحد فى اليوم. ويبـــدو ان
موافقة الحكومة المؤقته على انشاء تلك الورش كـــــان
لامتصاص العمال المتعطلين ولو مؤقتا حتى لايصبحوا قـــوة
فى يد لويس بلان يضرب بها الحكومة المؤقتة . فالمســؤول
الذى اسندت اليه الحكومة الفرنسية مهمة الاشراف علـــى
الورش القومية كان معروفا بعدائه الشديد للويس بـــلان
وللمبادىء الاشتراكية . وعلى أية حال سار تنفيذ المشروع
فى اتجاه يتعارض تماما مع الاهداف التى نادى بها لويـــس
بـــــــلان .

وفى ٤ مايو اجتمعت الجمعية الوطنية او التأسيسية التى تم انتخابها بوساطة الاقتراع العام للرجال،لتضع دستورا للبلاد . وقد بذلت شتى الجهود لكى تأتى الاغلبية من الجمهوريين الا ان السواد الاعظم من الاعضاء كانوا غير معروفى الميول ،وقد عبروا عن موقفهم من المسألة الاجتماعية بانشاء حكومة تتألف من آراجو Arage وجارنيير - باجس و لامارتين ،وليدرو - رولان ،ولكن دون لوى بلان . فاقتحمت مظاهرة شعبية كبرى مقر الجمعية وحاولت حل الحكومة واقامة اخرى برئاسة لوى بلان ،ولكن المحاولة باءت بالفشل ،وانسحب لوى بلان من الحياة العامة منزويا فى منفاه . فما كان من الجمعية الا ان انقلبت على الورش التى كانت ترى فيها الدعامة الكبرى للمعارضة الاشتراكية ،وأغلقتها فى ٢٢ يونيو . ولكن الحزب الاشتراكى قابل التحدى بمثله ،فنصبت المتاريس فى شوارع باريس و أعلن الجمعية واعادة فتح الورش وكان ذلك ايذانا بقيام حرب أهلية . وازاء ذلك منحت السلطة المطلقة للجنرال كافينياك (Cavaignac) وبعد أربعة أيام آلت السلطة على المدينة للجمعية من جديد .

أصبح بوسع الجمعية الآن ان تستأنف مهمة وضع الدستور ،وبدأت الجمعية عملها باصدار اعلان مبهم لحقوق

الانسان على الطريقة التقليدية الفرنسية ،ثم أقرت مبدأ الاقتراع العام او بالاخرى الاقتراع العام للبالغين من الرجال . ومنحت السلطة التشريعية لجمعية واحدة تشكل من ٧٥٠ شابا . وبقى مستقبل فرنسا معلقا الى حد كبير على قراراها بشأن شكل الهيئة التنفيذية . واستبعدت فكرة اقامة ملكية او امبراطورية ،فقد أريد لفرنسا ان تكون جمهورية وان يكون لها رئيس . وبأغلبية ضخمة أعلنت الجمعية ان الرئيس يجب ان ينتخب بوساطة الاقتراع العام للرجال وان يشغل منصبه لمدة أربع سنوات دون ان تجوز اعادة انتخابه ،وسرعان ما أدى قرار الجمعية الى قيام الامبراطورية الثانية . وظاهر ان ذلك الدستور وضع على غرار دستور الولايات المتحدة ،ولكن نسى واضعوه انه على حين تحد حقوق ولايات الاتحاد من سلطات رئيس الجمهورية في امريكا ،فان رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد الذى حددت مدة رئاسته بأربع سنين ،على ألا يعاد انتخابه – سيكون سيد ادارة بيروقراطية تتدخل فى شؤون كل مدينة و كل قرية فى فرنسا .

وفى الاستفتاء الشعبى الذى عقد فى ١٠ ديسمبر ١٨٤٨ لانتخاب رئيس الجمهورية نال لويس بونابرت (ابن ملك هولندا وابن اخ نابليون الاول) اكبر عدد من أصوات الناخبين . فقد أربى ما أحرزه من الاصوات على نيف واربعة

ملايين صوت اكثر مما آحرزه منافساه فى الانتخاب : كافينياك مخلص المجتمع الفرنسى من الشوارز الحمر ، ولامارتين خطيب الشعب ،فانه رغم التسعة والثلاثين عاما التى قضاها لويس فى نفى زرى غير مجيد ،كان اسم بونابرت فى ذاته كافيا لتجبيب الفرنسيين فيه وترغيبهم فى انتخابه . فقد كان ذلك الاسم يعد فى كل كوخ و بيت فى آرجاء فرنسا رمزا للنظام و القوة والصيت المجيد . وتولى لويس بونابرت منصب رئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٨٤٨ ،وحلف اليمين التالى " اننى سوف اعتبر عدوا للوطن كل من يحاول بوسائل غير مشروعة تغيير ما آقامته فرنسا " .

و منذ البداية واجه رئيس الجمهورية الجديد المتاعب مع الجمعية التأسيسية التى كانت تخالفه فى السياسة الخارجية ولاسيما فيما يتعلق بايطاليا . ولم يهون من الامر شيئا يذكر اخلاء الجمعية التأسيسية (١٨٤٩) مكانها للجمعية التشريعية التى تم انتخابها وفقا للدستور الجديد . فقد تضاءل الجمهوريون المعتدلون الذين كانوا يشغلون مقاعد الجمعية التأسيسية فباتوا يعدون على الاصابع فى الجمعية الجديدة . وظهرت جماعة بلغ عددها ١٨٠ من الجمهوريين الثوريين . اما اكبر حزب فكان " حزب النظام " وقوامه الكاثوليك والملكيون الذين يرون فى " اليسار المتطرف " الخطر الاكبر على مبادئهم و على

فرنسا . ورغم تمتع لويس بونابرت بتأييد شعبى كبير في فرنسا فلم يظهر أى آثر تقريبا لجزب بونابرتى فى الجمعية .

وسرعان ماظهر الخلاف بين الجمعية والرئيس خصوصا ان اغلبية الاعضاء كانوا من الملكيين . وكان هؤلاء الملكيون منشقين على انفسهم ،ففريق منهم — وهم الشرعيون — يرغب فى عودة البوربون فى شخص الكونت دى شامبور Count de Chambord بينما تطلع الفريق الآخر الى قيام ملكية يرأسها احد ابناء بيت اورليان . ولن يلبث هذا الخلاف الواسع المدى ان يؤدى الى اقامة الامبراطورية كما سيؤدى فيما بعد الى قيام الجمهورية الثالثة . كان لويس بونابرت يضع سيرة عمه نصب عينية على الدوام ،و قد آخذ كعمه يفكر كثيرا فى فرنسا ،و ان فكر اكثر فى نفسه وفى المركز الذى ستمكنه الازمة من الفوز به لشخصه . ان مدة السنوات الاربع المحددة لرياسته توشك ان تنتهى ،فهل تراه يذعن للقانون فيبتلعه النسيان ؟ كان الدستور يسمح بتعديل مواده اذا ما أقر التعديل ثلاثة أرباع أعضاء الجمعية . وفى يوليو ١٨٥٠ ،نظرت الجمعية فى اقتراح بالسماح للرئيس بالاستمرار فى منصبه لمدة آخرى ،فأيدته الجمعية بـ ٤٤٦ صوتا ضد ٢٧٠ . على ان هذه لم تكن

اغلبية الثلاثة الارباع المطلوبة . ولذلك فكر لويس بونابرت فى حل الجمعية واللجوء الى الشعب ليصوت على دستور جديد يمنحه سلطات شخصية ضخمة .

وفى ٢ ديسمبر ١٨٥١ أعلن حل الجمعية وطرح دستور جديد على الشعب باكمله ليبدى فيه رأيه . وتم احتلال قصر البوربون الذى كان مقرا للجمعية ،واعتقال عدد من اعضائها البارزين ،ومن هؤلاء تيير وكافينياك، وطرح الدستور الجديد على الناخبين وكان يقضى بمايلى :

١) يتولى الرئيس منصبه لمدة عشر سنوات وان يعين بنفسه جميع الوزراء .
٢) تشكيل مجلس للدولة يعينه الرئيس ومهمته اعداد القوانين .
٣) تأليف جمعية تشريعية بطريق الانتخاب العام للتصويت على القوانين والميزانية .
٤) تشكيل مجلس للشيوخ بطريق التعيين مهمته " السهر على الميثاق الاساسى والحريات العامة " .

وقد دعى جميع الناخبين فى فرنسا للتصويت بعد ايام معدودة ب " نعم " أو " لا " على القرار التالى:" يرغب الشعب فى الابقاء على سلطة نابليون بونابرت ويعهد اليه

اليه بالسلطات اللازمة لاقامة دستور على الاساس المقترح في اعلانه الصادر في ٢ ديسمبر " . وقد أيد الشعب الرئيس في مهمته الجديدة تأييدا ساحقا . فقد صوت بالموافقة ٧٫٤٣٩٫٠٠٠ بينما لم يصوت بالرفض سوى ٦٤٠٫٠٠٠ . وهكذا اصبح لويس بونابرت رئيسا للجمهورية وفقا لتلك الشروط في ٢١ ديسمبر ١٨٥١ . فلم يلبث ان استبدل لقب الامبراطور بلقب الرئيس ولما يمض على ذلك التاريخ عام كامل. وقد جاء الاقتراح باسباغ لقب الامبراطور عليه وجعله لقبا وراثيا لابنائه ،من مجلس الشيوخ الخاضع له . ثم طرح الاستفتاء العام وكانت النتيجة التي أعلنت ان ٧٫٨٢٤٫٠٠٠ قد أيدوه ولم يعارضه سوى ٢٥٣٫٠٠٠ فقط ،فحكم نابليون على الفور بلقب "الامبراطور نابليون الثالث " ذلك ان ابن نابليون الدوق ريخستادت Duke of Reichstadt المتوفى عام ١٨٣٢ كان يعد في نظر جميع أنصار الامبراطورية الغيورين " نابليون الثاني " رغم أنه مات دون أن يتوج.

الفصل الخامس

المسألة الشرقية وحرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦)

الفصل الخامس

المسألة الشرقية وحرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦)

تحتل حرب القرم مكانا فريدا فى تاريخ اوروبا فى العصر الحديث ،وذلك لعدة أسباب :

١) ان انجلترا خاضت حروبا مختلفة دفاعا عن مصالحها و تحقيقا لمطامع توسعية ،ولكن هذه الحرب دخلتها انجلترا دفاعا عن كيان الامبراطورية العثمانية وأنفقت فيها الكثير من الاموال وضحت بأعداد كبيرة من جنودها دون أن تحقق شيئا .

٢) ان هذه الحرب هى آخر الحروب الاوروبية التى اتبعت فيها أساليب الحرب القديمة ،فرغم وقوعها فى منتصف القرن التاسع عشر ،وفى وقت عرفت فيه اوروبا بعض الاساليب الحربية الحديثة ،الا ان هذه الحرب ظلت بعيدة كل البعد عن تلك الاساليب .

٣) ان حرب القرم قامت لسبب دينى ظاهر ،رغم انتهاء الحروب الصليبية وعهد الحروب الصليبية منذ أمد غير قريب .

وحرب القرم مرحلة من مراحل المسألة الشرقية التى بدأت فى الظهور حين أخذت موجة الفتح العثمانى فى الانسحاب وأخذ العثمانيون يتقهقرون تدريجيا من ولاياتهم المتطرفة و خاصة من أواسط اوروبا . وترجع الاسباب التى أدت الى

ضعف الامبراطورية العثمانية الى ظروف داخلية ،واخـــرى خارجية لاتقل عنها اهمية . ومن اهم العوامل الخارجيـــة ظهور النمسا والروسيا كدولتين حديثتين مهاجمتيـــن متوسعتين ،فلقد غدت هاتان الدولتان فى حالة حرب تكـاد لاتنقطع مع الدولة العثمانية ،حتى استنفذت قوة الامبراطورية العثمانية وحيويتها . وبدأت المسألة الشرقية تثور بشكل واضح فى الربع الاخير للقرن الثامن عشر ،حين اضطـــرت الامبراطورية العثمانية امام الضغط الروسى والنمســاوى الى الاعتراف بنفوذ الروس فى شمال البحر الاســـود ، وبسيطرة الهابسبرج على وسط اوروبا . ولم ينقـــذ الامبراطورية العثمانية حقيقة من عدويتها الكبيرتيـــن الروسيا والنمسا الا ظهور روح المنافسة بينهمـــا . فالدولة النمساوية بصفة عامة بعد ان استرجعت المجـــر من الامبراطورية العثمانية وآمنت حدودها فى حوض نهـــر الدانوب من ناحية العثمانيين اخذت تلحظ بعين القلــق تقدم النفوذ الروسى فى البحر الاسود ،و خاصةفى بولونيـا وآخذت تخشى بعض الشئ صلات الجنس الصقلبى التى تربـــط بين روسيا وبين شعوب البلقان الصقلبية ،وسرعان ماشغلـت بحروبها مع بروسيا ثم مع الثورة الفرنسية ونابليـــون فى غرب اوروبا وفى الميدان الايطالى ،فاضطرت ان تغـــادر بصفة عامة سياسة العداء بازاء الدولة العثمانية .

وبحكم اعتناق الروسيا للمذهب الارثوذكسي المسيحي الشرقي كانت ترى نفسها وريثة للدولة البيزنطية ، ويحلم قياصرتها بذلك اليوم الذي يستطيعون فيه دخول القسطنطينية . وكانت مصالحها الجغرافية و المادية الاستراتيجية تقضي بضرورة تحديد علاقاتها بالدولة التي تسيطر على المضائق (البوسفور والدردنيل) ،آما عن طريق القضاء عليها ،او السيطرة عليها ،او على الاقل ضمان حرية المرور في كل الاوقات لسفنها التجارية والحربية واغلاق هذه الممرات امام سفن أعداء الروسيا وكانت سياسة الروسيا بصفة عامة في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر العمل على انحلال الدولة العثمانية ،وتشجيع شعوبها البلقانية على الاستقلال عنها وانتزاع مايمكن انتزاعه من ممتلكاتها . وحاولت روسيا في العشرينات من القرن التاسع عشر مساعدة اليونان الارثوذكس في ثورتهم ضد الامبراطورية العثمانية ،ولذلك وضعت انجلترا سياستها التقليدية بالنسبة للامبراطورية العثمانية وهي تتلخص في مبدأ المحافظة على كيان تلك الامبراطورية .

وأثناء الصراع بين محمد على والسلطان تدخل القيصر الروسي نيكولاس لنجدة السلطان ضد محمد على بعد موقعة

قونية وعقد معاهدة اونكيار سكلسى . وهذا تفوق النفوذ الروسى فى القسطنطينية فى عام ١٨٣٣ . واحتج بامستون وزير خارجية انجلترا على معاهدة اونكيار سكلسى ووقف بالمرصاد امام محمد على ،وأوضح له ان انجلترا ستقف ضده اذا قامت حرب بينه وبين السلطان . وكان الدافع الاكبر لبامستون فى الازمة المصرية هو مصالح انجلترا فى الشرق . ولقد احتجت انجلترا وفرنسا على هذه المعاهدة التى كانت تعتقد فيها الدولتان تدميرا لاستقلال الدولة العثمانية وبسطا لحماية روسيا عليها . ومنذ الوقت الذى عقدت فيه روسيا المعاهدة مع الدولة العثمانية زاد حقد بامستون على روسيا وزاد شكه فى سياستها . ولم تكن صداقة روسيا لانجلترا فى عام ١٨٣٩ لتعنى ان انجلترا تخلت من سياستها وانما الذى حدث ان روسيا فى هذه السنه حاولت العمل على مجاملة انجلترا وتأييدها فى سياستها فى وقف محمد على عند حده . هذا فى الوقت الذى تخلت فيه فرنسا من انجلترا وأيدت مطالب محمد على الاستقلالية . ونجح بامستون فى ان تعقد الدول الكبرى اتفاقا فى ١٣ يوليو ١٨٤١ ينص على تعهد هذه الدول والسلطان بعدم السماح لأية سفن حربية تابعة لدول اجنبية من دخول مضيقى البوسفور والدردنيل ،وبذلك قضت انجلترا على معاهدة اونكيار سكلسى السرية .

وفى ذلك الوقت بدأ القيصر الروسى يتقرب الى انجلترا ويوضح لها بأن الدولة العثمانية مشرفة على السقوط وان الاجدر بهما ان يتفقا سويا على تقسيم ممتلكاتها فيما بينهما فتأخذ انجلترا مصر وكريت وتأخذ الروسيا القسطنطينية . ولكن هذا العرض لم يجد قبولا لدى انجلترا فى ذلك الوقت لاعتناقها مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية ،ولخشيتها من اقتراب الروسيا من شواطىء البحر المتوسط ومايحمله من احتمال تهديد قوات الروسيا للاسطول الانجليزى فى هذا البحر . واذا كانت انجلترا لم تقبل العرض الروسى فى ذلك الوقت فقد اضطرتها الظروف فى الحرب العالمية الاولى الى التسليم بوجهة النظر الروسية فى معاهدة سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦.

قامت حرب القرم بسبب النزاع بين فرنسا وروسيا على امور تتعلق بالاراضى المقدسة فى فلسطين . ومسألة الاراضى المقدسة قديمة العهد . فلقد أقر سلاطين آل عثمان فى الامتيازات التى منحوها لملوك فرنسا منذ القرن السادس عشر حق بعض الرهبان الكاثوليك فى القدس و الناصرة وبيت لحم فى انشاء الكنائس والاديرة . وأعطت معاهدة كوتشك فينارجة الموقعة بين السلطان عبد الحميد الاول والقيصرة كاترين فى عام ١٧٧٤ الارثوذكس فى الاماكن

المقدسة مثل الحقوق الممنوحة سابقا للكاثوليك، واعترف فيها السلطان لروسيا بامتيازات دينية لايستهان بها . وتأزمت العلاقات بين الرهبان الكاثوليك والارثوذكس فى عام ١٨٤٨ لاختفاء نجمة من الفضة تحمل عبارات لاتينية من هيكل يرعاه الارثوذكس فى المغارة التى ولد فيها السيد المسيح . فاتهم الكاثوليك الارثوذكس بأنهم أتلفوها ليمحوا آخر أثر يثبت ان الهيكل كان سابقا فى أيديهم ،واتهم الارثوذكس الكاثوليك بأنهم سرقوها ليثيروا خلافا بين الطائفتين ويعملوا على استعادة نفوذهم فى الهيكل . وفى مايو ١٨٥٠ قدمت الحكومة الفرنسية مذكرة الى الباب العالى تطالب للرهبان الكاثوليك بحق امتلاك الاماكن المقدسة عملا بمعاهدة عام ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر .

وفى بادىء الامر ،لاذ الباب العالى بالصمت امام هذا النزاع ،ولكن توالى الضغط عليه واستمرار التهديد تارة من جانب الروس وتارة من جانب الفرنسيين آخرجاه على كره منه من موقف السكوت ،فشكل لجنة لتحديد الامتيازات الفرنسية الممنوحة فى معاهدة ١٧٤٠ والامتيازات الروسية المقررة فى معاهدة كوتشك قينارجة ولكن حلت هذه اللجنة وتشكلت لجنة آخرى لدراسة الموضوع . وبينما

كانت اللجنة تواصل عملها ،كانت هناك تطورات اخرى تجرى فى فرنسا وانتهت بتنصيب لويس بونابرت امبراطورا علـى الفرنسيين باسم نابليون الثالث . وتوترت أعصاب القيصر نقولا الاول لأن نابليون الثالث سليل بيت كان مؤسس مجده العدو الالد لروسيا ،ولأنه خشى ان يقلب النظام المنبثق من مؤتمر فينا كما قلب دستور بلاده . ولم يعترف بـه اعترافا صحيحا ورفض ان يقال عنه فى المراسلات السياسية الروسية الى الحكومة الفرنسية الا " الامبراطور لويس نابليون " وكلما آتى فى إحاديثه على ذكره يقول انـه دخيل لايمت بصلة الى ملوك اوروبـا .

وكان نابليون الثالث شديد الاعتداد بنفسه متكبرا ، فكظم غيظه وانتظر الفرصة الملائمة للانتقام لكرامته وتأديب الثائرين عليه فى الخارج و الداخل . و كان الخلاف على الاراضى المقدسة تلك الفرصة ،فقرر استغلالها علـى الوجه الذى يعلى شأنه ويرفع اسمه ويكسب عطف الاوساط الكاثوليكية المعارضة . كان نابليون الثالث يفكر فـى حرب تنتصر فيهاجيوشه فيفرض نفسه على اوروبا ،وشعر بسمارك بهذا الشعور وقال لاعوانه : " ان ا مبراطور الفرنسيين لاغنى له عن الحرب ،وهى ضرورية له ليصرف اليها تفكير شعبه ويهيىء لنفسه السيطرة على اوروبـا

وعلى اية حال لم يكن القيصر الروسى أقل من نابليـــون الثالث ميلا الى الاستعداد للحـرب ٠

وفى أواخر يناير ١٨٥٢ أصدرت اللجنة العثمانية قرارا يرضى الى حد كبير مطالب القيصر والارثوذكس ويمنـــح الكاثوليك (اللاتين) حقا فى اضاءة شمعة فى هيكل السيدة العذراء ،وكان هذا الهيكل فى يد الارثوذكس ولم يكـــن للكاثوليك فى بيت المقدس آى حق فيه ،وبأن يكون فـــى يدهم مفتاح لاحد ابواب كنيسة بيت لحم ٠واحتجت فرنســـا ٠ بينما قبلت روسيا القرار و طلبت اصدار فرمان سلطانـــى به ،فصدر الفرمان فى ٨ فبراير ١٨٥٢٠ فجدد لافاليـــت La Valette السفير الفرنسى فى استانبول احتجاجه ،وحـــاول الباب العالى ارضاء الفريقين معا فأرسل مذكرة الـــى لافاليت يؤكد فيها تمسك الدولة العثمانية بمعاهدة ١٧٤٠ وحرصها على احترام حقوق الرهبان الكاثوليك فى الاماكـــن المقدسة ٠ ولكن طلب القيصر الروسى الغاء اعتراف البـــاب العالى باستمرار معاهدة ١٧٤٠ ،فرد الباب العالى طلبـــه قائلا ان الاعتراف وعدمه من الشؤون العثمانية التى لاكلمة فيها لدولة أجنبية وأنه يعجب كل العجب لتدخل القيصـــر الروسى فى امور لاشأن له فيها لانها تتعلق بسيادة السلطان وحريته المطلقة فى حكم رعاياه ٠ فأغضب هذا الـــــرد

القيصر ،وقرر امام موقف فرنسا القوى فيما يختص بحقوقها فى الاراضى المقدسة ، القيام بمناورات حربية على الحدود العثمانية ،وارسال بعثة منشكوف Menschikcv للاستانة لانتزاع معاهدة جديدة لاتقل فى اهميتها عن معاهدة اونكيار سكلسي •

وصل منشكوف الى الاستانة فى ٩ مارس ١٨٥٣ على سفينة حربية ومعه عدد كبير من الدبلوماسيين والعسكريين وكان القيصر يعتقد ان ضخامة الوفد المفاوض ستحدث أثرا عميقا فى نفوس العثمانيين • وفى تعليمات القيصر لمنشكوف ،بين القيصر ان ليس له مطامع شخصية فى الدولة العثمانية ،وانما يريد تحقيق مطالب رعاياه • أرسل القيصر منشكوف فى بعثة سليمة فى الظاهر ،ولكن كان الغرض منها هو تهديد السلطان حتى لايستجيب لمطالب فرنسا • وكان القيصر يريد فرض حماية روسيا على رعايا السلطان الارثوذكس • وهكذا تلخصت مهمة منشكوف ـ الذى لم يتصف بالكياسة واللباقة ـ فى انتزاع فرمان من الباب العالى بارجاع الحالة فى الاراضى المقدسة الى ماكانت عليه قبل فبراير ١٨٥٢ ،وآخذ فرمان آخر أو"سند" بتأكيد حقوق الرعايا الارثوذكس ،وحماية الروسيا لهم وفى حالة اعتراض فرنسا او تهديدها للباب العالى يعقد منشكوف مع الدولة العثمانية معاهدة دفاعية سرية •

كان منشكوف رجلا متكبرا متغطرسا يرمى قبل كل شيء الى اذلال وزراء السلطان ولذا وجد من مهمته العمل على طرد فؤاد افندى من وزارة الخارجية ،فكان هذا امتهانا واضحا للسلطان والوزراء وللحكومة العثمانية . وكان لاستقالة فؤاد افندى واستهتار الوفد الروسى بالدولة والسلطان أثر سيىء فى نفوس العثمانيين وعند حكومتى انجلترا وفرنسا ،فاعتبرتا ذلك صدمة عنيفة للسياسة الغربية ودليلا على أن الباب العالى منحرف حتما الى جانب الروس ،وان مهمة منشكوف ستنتهى بفوز يفوق الفوز الذى سجله اورلوف Orlov فى مفاوضاته فى اونكيار سكلسي عام ١٨٣٣ ،فطلب اللورد كلارندون Clarendon وزير خارجية انجلترا – من سفيره فى الاستانة سير ستراتفورد دى رد كلف Stratford de Redcliffe ان يقطع اجازته فى لندن ويعود حالا الى مقر عمله ،لاحباط المفاوضات بكل وسيلة ومهما كلفه الامر . ومن ناحية اخرى طلبت فرنسا الى قائد اسطولها فى البحر المتوسط ان يرسل بعض وحداته الى المياه العثمانية . ونشطت الحكومتان لعزل روسيا بعد تأكدهما ان الغاية الحقيقية لمهمة منشكوف هى تحويل قضية الاماكن المقدسة من خلاف مذهبى بين الرهبان اللاتين والارثوذكس الى أزمة سياسية تفيد منها حكومة القيصر

للاجهاز على الامبراطورية العثمانية ،او على الاقل لكسب امتيازات جديدة فيها .

وبينما كانت الحكومتان الانجليزية والفرنسية تتشاوران فى الامر ،كان منشكوف وقد زاده انتصاره على فؤاد افندى غطرسة واستكبارا ،يجمع حوله مساعديه ورجال السفارة ويتدارس معهم نصوص مذكراته الى الباب العالى وفى ١٦ مارس قدم الى السلطان مذكرة أتبعها بأخرى فى ٢٢ من نفس الشهر طلب فيهما بالحاح انهاء مسألة الاراضى المقدسة على وجه يضمن استمرار حقوق الارثوذكس ويضع حدا لتعديات اللاتين ،وسحب مفتاح كنيسة بيت لحم من هؤلاء ووضع قبر السيدة العذراء فى ذمة الروم وحدهم واعطاءهم حرية ترميم قبة كنيسة القيامة . وعلى اية حال شجع السفير الانجليزى فى الاستانة الوزراء العثمانيين على الوقوف فى وجه المطامع الروسية مؤكدا لهم ان انجلترا لن تتركهم وحدهم ،وشرحت الحكومة البريطانية لفرنسا حقيقة أهداف بعثة منشكوف . فاقتنعت فرنسا بوجهة نظر الحكومة البريطانية وبضرورة التساهل فى مشكلة بيت المقدس وبيت لحم لتضيع على الروس كل حجة للانتقال من الخلاف المذهبى الى مشكلة سياسية .

ونزولا على رغبة انجلترا وعملا بنصيحتها ، قبلت حكومة الباب العالى القسم الاكبر من المطالب الواردة فى المذكرتين الروسيتين المؤرختين فى ١٦ و٢٢ مارس . و فى ٤ مايو ١٨٥٣ أصدر السلطان العثمانى فرمانا جديدا بحل الازمة على الوجه الذى أراده المبعوث الروسى .ووافق سفيرا انجلترا وفرنسا فى الاستانة على ماجاء فى الفرمان اعتقادا منهما ان ذلك سيفتح الباب فى القريب العاجل لمطالب جديدة يتقدم بها منشكوف فتكشف عن حقيقة مهمته ونوايا السياسة الروسية فى الامبراطورية العثمانية . و فعلا جاءت تطورات جديدة لوجهة نظر الانجليز ، فبعد ان وافقت الحكومة العثمانية على مطالب منشكوف ، قدم الى الباب العالى مذكرة جديدة طلب فيها اعلان استقلال الجبل الاسود Herzegovina وعزل وزير الحرب الذى كانت روسيا تعتبره خصما لسياستها . وبعد مناقشة هذه المذكرة الجديدة مع السفير الانجليزى ، كتب الباب العالى الى منشكوف يقول له ان مطالبه اعتداء على حقوق السلطان وتدخلا صريحا فى شئون الدولة و خروجا عن مهمته التى انتهت بصدور فرمان ٤ مايو ، وأخبره الباب العالى ان المشاكل البلقانية لها حلول أخرى منها ماهو من شؤون السلطان الخاصة ومنها مايتعلق بالتوازن الاوروبى ، وان الباب العالى لن يقدم على آى تغيير فى الاوضاع الراهنة فى البلقان الا بعد آخذ رآى الدول الاوروبية الاخرى وموافقتها .

جاء هذا الرد صدمة لمنشكوف ،فغضب وأرسل فى اليوم التالى (٥ مايو ١٨٥٣) الى الباب العالى مشروع معاهدة على غرار معاهدة اونكيار سكلسى وأرفقه بمذكرة لها صفة الانذار قال فيها انه لايعتبر فرمان ٤ مايو كافيا ،وطلب الاعتراف لروسيا بحماية الارثوذكس حماية تامة مطلقة غير مقيدة بشرط ،وأعطى الحكومة العثمانية مهلة للرد على مذكرته تنتهى فى ١٠ مايو ،يكون بعدها لسيده القيصر ان يتصرف كما يشاء للقيام بواجبه وتأمين مصالحه. واعتمد السلطان على رفض الدولتين انجلترا وفرنسا، ان تجاب روسيا الى طلبها ،وأخبر رئيس الديوان منشكوف قبل نهاية مدة الانذار " انه لايعتقد ان السلطان مستعد لتوقيع أى معاهدة تنال من استقلاله وتحد من سلطته الشرعية على رعاياه . اما الروم الارثوذكس فانهم فى ظل السلطان يتمتعون بحرياتهم كاملة واذا أردت دليلا على هذا فان التظاهرات الواسعة التى قام بها الارثوذكس احتفاء بك يوم وصولك الى الاستانة بدون ان تمس حريتهم بأقل سوء أنصع الادلة وأصدقها". وحدد الديوان لمنشكوف موعدا فى ١٣ مايو أى بعد انقضاء المهلة بثلاثة ايام لمقابلة السلطان وتسلم الرد على مذكرته . وفى ذلك اليوم توفت السلطانة الوالدة ،فطلب الديوان من منشكوف تأجيل المقابلة الى يوم آخر ،ولكنه أصر على المقابلة فى موعدها فاستاء

السلطان كثيرا وأصدر فى الحال أمرا باقالة الـــوزراء جميعا واسناد الصدارة العظمى الى رشيد باشا ،وأدخل فـى الوزارة أشد الساسة العثمانيين عداء لروسيا . وفـــى ١٧ مايو بلغ منشكوف قرارا من مجلس الوزراء الجديـــد وهيئة العلماء برفض المطالب الروسية ورد انذار ٥ مايـــو ١٨٥٣.

وهنا تدخل سفير النمسا ،واشار على منشكوف ان يسحب انذاره ويستعيض عن المطالبة بمعاهدة جديدة بطلـــب " مذكرة دبلوماسية لها صفة الالزام " يتعهد فيهـــا السلطان بمنح بعض الامتيازات للروس فى الاماكن المقدســـة . ونزولا على نصيحه السفير النمسوى ،قدم منشكوف مذكـــرة جديدة بهذا المعنى و لكنه ختمها بقوله " ان رفض البـــاب العالى قبول هذا الطلب يعتبره جلالة القيصر عملا عدائيـا لروسيا ولدينها" .ولكن سفيرى انجلترا وفرنسا شجعـــا الباب العالى على رفض المذكرة الجديدة ،فردها البـــاب العالى . فما كان من منشكوف الا ان غادر الاستانة هـــو واعضاء وفده وحاشيتـه والسفير الروس ليلة ٢٢/٢١ مايـــو وكان اخفاق مهمة منشكوف نقطة تحول فى السياســـة الاوروبية فى الشرق و لطمة عنيفة لكبرياء نيقولا الاول .

كان انسحاب منشكوف من الاستانة خطوة خطيرة الشأن، فقرر القيصر ان يضع اوروبا امام الامر الواقع بعمل عسكرى سريع فأذاع على شعبه فى الكنائس فى اواخر يونيو ١٨٥٣ نداء " لحرب صليبية ضد الامبراطورية العثمانية ختمه بأن " على الروس ان يعتمدوا على الله فى الدفاع عن الدين الارثوذكسي " وفى يوليو ١٨٥٣ عبر جيش روسى نهر بروث واحتل مولدافيا وولاشيا (ولايتى الدانوب) وكانت اوساط البلاط الروسى مقتنعة بأن هذا العنف سيبلغ روسيا أهدافها فى مدة قصيرة جدا بدون أن يكون له رد فعل دولى . وكان اقتناعها هذا قائما على ان الجيش العثمانى ضعيف وان اتفاق انجلترا وفرنسا ضد روسيا من الامور المستحيلة ،وان بروسيا والنمسا لن تحيدا عن واجب الولاء للقيصر الروسى لما بينهما وبينه من روابط القربى . ولكن هذه الاسس التى ركز عليها القيصر سياسته كانت وهمية ،ولم يكن صحيحا منها غير الاساس الاول ،أى ضعف الجيش العثمانى .

حاولت النمسا تهدئة الوضع وجمع الكونت بول(Poul) رئيس وزرائها سفراء الدول الموقعة على معاهدة ١٣يوليو ١٨٤١ لتسوية الخلافات بين روسيا والدولة العثمانية وتم الاتفاق على وضع مذكرة مبهمة الصيغة وأرسلوها الى

روسيا و الدولة العثمانية ليوقع عليها الطرفان. واشتملت المذكرة على فقرتين اعتقد المجتمعون ان فيهما حل للخلاف وهما :

١) ان اباطرة روسيا قد أضفوا فى كل العهود والأزمان عطفهم على الكنيسة الارثوذكسية وكانوا دائما حريصين على استمرار مالاتباعها من امتيازات وحصانات فى الامبراطورية العثمانية ،كما ان السلاطين لم يمتنعوا من تثبيت هذه الحصانات و الامتيازات فى وثائق رسمية ،تدل على استمساكهم بسياسة الحنو و العطف على رعاياهم المسيحيين .

٢) " ان حكومة جلالة السلطان ستبقى أمينة على روح ونص المواد الواردةفى معاهدتى كوتشك قينارجه وادرنة من حماية الدين المسيحى ،وعلاوة على هذا فانها تتعهد بالسماح للمذهب الارثوذكسى ،ضمن نطاق العدالة بأن يفيد من الامتيازات المعطاة للمذاهب المسيحية الاخرى فى معاهدات او فى فرمانات خاصة .

وقبل القيصر نص المذكرة وأبدى استعداده للتوقيع محتفظا بحق التفسير ،ولكن الباب العالى رفضها فى ٢٠ آغسطس ١٨٥٣ ،وقدم مذكرة عثمانية رفضها الروس . وهكذا آخفق مؤتمر السفراء فى فينا وتدهورت الاوضاع و انتشر

شبح الحرب ،وبدأت الدول استعداداتها العسكرية . وفى ٢٠ سبتمبر أرسل الباب العالى الى روسيا انذارا بالانسحاب من ولايتى الدانوب فى مدة لاتزيد عن ١٥ يوما . وفى ٣٠سبتمبر طلب الباب العالى من انجلترا وفرنسا ان تأمرا الاسطولين الانجليزى والفرنسى الراسيين عند الدردنيل بالتقدم الى مياه الاستانة ،فأجابته الحكومتان الى طلبه الانسحاب وعبر الاسطولان المضيق . ورفض الروس الانسحاب من ولايتى الدانوب ،فلما انتهت مهلة الانذار أعلن الباب العالى الحرب على روسيا فى ٤ اكتوبر ١٨٥٣ واضعا انجلترا وفرنسا امام الامر الواقع وتاركا لهما حرية الاختيار فى ضوء مصالحهما بين أن تنصراه وتدافعا عنه فيتم لهما القضاء على روسيا و التحرر من كابوسها أو أن يتركاه وحيدا فى الميدان يلتهمه الجيش الروسى لقمة سائغة فيسيطر على الشرق سيطرة كاملة .

لم يكن اذن بد من الحرب بعد ان هاجم عمر باشا قوات الروس فى ولايتى الدانوب ،وبدأت الحرب فعلا فى ٢٣ اكتوبر. وفى هذا الشهر نفسه ،كانت الوزارة الانجليزية منقسمة على نفسها ،فلقد كان الخوف شديدا من جانب بعض الوزراء ،من دخول الحرب ،او احراج القيصر الروسى وكان على رأس هؤلاء الخائفين الوزير ابردين

وعلى رأس المطالبين بالحرب بامستون ورسل، وأخذ نفوذ ابردين يتضاءل بسرعة أمام نفوذ هذين الوزيرين . ولقد حاول استراتفورد دى ردكلف فى الاستانة محاولة أخيرة للمحافظة على السلام وذلك بناء على أوامر حكومته فلم يفلح ،وجاء الرفض من جانب العثمانيين ،فلم يكونوا مستعدين لقبول السلم بأى ثمن وخاصة بعد أن كسبت جيوشهم انتصارات على الجيوش الروسية فى أواخر شهر نوفمبر .

وكان القيصر الروسى نيقولا قد أعلن انه لن يهاجم العثمانيين الا اذا هاجموا قواته ،ولكن قوة بحرية روسية كبيرة قابلت قوة بحرية تركية صغيرة عند سينوب ودمرتها، فأثارت هذه الكارثة عاصفة من السخط فى انجلترا ضد روسيا . ففى انجلترا أطلق على تلك الموقعة Massacre of Sinope ورأى ستراتفورد دى ردكلف ضرورة دخول الاساطيل الانجليزية والفرنسية البحر الاسود لوضع حد لاعتداءات وحركات الاسطول الروسى ،واستقال بامستون من الوزارة ،واضطرت انجلترا ان تعلن للقيصر الروسى بأنه اذا عبرت جيوشه الدانوب ستدخل انجلترا الحرب ضد روسيا، وأرسلت الحكومة الانجليزية تعليمات واضحة الى اسطولها فى المياة التركية بحصار الاسطول الروسى . ورأى نابليون

الثالث ان لامناص من تطهير البحر الاسود من السفن الروسية الحربية وان فرنسا مستعدة للقيام بهذه المهمة وحدها فخشيت الحكومة الانجليزية ان تنفصل عن فرنسا، وخشيت سيطرة فرنسا على البحر . وحين صممت الحكومة الانجليزية على اتخاذ خطة حاسمة فى ٢٤ ديسمبر ١٨٥٣ عاد بامستون الى الوزارة .

وحتى لاتقع كارثة الحرب، أسرع بول - رئيس وزراء النمسا الى عقد مؤتمر فى فينا من سفراء الدول الكبرى ماعدا روسيا، وقرروا فى ١٣ يناير ١٨٥٤ وضع مذكرة فى شكل بروتوكول كان لستراتفورد رد كلف اليد الطولى فى صياغتها، تطلب انسحاب الجيوش الروسية من مواقعها و تعهد الباب العالى لقاء هذا الانسحاب بمايلى :

١) تبقى المعاهدات السابقة بين روسيا والدولة العثمانية سارية المفعول الى ان يتم بين الفريقين اتفاق جديد على اساسها .

٢) يمنح النصارى فى الامبراطورية العثمانية امتيازات جديدة، ويصدر السلطان قانونا اصلاحيا فيما يتعلق بأوضاعهم .

٣) تجديد معاهدة ١٨٤١.

وكلف المؤتمر الحكومة النمسوية تقديم هذه المذكرة الى حكومتى روسيا و الدولة العثمانية . وقبل ان تصل المذكرة الى الدولتين كان القيصر ردا على دخول الاسطولين الى البحر الاسود ،قد أمر بسحب سفيرية من لندن وباريس فردت حكومتا انجلترا وفرنسا على عمله بالمثل.

و فى ١٢ مارس ١٨٥٤ عقدت انجلترا وفرنسا معاهدة مع الباب العالى تعهدت فيها الحكومتان " بتقديم المساعدة العسكرية للباب العالى للمحافظة على استقلاله ووحدة بلاده ورد الجيوش الروسية التى اجتاحت بدون حق ممتلكاته البلقانية " . وتعهد السلطان من جهته " بأن لايعقد آى صلح او هدنه ولايقوم بأى مفاوضة مباشرة او غيرمباشرة مع الجانب الروسى بدون علم الحكومتين وموافقتهما وعقب توقيع هذه المعاهدة أرسلت الدولتان انذارا الى روسيا باجلاء جيوشها من ولايتى الدانوب قبل ٣٠ ابريل ١٨٥٤ وردت روسيا برفض الانذار ،فأعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على روسيا فى ٢٧ مارس ١٨٥٤ ،واتبعتا هذا الاعلان فى ١٠ ابريل بتوقيع معاهدة ثنائية بينهما تحدد شروط وأساليب التعاون العسكرى برا وبحرا لارغام روسيا على الانسحاب من الاراضى العثمانية . وكان أهم مافى هذه المعاهدة من الناحية السياسية المادة السادسة التى

تعطى الدول الاوروبية الاخرى حق الانضمام اليها،وقد أريد بها ترك الباب مفتوحا امام النمسا وبروسيا للانضمام الى الحلفاء ،ولكن هاتين الدولتين قررتا الوقوف على الحياد وعقدتا فى ٢٠ ابريل معاهدة دفاع مشترك بينهما اكدتا فيها عزمهما على مقاومة كل جيش يقترب من الاراضى القريبة من حدودهما فى البلقان ،او ينزل على السواحل المتاخمة لبلادهما .

واضطرت القيادة الانجليزية - الفرنسية الى تعديل بعض خططها ،فلم تنزل قواتها على السواحل البلقانية بل وجهت جيشا الى شبه جزيرة غاليبولى لحماية الاستانة ، وأنزلت جيشا آخر فى بيريه ،ميناء آثينا ،لتجميد اليونان . وقابل القيصر نزول الحملتين العسكريتين فى غاليبولى و بيريه بهجوم شديد على خطوط العثمانيين. فقطعت جيوشه نهر الدانوب وهزمت جيش عمر باشا فى معركة دامية فتحت امامها طريق الاستانة . وفى ٢ يونيو أرسلت النمسا الى روسيا مذكرة تحتج فيها على دخول الجيش الروسى الى قلب البلقان وقطعه نهر الدانوب و تطالب " بسحب الجيش فورا الى مواقعه السابقة والا اضطرت الى اخراجه بالقوة " . وهنا قرر القيصر معالجة الامر حتى يفوت على انجلترا وفرنسا فرصة انضمام النمسا الى معاهدتهما

الثنائية ،وصدرت الاوامر الى قائد الجيش بوقف التقدم نحو الاستانة والعودة الى ماوراء نهر بروث .

وفى ٨ اغسطس ١٨٥٤ وضعت انجلترا وفرنسا والنمسا بناء على اقتراح من نابليون الثالث مذكرة عرفت باسم " مذكرة الضمانات الاربع " خلاصتها ان السلام لايمكن ان يعود الى اوروبا الا اذا توافرت له الشروط التالية :

١) وضع ضمان اوروبى لولايتى الدانوب محل حماية روسيا لهما .

٢) تقرير حرية الملاحة فى نهر الدانوب

٣) اعادة النظر فى اتفاقية المضائق (١٣ يوليو ١٨٤١) لصالح توازن القوى فى اوروبا .

٤) ترك الروس ادعائهم حق حماية الرعايا المسيحيين للدولة العثمانية ،وبدلا من هذا تأخذ دول اوروبا وعدا من السلطان بتحسين حالة رعاياه المسيحيين .

وسلمت هذه المذكرة لجورتشاكوف سفير روسيا فى فينا ليرسلها الى حكومته واعطى ١٥ يوما للموافقة عليها او رفضها . ورد جورتشاكوف قائلا : " اذا كنت قد قبلت فيما مضى معاهدة للصلح فيها اكثر من تضحية فى سبيل السلام فاننى لن اقبل اليوم بأى شىء أجد فيه انتقاصا

من كرامة حكومتى وشرف وطنى "،ونتيجة لهذا الموقف الحازم انزل الحلفاء جيوشهم فى شبه جزيرة القرم فى ١٤ سبتمبر لمحاصرة سباستبول وتدميرها واجبار القيصر على قبول الضمانات الاربع .

وبدأت المعارك عند سباستبول ،واستبسل الروس فى الدفاع عن معاقلهم ،وفى ٣٠ سبتمبر انتصر الفرنسيون على الروس فى موقعة آلما(A lma) ولكنهم دفعوا ثمن النصر غاليا ،فقل عتادهم وزادهم وكثر عدد مرضاهم فطلبت قيادتهم نجدة سريعة من باريس ،فاتفقت الحكومتان الانجليزية والفرنسية على الاستعانة بالنمسا واقترحتا عليها الدخول فى الحرب الى جانبهما لقاء اعترافهما لها بمركز ممتاز فى البلقان ،فقبلت النمسا وقررت ارسال فرقة من جيشها الى الجبهة والسماح للجيوش الفرنسية بعبور اراضيها الى الحدود الروسية ،فعارضت بروسيا ، واحتجت لان هذا التصرف مخالف لمعاهدة ٢٠ ابريل ١٨٥٤ الثنائية بينها وبين النمسا . وفى هذا الوقت كانت حكومة سردينيا ترقب تطورات الازمة ،ورأى رئيس وزرائها كافور الفرصة سانحة لدخول بلده الصغير فى " التضامن الاوروبى" فيخطو الخطوة الاولى نحو طرد النمسا من لمبارديا والبندقية وتحقيق الوحدة الايطالية . وآخبر انجلترا وفرنسا ان بلاده مستعدة للاشتراك معهما فى الحرب وامداد

جبهـــة القرم بما تحتاج اليه من رجال و عتاد ، وعندمـــا علمت النمسا بالمفاوضات الدائرة بين انجلترا وفرنســـا وسردينيا اقترح بول على انجلترا وفرنسا فى ٢ ديسمبــــر عقد معاهدة على اساس " مذكرة الضمانات الاربع " تتعهـــد فيها حكومته بعدم التفاوض منفردة مع الروس فى كـــل مايخالف هذا الاساس ، وأدرك القيصر ان النصر فى القــرم لن يكون حليفة فى النهاية فقرر قبول " مذكرة الضمانـــات الاربع " والتفاوض مع الحلفاء على تحديد مفاهيم هـــذه الضمانـــات .

ازدادت معارك القرم عنفا وضراوة ،وعقدت انجلتـــرا وفرنسا اتفاقا مع سردينيا فى ٢٦ يناير ١٨٥٥ أعلنت فيـــه الاخيرة انضمامها الى المعاهدة الثنائية و تعهــــدت بارسال ١٥ر٠٠٠ جندى الى ميادين القتال مقابل تعهـــد من فرنسا وانجلترا بحماية ممتلكاتها من أى أعتـــداء طوال مدة الحرب ، وفى ١٥ مارس عقدت سردينيا مع الـــدول العثمانية محالفة مستقلة قوت مركزها فى البحر المتوسط وكانت هذه التطورات قد أقلقت القيصر الروسى وتدهـــورت صحته وتوفى فى ٢ مارس و خلفه ابنه اسكندر الثانى الـــذى كان اكثر اهتماما بمصالح روسيا الحقيقية من اهتمامـــه بمكافحة الثورات ،ففضل انهاء الحرب بالطرق الدبلوماسيـــة

وطلب من جورتشاكوف سفيره فى النمسا استئناف المفاوضات على اساس قبول روسيا البندين الاول والثانى من" مذكرة الضمانات الاربع " . وفهم الحلفاء ان روسيا قد غلبت على أمرها فتشددوا فى موقفهم وأصروا على ان تكون المفاوضات حول تدويل البحر الاسود وتحديد القوة الروسية التى يجوز لها البقاء فيه و على سواحله وبالتالى تعديل معاهدة المضائق المعقودة عام ١٨٤١ ووضع مندوبو انجلترا و فرنسا والنمسا مقترحاتهم فيما يتعلق بمعاهدة المضائق فى مذكرة قالوا فيها : " ان الغاية من تعديل معاهدة ١٣ يوليو ١٨٤١ هى ربط الوجود العثمانى بالتوازن الاوروبى ووضع حد لسيطرة روسيا على البحر الاسود . أما تفاصيل هذا التعديل فتحديدها متصل اتصالا رشيقا بأحداث الحرب ولهذا فليس من المستطاع ان توضع اسسها الآن ،ويكتفى ان يقرر مبدأها " . وقال جورتشاكوف ان روسيا لاتقبل من هذه المذكرة الا ماجاء فيها عن " ربط وجود الامبراطورية العثمانية بالتوازن الاوروبى" أما انهاء سيطرة روسيا على بحر مغلق يكاد يكون بحيرة بالنسبة لها فهو أمر تعتبره معارضا لكل مفاهيم كرامتها الوطنية .

ولما تعقدت الامور،تدخل امبراطور النمسا وأفهم

جورتشاكوف ان الدول الحليفة جادة فى اذلال روسيا فعليه ان ينقذ وطنه بأى وسيلة فى متناول يده . فوافق جورتشاكوف على البحث فى تعديل معاهدة ١٨٤١ والضمانات فى البحر الاسود . وعقدت الدول العظمى مؤتمرا فى فينا استمر من مارس حتى مايو ١٨٥٥ ،ورفض الروس تحديد قوتهم البحرية فى البحر الاسود ،و أجل المؤتمر شهرا ثم عاد الى الانعقاد فى ١٧ ابريل ،ووجد الحلفاء ان روسيا لن توافق على تفسيرهم ،وظهر ايضا ان النمسا ليست مستعدة للدخول فى حرب لفرض هذا التفسير على روسيا ،ولكنها أى النمسا وضعت مشروعا جديدا بأن يسمح لروسيا بأسطول كبير فى البحر الاسود ،وأن يسمح فى نفس الوقت لاساطيل الحلفاء بدخول ذلك البحر . وفى ٤ يونيو رفض الروس فى مؤتمر فينا مقترحات الحلفاء فى تحديد قوات روسيا البحرية فى البحر الاسود . ولذا انفرط عقد المؤتمر ،ولم تدخل النمسا الحرب انتصارا لحلفائها .

فشلت الدبلوماسية اذن ،واضطرت انجلترا وفرنسا الى العودة الى الحرب وهاجم الحلفاء سباستبول فسقطت فى ٨ ديسمبر ،وبذا انتصرت الدولتان فى حرب القرم،ولكن الحلفاء كانوا فى حيرة كيف يهاجمون روسيا بعد ذلك، ولم يكونوا يدرون ماذا ستكون طلباتهم بعد كسب انتصارات

أخرى • فكر الحلفاء فى مهاجمة قواعد روسيا الاخرى فى
البحر الاسود و البحر البلطى و حرمان روسيا من شواطئها
وكان بامستون لايرى بأسا من استمرار الحرب حتى تقهر
روسيا تماما ،ولكن نابليون الثالث كان قد مل الحرب
وأراد استصلاح روسيا • فكر نابليون فى مبدأ الامر فى
اثارة موضوع بولونيا ،ولكنه وجد ان اثارة هذا الموضوع
سيضم بروسيا والنمسا الى جانب روسيا ،ويعيد احياء الحلف
المقدس من جديد • وكان مورني Morny أحد المغامرين
المحيطين بنابليون يرى استصلاح روسيا وعقد حلف معها ،
فحلف مع روسيا سيطلق يد فرنسا في اوروبا • ولما علم
بول رئيس وزراء النمسا بهذه المحاولة محاولة التفكير
فى عقد حلف روسي فرنسي ،أسرع و قرر ان تفرض النقط
الاربع كما فسرها الحلفاء على روسيا ،وقدم بذلك انذارا
الى روسيا وقرر اشتراك الدول الثلاث فى ضمان سلامة
الدولة العثمانية وقبل الانجليز و الفرنسيون ذلك الموقف
وفسر بول النقطة الاولى فى صالح النمسا،فتقتطع بسارابيا
من روسيا ،وبذلك تبعد روسيا من مصب الدانوب• وفسرت
النقطة الثالثة بحيادة البحر الاسود ،فلقد اختفت القوة
البحرية الروسية فى البحر الاسود ،وقرر الحلفاء ايضا الا
تكون للدولة العثمانية قوة بحرية فى البحر الاسود •
وأرسل الانذار النمسوى الى روسيا فى ١٥ ديسمبر ،وحاول

الروس المساومة فرفض بول فى ٥ يناير ١٨٥٦ ،وبين ، ملك بروسيا للقيصر الروسى اهمية التسليم • واقترح جورتشاكوف رفض الانذار النمسوى ولكن نسلرود – رئيس وزراء روسيا رأى عكس ذلك وضرورة قبول شروط النمسا • كانت النمسا تخشى من اتفاق روسيا وفرنسا ،ان يصبح الفرنسيون أحرار التصرف فى ايطاليا ،وكان هذا الدافع وراء الانذار النمسوى الذى قدم لروسيا •

وقررت روسيا التسليم وأمضيت مقدمات الصلح فى اول فبراير عام ١٨٥٦ وبذلك انتهت حرب القرم • والواقع ان روسيا لم تخسر كثيرا بقبول " مذكرة الضمانات الاربع "، فلقد دمر أسطولها بالفعل ،ولم تعد لها قوة بحرية فى البحر الاسود حتى تعارض جديا فى جياده • وتقبل طلبها فى انشاء سفن صغيرة للاعمال البوليسية فى شواطئها • وبذا قبلت النقطة التى رفضتها فى فينا ،أما مسألة الرعايا المسيحيين فهذه استدعت بعض المناقشة ،واتفق اخيرا على ان يصدر السلطان وعدا بالعمل على المساواة التامة بين رعاياه المسلمين والمسيحيين • واصبحت الملاحة حرة فى نهر الدانوب ،ومنحت ولايتا الدانوب استقلالهما تحت سيادة Suzerainty السلطان ،وضم جزء من بسارابيا اليها • وعادت الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا فى

آسيا الى ماكانت عليه قبل الحرب ،واصبحت الدولة العثمانية تتمتع بكل الحقوق فى ظل القانون الدولى كما اتفقت انجلترا وفرنسا والنمسا على ان اى اعتداء على تركيا سيكون معناه دخولها الحرب .

بينت حرب القرم ماعليه روسيا من وهن ،فلقد كانت الدول تظن ان روسيا أقوى بكثير من حقيقتها - كانت هذه الحرب غزوا من جانب غرب اوروبا لروسيا . ولم يعد لروسيا بعد حرب القرم قيمة كبيرة فى مسائل اوروبا ،ولم تستعد مركزها فى اوروبا الا فى عام ١٩٤٥،وتصرف فى مسائل اوروبا دول غرب اوروبا ووسطها .

وفى ٢٥ فبراير ١٨٥٦ انعقد مؤتمر الصلح فى باريس وأمضيت معاهدة باريس فى ٣٠ مارس ١٨٥٦ ،ولكن ظل اجتماع المؤتمر الى ١٦ ابريل ،فلقد تحول الى اجتماع اوروبى وكان مؤتمر باريس اول مؤتمر اوروبى بعد مؤتمر فيرونا عام ١٨٢٢ فكل الاجتماعات الدولية السابقة له كانت لحل مشكلة معينة ،واما مؤتمر باريس فقد اجتمع لحل مشكلة الشرق الادنى لا لحل المشكلات الاوروبية العامة . وكانت معاهدة باريس اول معاهدة يوقعها السلطان لا يكون فيها اى انتقاص لممتلكاته او اضعاف لقوته ،لقد جعلت معاهدة

باريس للدولة العثمانية مركزا اكثر امتيازا من ذى قبل، وضمنت على الاقل نظريا انضمام الدول الاوروبية الغربية الى جانبها ضد روسيا لحين من الدهر،وجعل أمر استقلالها فى امورها الداخلية جزءا من القانون الدولى والدبلوماسية الاوروبية . كما دمرت قوة روسيا الحربية مدوة الدولة العثمانية لمدة عشرين عاما . والغريب فى معاهدة باريس ان الدول الاوروبية نسيت او تناست اوضاع الاماكن المقدسة فى فلسطين وحقوق الروم واللاتين واكتفت بالمادة السابعة منها بالمحافظة على وحدة الامبراطورية العثمانية وقبولها عضوا معنويا فى التضامن الاوروبى . ولما قام عالى باشا الصدر الاعظم ورئيس الوفد العثمانى الى المؤتمر يطالب بالغاء الامتيازات الاجنبية فى الامبراطورية العثمانية لانها اصبحت باعتراف المعاهدة الدولية عضوا فى التضامن الاوروبى،ولأن هذه الامتيازات تعتبر خروجا على القانون الدولى العام والسبب الاول فى تطاحن الدول فى الشرق و عنصرا من أهم عناصر الضعف و الانحلال فى الدولة ،قيل له ان معاهدات الامتيازات يجب ان تبقى لان الدولة العثمانية لم تقم بعد بتنفيذ اصلاحاتها و منح المساواة الفعلية بين جميع رعاياها .

ولم تسجل معاهدة باريس انتصارا سياسيا لدولة

على اخرى ،ولم تضع حلولا جذرية لاهم المشكلات الدوليـــة . وسبب هذا ان الحرب لم تبدل شيئا من أوضاع الدول الكبرى فظلت مصالحها واهدافها متضاربة وانتهى مع الحـــرب تعاونها وتفاهمها . وبقيت احكام معاهدة باريس قائمـــة على علاقتها ودستورا للعلاقات الدولية حتى عام ١٨٧٨. وقد نصت معاهدة باريس على بعض النقاط التاليـة :

١) احترام استقلال الدولة العثمانية و عدم المســاس بممتلكاتهـا .

٢) اعلان حيدة البحر الاسود ،فلم يعد لروسيا قوة بحرية في البحر الاسود تجعلها تعارض بشكل جدى فى موضـوع الحياد . وبتسليم الروسيا بهذا المبدأ لم تعـد تهتم كثيرا بالشؤون الاوروبية ،وذلك لمدة خمســة عشر عاما ،ويمكن القول بأنها قد اهملتها اهمـالا يكاد يكون تاما ،وذلك لشعورها بالمرارة من موقـف الدولتين الكبيرتين انجلترا وفرنسامنها. فالبحـر الاسود بصفة خاصة والمسألة الشرقية بصفة عامـة هى حجر الزاوية بالنسبة للسياسة الروسية منـذ القرن الثامن عشر ،فتحطيم المشروعات الروسيـة فى هذه المنطقة قد دفع الروسيا الى الاهتمام بالشؤون الاوروبية . وترتب على ذلك توسع الروسيا فى أواسط آسيا و تضخم حجم الامبراطورية الروسية فى ذلك الوقت .

٣) تعهد الدولة العثمانية بتحسين احوال رعاياهـــا المسيحيين فى البلقان على الا تتدخل أية دولـــة خارجية فى شؤونها الداخلية . ولكن يبدو ان السلطان العثمانى لم يف بهذا التعهد و ظلت احوال الرعايا المسيحيين موضع شكوى بصفة مستمرة .

٤) الاعتراف بحرية الملاحة فى نهر الدانوب ،وكان هـــذا نجاحا للنمسا فاستطاعت ابعاد الخطر الروسى عـــن مصب نهر الدانوب ،ولكنها فى نفس الوقت خسرت صداقة الروسيا الى الأبـــد .

٥) الاعتراف بحق الدولة العثمانية فى اغلاق مضيـــق البوسفور والدردنيل فى وجه السفن الحربية لسائـــر الدول . وهذا البند جزء متمم لحياد البحر الاســود . ولمبدأ احترام سيادة الدولة العثمانية واستقلالها .

٦) تعديل الحدود بين روسيا والدولة العثمانية .

٧) فى حالة حدوث خلاف بين الدولة العثمانية وغيرهـــا من الدول ،يجب قبول مبدأ التحكيم لفض الخلاف قبـــل ان يستفحل خطره ويؤدى الى نشوب حرب أوروبيـــة .

الفصل السادس

الوحدة الايطالية

الفصل السادس

الوحدة الايطالية

(Unification of Italy)

يعتبر قيام الوحدة الايطالية من اهم احداث اوروبا في القرن التاسع عشر . فمنذ ان تداعت الامبراطورية الرومانية في الغرب الاوروبي قامت التجزئة الاقطاعية في شبه الجزيرة ،وأخذ التنافس بين المدن و الاسر ذات النفوذ والسيادة فيها . وفي العصور الحديثة ظهر التناقض جليا بين آشراق الحضارة في ايطاليا وبين ضعف السلطة السياسية والركود الاقتصادي . وأدى هذا الوضع الى السيطرة الاجنبية من اسبانية ونمسوية. حتى ان العناصر الموحدة في ايطاليا كالكاثوليكية الرومانية والتراث الثقافي الروماني طغت عليهما قوى داخلية فرقت شبه الجزيرة . ومع هذا فقد عاشت ايطاليا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عهدا سعيدا يعتبر بحق من أسعد و آهدآ عهودها التاريخية . لقد كان السلام يخيم عليها منذ معاهدة اكس- لاشابل (١٧٤٨) اذ قسمت ايطاليا آنذاك الى عشر دول مختلفة النوع ،لايوجد بينها آي رابطة سياسية ،ولكن هذه الدول وان كانت تختلف في نظامها السياسي ، الا انها كانت تتفق في المفاهيم . لقد كانت كلها خاضعة للنظام الاستبدادي الذي يعتمد من الوجهة الاجتماعية على نظام الطبقات ،ومن الناحية الفكرية على

الائتلاف الفكرى الذى يحافظ عليه من طريق الكنيسة و المدارس والجامعات والاكاديميات ،وعند الضرورة عن طريق السياسة • ولقد أوجد هذا الوضع فى مختلف الدول الايطالية الهدوء والنظام • وبدا ان عهد الفوضى التى عرفتها ايطاليا ،كما فى عصر النهضة مثلا ،قد مضت وانقضت لان كل مافيها سائر ضمن النظام السائد •

وعلى اية حال ،لم يكن من الصعب تحقيق الوحدة الوطنية فى ايطاليا لانها لم تكن " مصطلحا جغرافيا " وهو التعبير الذى وصف به مترنيخ Metternich هذه البلاد – الا من الناحيتين السياسية والتاريخية وفيما عدا ذلك كانت هنالك قومية ايطالية محددة المعالم تضافرت على انشائها العوامل الآتية :

١) ان شبه الجزيرة الايطالية ذات حدود جغرافية معينة .

٢) لم تكن شبه الجزيرة الايطالية تتألف من عناصر غريبة او اجنبية عن الايطالية ،حقيقة وجدت اختلافات (اقليمية) محلية ،ولكنها لم تكن اختلافات عنصرية ناجمة عن اختلاف فى الجنس والعنصر ،فهناك قطعا (جنس) ايطالى بمعنى ان التقاليد الجغرافية ،من جانب ،والحركات التاريخية والاقتصادية من جانب آخر، فقد أوجدت جماعة متجانسة تشترك فى العقيدة واللغة

وانعدم من ايطاليا وجود أدب اقليمى ينبىء بـأن هناك اختلافات روحية .

٣) كان يربط اهل البلاد جميعهم شعور الزهو والافتخار بتراثهم المتخلف من امجادهم الغابرة على ايام الامبراطورية الرومانية فى العصور القديمةوالبابوية العتيدة ،خلال العصور الوسطى . ولقد كانت هذه الامجاد السابقة الموضوع المفضل لدى دعاة القومية والوحدة الوطنية طوال القرن التاسع عشر ،يستثيرون به حمية مواطنيهم وليدفعوهم نحو العمل .

وكان ينقص هذه العوامل العزيمة الصادقة ،والارادة القوية ، التى تعمل على نقل هذه القومية و الذاتية الايطالية ،من عالم الفكر و الروح الى عام الواقع وميدان السياسة .

وفى عام ١٨٣٠ فقط بدأت تشاهد فى ايطاليا حركة تهدف الى تحقيق الوحدة القومية ،وقبل ذلك كانت عوامل التفكك تتغلب على عوامل الترابط والاندماج بسبب الاحوال الاجتماعية والسياسية السائدة فى شبه الجزيرة . لقد أدت تسوية فينا عام ١٨١٥ الى تقسيم ايطاليا ،فقامت سبع دول من حجوم جعلت لها قدرا من الاهمية . من ذلك مملكة

الصقليتين وعدد سكانها سبعة ملايين ونصف مليون نسمة ، ثم مملكة بيد مونت ـ سردينيا ،وعدد سكانها أربعة ملايين، ثم مملكة لمبارديا ـ فينيسيا و عدد سكانها أربعة ملايين وربع مليون نسمة ،ثم الولايات البابوية من مليونين ونصف ، وفيما عدا ذلك ، فان الدوقيات الثلاث بارما ،ومودينا ،وتسكانيا ،كانت اقل فى حجومها كثيرا . و قام النظام السياسى الذى أرسيت قواعده فى مؤتمر فينا على حقيقة واحدة هى اخضاع الحكومات التى أنشئت فى ايطاليا لسلطان النمسا ،سواء اكانت ، هذه تحكم اجزائه من ايطاليا حكما مباشرا ،كما كان الحال فى لمبارديا ـ فينيسيا ،أم أنه كان لها نفوذ و سلطان غير مباشر على سائر الدول والامارات الايطالية . ولاشك فى ان العمل بمبدأ ارجاع اصحاب الحقوق الشرعية الى عروشهم فى ايطاليا ،قد أيد سلطان النمسا وسيطرتها عندما رجعت الاسرات الحاكمة القديمة ـ قبل عهد الثورة ونابليون ـ مصممة على استئناف سيرة الحكم كما كان أيام النظام القديم . فتناسى الحكام العائدون قوة المبادىء التى نادت بها الثورة الفرنسية ثم تغلغلت فى ايطاليا فى عهد الامبراطورية النابليونية ،وبحيث صار أهل شبه الجزيرة الايطالية ـ و المفكرون والقادة خصوصا من الطبقة البورجوازية ،ومن فريق المتنورين من النبلاء .

كذلك لاينظرون الى المبادىء التالية كأنها مجرد اوهـام: المساواة امام القانون ،حرية الضمير والعبادة ،حرية القول و الرأى ،حرية النشر ،حق المواطنين فى الالتحاق بالوظائف العامة دون تفرقه أو تمييز ،وقبل كل شىء حق المواطنين فى تأسيس الحكومة الوطنية . وحكمت النمسا فى ايطاليا حكما رجعيا مستبدا باعتبار ان هذا النوع من الحكومة ضرورى لاستمرار سيطرتها ولدعم نفوذها فى ايطاليا .

ولكن بعد عام ١٨١٥ ،وبعد عهد الثورة الفرنسية ونابليون ،لم يعد متيسرا فى ايطاليا اغفال ارادةالشعوب او اهانه الشعور القومى ،بل ان الاستهانة بمطالب الايطاليين ،وبقوميتهم سرعان ماحرك الثورات فى ايطاليا فلم تمض ثلاثون سنة على المعاهدات التى آبرمت والتسويات التى حصلت فى فينا ،حتى كانت قد بدأت فى ايطاليا حركة اصلاح كانت متعارضة تماما مع المبادىء التى قامت عليها هذه المعاهدات ذاتها و التسويات التى تمت فى فينا ،ولقد كانت هذه الحركة الاصلاحية موجهة فى صميمها نحو غاية واحدة : التحرير من السيطرة النمسوية . وهى الحركة التى آفضت الى الثورات التى قامت فى عامى ١٨٤٨و ١٨٤٩ ،وكانت هجوما عنيفا على النمسا ـ الدولة التى

كان السياسيون فى مؤتمر فينا قد أرادوا ان يمكنوهـــــا من فرض سلطانها فرضا على شبه الجزيرة الايطالية .

ولكن ماهى الصعوبات التى واجهت قيام الحركة القوميـــة فى ايطاليـــا ؟ تتمثل هذه الصعوبات فيمايلى :

١) السيطرة النمسوية والاساليب التى اتبعتها النمســا فى الحكم فى ايطاليا ،فقد صمم مترنيخ على ان يسود الحكم المطلق والمستبد فى ايطاليا بدعوى ان أيـــة تنازلات من جانب النمسا لارضاء الاحرار ،سوف تودى حتما الى توحيد ايطاليا فى دولة ذات نظام جمهورى.

٢) لم تكن هناك حياة اقتصادية مشتركة ،فكان بكـــل جهة سوقها الخاص بها ،منعزلا عن الاسواق الاخـــرى، ويفصل كل اقليم عن الآخر حاجز من الضرائب الجمركيـة المفروضة لحماية المصالح المحلية ،اوالتى كـــان الغرض منها كذلك منع دخول منتجات الاقاليم الاخرى اطلاقا . ولم تكن فى ايطاليا عملة مشتركة ،آوموازين ومقاييس واحدة معمول بها فى كل الدويــــلات والامارات . وانعدم بسبب ذلك كله وجود الصناعـــات اللهم الا اذا استثنيت بعض صناعات نسج الحرير فـــى لمباردیا وبيد مونت . ولم يكن لدى ايطاليا مـــا تصدره الى الخارج سوى الحرير الخام من الشمــال،

وزيت الزيتون من جنوى ولوقا ونابولى ،والكبريت من صقلية .

٣) كان للحياة الاجتماعية أثر فى التفكك والعزلة الاقليمية فى ايطاليا ،كان حوالى ٦٠ ٪ على الاقل من الطليان يعملون فى الزراعة ،ويعيشون فى تأخر ملحوظ فلم يتبعوا نظاما زراعيا مدروسا . ولم تزد نسبة العمال الصناعيين على ١٥ ٪ من عدد السكان فى ايطاليا ،وكانت لاتزال الصناعة اما حرفية اومهنية فىالمصانع والورش ،واما منزلية . ولقد انعدم بينهم اى شعور طبقى ،ولذلك تعذر كسبهم الى جانب النشاط السياسى الا بعد عام ١٨٣٠ وذلك على يد جمعية ايطاليا الفتاة . ولم تسترع الاحوال التى عاش فيها هؤلاء (العمال والفلاحين) انتباه الطبقات الاخرى الى ادراك ان هناك مشكلة اجتماعية تتطلب معالجة وحلا .

والى جانب تلك الكتلة الشعبية الكبيرة ،ضم المجتمع الايطالى كتلة ضخمة من القساوسة ورجال الدين بلغ عددهم ١٥٠،٠٠٠ ،وتمتعوا بنفوذ عظيم على الاهالى. وتمتع الاكليروس فى ايطاليا بكل الامتيازات . ولم يكن بايطاليا ارستقراطية عقارية تستطيع الهيمنة على سواد الشعب وتوجيهه . على ان أهم الطبقات اطلاقا التى تألف

منها المجتمع الايطالى ،والتى كانت بمثابة القوى الاحتياطية التى اعتمدت عليها ايطاليا فى تحقيق وحدتها القومية والوطنية وتأييد المبادىء الحرة كانت الطبقة المتوسطة (البورجوازية) . وهكذا لم يكن المجتمع الايطالى يضم اليه القوى التى تجعل منه مجتمعا واحدا ذا أغراض مشتركة واحدة . ولكن هذا المجتمع كما أوضحنا كان يحتوى على عناصر وقوى متفرقة مستمدة من الاحوال السائدة فى مختلف جهات شبه الجزيرة الايطالية ،و هى أحوال الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتشابهة ولقد كان من الطبيعى ان تستأثر الاعتبارات المحلية باهتمام الاهلين فى مجتمع مثل الذى شهدناه ،كان موزعا فى جماعات منعزلة عن بعضها بعضا ولم يكن يهتم بما يمكن تسميته بالمسائل العامة ،والتى كان من المتعذر تولد الشعور بها أى بأن هناك اعتبارات " عامة " تربطها تيارات عامة .

كانت المسألة الرئيسية التى شغلت الايطاليين فى عهد الحكومات الرجعية بعد عام ١٨١٥ ،هو النضال ضد المساوىء والاستبداد . ومما تجدر ملاحظته أنه كان نضالا محليا ،فلم يكن هناك نضال فى مجهود عام مشترك ،ومن اجل انقاذ ايطاليا من هذه الكوارث التى حلت بها بسبب النظام القائم

بل كان الغرض من هذا النضال ، ازالة المظالم المحلية التى ناء تحت اعبائها الا هلون فى كل اقليم . كما ان هذا النضال المحلى حدث متفرقا ، أى فى كل بلد أو جهة منعزلا عنه فى البلدان والاقاليم الاخرى ، ولم يكن مستطاعا القيام بهذا النضال بواسطة الجمعيات السرية ، لانه كان ممنوعا اللجوء لغير ذلك من وسائل . وتعذر اتصال هذه الجمعيات السرية بعضها ببعض ، فكان ذلك من أسباب بقاء النضال محليا . ولاجدال فى ان تغلغل روح الحزبية بين الايطاليين ، كان من أهم الاسباب التى ساعدت على انتشار الجمعيات السرية .

أخذت الجمعيات السرية تنتشر فى ايطاليا عندما بدأت تنهار السيطرة النابليونية فى شبه الجزيرة "فتألفت قبل سقوط نابليون جمعية راجى Raggi ، فى بولونيا ، وجمعية شينترى Centri فى مانتوا Mantua وجمعية الكاربوناى فى نابولى . وزاولت هذه الجمعيات نشاطها سرا ، وكان لكل واحدة من هذه الجمعيات أمانيها وغاياتها الخاصة بها ، ولكنها كانت متفقة على شىء واحد هو مقاومة السلطات الحكومية التى أقامها الفرنسيون فى شبه الجزيرة . ثم ما لبثت هذه الجمعيات ان تكاثرت بعد تسوية عام ١٨١٥ . وعلى اية حال كانت اهم هذه الجمعيات

وأوسعها انتشارا جمعية الكاربوناى فى مملكة نابولـــــى، ويبدو أنهاتأسست حوالى عام ١٨٠٧ فى جبال هذه البــــلاد، وتألفت من المشتغلين بحرق الخشب لانتاج الفحم فى غابات كلابريا ،وكان الغرض من تشكيلها طرد الفرنسيين من البلاد وبعد انتهاء السيطرة الفرنسية فى ايطاليا أصبح هــــدف الكاربوناى طرد النمسويين من شبه الجزيرة ،والعمل مـــن اجل توحيد ايطاليا وتأسيس الحكومة الدستورية فيها .

وفى عام ١٨٢٠ قامت ثورة فى نابولى أرغمت فردينانــد على تأدية يمين الولاء لدستور ديمقراطى ،وتلتها ثــــورة فى بيد مونت (١٨٢١) شارك فيها بمشاعره ولى العهــــد (الذى سيعرف فيما بعد باسم شارل البرت) ولم تلبــــث ان أخمدتعلى الفور تقريبا ،وان هى الافترة وجيزة حتـــى تمكن جيشـــ نمسوى من الاجهاز على دستور نابولى ،فساد القمع الوحشى شتى أنحاء ايطاليا . ومما تجدر ملاحظتــــه ان العنصر العسكرى هو الذى قامت على أكتافة الثــورات فى ١٨٢٠ و ١٨٢١ . ولم يكن الثوار يتمتعون بأى تربيـــة سياسية ،وانعد م لذلك وجود اى برنامج لهم . ولاجــــدال فى أن هذه الثورات لم تكن تستهدف اغراضا وطنية اوقومية لان مبعثها لم يكن العمل على طرد النمسا من ايطاليـــا او تحقيق الوحدة الوطنية . كما افتقرت كل هذه الثورات

الى التنظيم والتنسيق فكان من السهل اخمادها . ولقد كانت تدابير القمع التى اتخذتها الحكومات فى غاية الشدة ،فعمدت الحكومات الى تطهير الجيش ودواوين الحكومة من العناصر المشتبه فى ولائها للنظام الرجعى القائم. ومن ناحية اخرى استطاع اكثر قادة الثورة سواء فى نابولى او فى بيد مونت الهرب الى الخارج ليتألف منهم الرعيل الاول من المهاجرين الايطاليين فى سويسرا و فى انجلترا ،وبعد حين فى فرنسا كذلك .

أما الثورات التى قامت فى ايطاليا فى غضون ١٨٢٠،و ١٨٣١ فكانت احدى نتائج الثورة التى قامت فى فرنسا فى يوليو ١٨٣٠ . فقد حدث بعد فشل الثورات الاولى فى ١٨٢٠ – ١٨٢١ ،ان صارت الحكومات تتعقب الجمعيات الثورية ،وقوى سلطان النمسا فى ايطاليا ،مما جعل شعور البغض والكراهية ضد النمسا يسود كل ايطاليا وهو الشعور الذى كانت قد ظلت تشعر به ايطاليا الشمالية وحدها . وانتقلت الحركات الثورية من الجنوب (نابولى) او من بيد مونت – مسرح الحوادث فى عامى ١٨٢٠ – ١٨٢١ ،الى اقليم رومانا -القسم الشمالى من الولايات البابوية – والسبب فى ذلك ان البابا بيوس السابع ووزيره كانا يتبعان سياسة هدوء وسلام فى هذه الاصقاع ،لم تلبث ان حلت محلها لوفاة

البابا ووزيره فى ١٨٢٣ - ١٨٢٤ سياسة قائمة على الرجعية والحكم الاستبدادى الشديد على أيدى البابا التالى ليو الثانى عشر (١٨٢٤ - ١٨٢٩) ووزيره الكاردينال ريفارولا Rivarola فقد تعقب البابا ووزيره الكاربونارى وألقيا بالكثيرين فى السجون ،وطلب من كل فرد التبليغ عن اعضاء الجمعيات السرية ،فاذا قصر احد الناس فى ذلك كان الليمان عقوبته . وعلى ذلك فانه سرعان ماصارت رومانا وبارما ومودينا مراكز للحركة الثورية الجديدة . وفى هذه المرة اتخذت الحركة طابعا مختلفا عن طابعها السابق فى ١٨٢٠ - ١٨٢١ ،فقد صارت تضم اليها عناصر من الطبقة المتوسطة (البورجوازية) اكثر من العناصر العسكرية . وثمة فارق آخر هو ان الثورة فى هذه المرة كانت تعتمد على عامل " خارجى " هو قيام ثورة يوليو فى باريس، واعلان حكومة باريس تمسكها بمبدأ عدم التدخل . ولكن النمسا سيرت جيوشها الى بارما ومودينا وأوقعت الهزيمة بالاحرار والحكومة المؤقتة فى كل منهما فى ٢٥ فبراير و٦ مارس ١٨٣١ على التوالى ،وآرجع النمسويون حكومة البابا فى الولايات البابوية .

و الجديد فى ثورة ١٨٣٠ / ١٨٣١ الذى يميزها عن الثورات السابقة ،كانت العناصر التى تألفت منها هذه

هذه الحركة . فقد كان هناك الى جانب المشتغلين بالقانون فئات من التجار: الامر الذى يدل على زيادة انتشار المبادىء الحرة ،و تغلغلها فى اوساط جديدة فى المجتمع . وزيادة على ذلك فان هذه الثورة فى عامى ١٨٣١/١٨٣٠ كانت على مايبدو متحررة من المصالح الذاتية والاغراض او الاطماع الشخصية اكثر من الثورة السابقة فى عامي ١٨٢٠ / ١٨٢١ . فلم تكن العناصر العسكرية الدعامة التى قامت عليها الحركة ،ولم يكن تحقيق النفع الشخصي الغرض الذى أرادت تحقيقه . ومع ذلك فيجب القول ان هذه الثورات فى ١٨٣٠ / ١٨٣١ - ومثلها فى ذلك مثل الثورات السابقة فى ١٨٢٠ / ١٨٢١ ،لم يفكر اصحابها اطلاقا في التوجه بالدعوى الى صفوف الشعب للاشتراك في الحركة ، بل على العكس من ذلك آزعجت هذه الثورات أهل القرى و المدن الصغيرة الذين شعروا بالخزى والعار من حركة آعلنت سقوط السلطة البابوية ،وذلت هذه الحقيقة ذاتها على آنهم كانوا معادين للثورة - وبالرغم من النداءات المتكررة التى صدرت عن القائمين بالثورة فقد ظلت بقية ايطاليا دون حراك ،فلم يسهم آحد فى الثورة المشتعلة فى اقليم رومانا .

و على آية حال فان فشل الثورات التى حدثت في

سنوات ١٨٢٠ ، ١٨٢١ ثم ١٨٣٠ و ١٨٣١ لم يكن معناه القضاء على الحركة الثورية وانهاؤها بل بقيت هذه الحركة ولم يقض عليها . ولكن بدأت الحركة الثورية تتحول من المحلية الى الاقليمية الى الوطنية الايطالية - اى التى تشمل كل ايطاليا . وكان من أسباب تحول الحركة الثورية ذلك الهوان الذى شعر به الطليان من جراء اخفاق جمعية الكاربونارى ، وكان طبيعيا ان يجعلهم الفشل الذى أصاب الكاربونارى والهوان الذى شعر به الايطاليون يتحولون الى الحياة الذهنية والفكرية ليجدوا فى هذا الحقل النظرى منفذا لنشاطهم . وتحت هذين المؤثرين : خيبة العمل الثورى والتأثير التربوى للحركة الرومانسية فى الادب ، شعر الايطاليون بضرورة العمل من اجل تطهير الحركة الثورية واعطائها معنى روحيا يسمو بها عن مستواها النفعى والاقليمى المحدود . وقد جسد ماتزينى هذه الحركة الجديدة .

ولد جوزيبى ماتزينى Mazzini فى جنوى عام ١٨٠٥ من أسرة بورجوازية كبرى ، كان أبوه طبيبا مشهورا وأمه امرأة عظيمة بقوتها ومفهومها الصارم للدين . تربى ماتزينى فى جامعة جنوى حيث درس الحقوق ، وعندما حصل على الدكتوراة وقف نفسه لموهبته واستعداده السياسى لقد نشأ وتربى وتثقف فى بيئة مثالية وفكرية . لقد

بدأ حياته الادبية عام ١٨٢٨ بكتابة سلسلة من المقالات التى نشرتها صحيفة تجارية كانت تصدر فى جنوى (دليل جنوى) ۰ وفى غليان الافكار الذى تلا ثورة ١٨٣٠ فى ايطاليا اصبح ماتزينى مشبوها ،فقد قبض عليه وسجن ستة آشهر فى سافونا ،وحكم عليه بمغادرة جنوى ،ثم فر الى كورسيكا ومنها الى مرسيليا حيث آقام هناك ۰ وكان اثناء سجنه فى سافونا قد استطاع تحديد العناصر التى تآلفت منها عقيدته السياسية ۰ ولما كان ماتزينى قد وصل الى مرسيليا فى اللحظة تقريبا التى اعتلى فيها شارل البرت عرش بيد مونت فى ٢٧ ابريل ١٨٣١ فقد بادر ماتزينى بارسال كتاب باسم " الايطاليين " يذكر فيه الملك الجديد انه وهو ولى للعهد كان مقتنعا بفكرة تحرير ايطاليا ويهيب به ان يصغى لصوت ايطاليا الذى لاينتظر غير كلمة واحدة ،ولكن ماتزينى لم يظفر برد على رسالته الى شارل البرت ،بل كان من آثر هذه الرسالة ان صدر الامر بالقاء القبض عليه اذا هو حاول العودة الى ايطاليا ۰ فكان ذلك انفصام كل علاقة بين ملكيه بيد مونت وماتزينى ۰

وآسس ماتزينى فى مارسيليا جمعية وجريدة باسم " ايطاليا الفتاة " فى عام ١٨٣٢ وكانت هذه الجمعية لاتضم سوى رجال سنهم دون الاربعين عاما ۰ وتآلف اعضاؤها من رجال القانون والاطباء والاساتذة من اهل الطبقة المتوسطة

بصفة عامة والذين كان من بينهم جوزيبي غاريبالدى (Garibaldi) احد ضباط البحرية التجارية .وكانت ايطاليا الفتاة جمعية سرية ترمي الى العمل الثورى وتهدف فى الوقت نفسه الى " تربية " الشعب وتلقينه المبادىء الحرة والوطنية . وعلى ذلك لم تمض سنة واحدة على تأسيسها حتى كانت قد بدأت حياتها ١٨٣٣ بالنزول الى ميدان العمل وتدبير المؤامرات فى ايطاليا استعداد للثورة ولقد أثر ما تزينى على الناس بكتاباته وجاذبيته وجماله وتعصبه المثالي ،كان بعيدا عن المنفعة ،يعيش عيشة خشنة ، وكل من لازمه أو عاشره كان يشعر بأن فيه سحرا فاتنا ،فقد كان عظيم التأثير بفصاحته ومراسلاته الاولية الجسمية . وعم تأثيره حتى اصبح زعيم الحركة الثورية فى ايطاليا والمحرك الاساسى للحركة الثورية الدولية بما أعطاها من برنامج ومذاهب .

لقد نظر ما تزيني الى الشعب الاسبانى الذى ثار على نابليون ونجح فى طرد الاجنبي واستخلص من ذلك نتيجة وهى ان المتطوعين ، الذين يحركهم الايمان أعلى من الجيوش المنظمة ،وان الجيوش النظامية تمنى بالاخفاق امام الحركة الشعبية . ولكن لاثارة الجماهير يجب ان يقدم لها مثل أعلى ، وهذا المثل الاعلى هو الأمة . لقد كان ماتزينى أول

من اعطى للحركة الثورية الايطالية برنامجا قوميا ،فحتى ذلك الحين كانت الحركة الثورية حركة حرية محلية ،ولكنها بما تزيني أصبحت قومية . ومفهومه عن القومية مفهوم طاهر نقي سام متصاعد الى عناصر روحانية تماما . ويقصد بالأمة عموم المواطنين الناطقين بلغة واحدة ،والمشتركين بالمساواة فى الحقوق المدنية والسياسية فى نية مشتركة وهى ايقاظ القوى الاجتماعية وتحسينها بالتدريج . وهو يعرف القومية ايضا بهذا الشكل : " القومية فكرة مشتركة ،مبدأ مشترك، هدف مشترك . الأمة هى تجمع كل الناس الذين تجمعهم اللغة او بعض الظروف الجغرافية ،او الدور الذى فرضه التاريخ عليهم ،ويعترفون بمبدأ واحد ،ويسيرون تحت تأثير حق واحد لكسب هدف معين واحد. ان النشاط المنسجم واعمال جميع القوى الفردية التى يحتويها التجمع نحو هذا الهدف الوحيد ،تؤلف الحياة القومية ". وواضح ان هذه العبارات التى عرف بها ما تزيني القومية ، انما كانت تفسر معنى وفكرة يقظة الشعور القومى ، وبداية ظهور المبدأ القومى . وعلاوة على ذلك فقد ارتقى ما تزيني بفكرة القومية بدرجة تجاوز بها المعنى ليسمو بها الى المعنى الانسانى فيقول : " القومية هى القسط الذى صنعه الله للشعب فى عمل الانسانية ،هى رسالته ، هى العمل الذى يجب أداؤه على الارض لتتحقق فكرة الله على هذه الارض ،هى الاثر الذى يخوله طبعه ويعيد له مكانته بين

الشعوب ، اخوته " .

كان من المنتظر ان يتجنب ما تزينى السير فى الطريق الذى سارت عليه الكاربونارى من قبل ،ولكن ماتزينى لم يلبث ان سلك نفس الطريق .فلم يمض عام واحد من تشكيل " ايطاليا الفتاة " حتى شرعت هذه الجمعية فى عام ١٨٣٣ تهيء لتحريك الثورة فى مودينا ،وفى مملكة سردينيا (بيد مونت) ولكن سرعان ما اكتشفت المؤامرة ،وألقى القبض على عديدين ونفذ حكم الاعدام فى طائفة منهم. وقد صدر الحكم باعدام ما تزينى لرفضة الحضور امام المحكمة . وفى عام ١٨٣٧ انتهز ما تزينى انتشار وباء الكوليرا فى صقلية وحصول المجاعة فى شمال شرقى نابولى لتحريك الاضطرابات فى المملكة . فاتخذ الملك فرديناند الثانى (١٨٣٠ - ١٨٥٩) من هذه الاضطرابات ذريعة لالغاء ما كان متبقيا من حقوق وحريات لاهل صقلية . وعلى العموم أثارت هذه المحاولات الفاشلة خيبة الامل حتى ان ماتزينى لم يلبث ان اعترف ان هذه الحركات العسكرية المنعزلة عن بعضها بعضا انما هى جهود عديمة الفائدة ، وان من الواجب الانتظار حتى يتم امتزاج اكبر بين مختلف الجماعات فى كل الاقاليم الايطالية لمحاولة القيام حينئذ بحركة واسعة وعظيمة . وعلى العموم دبرت ثورات متعددة فى شمال

ايطاليا وجنوبها ،ومؤامرات كثيرة ،ولكنها باءت بالفشل.
بيد ان الفائدة الوحيدة لكل هذه المؤامرات الماتزينية هى
اطالة قائمة شهداء الحرية الايطالية . وذكرى هؤلاء الشهداء
غذت ووسعت الايمان بالوطن .

ومنذ عام ١٨٤٠ طرأ تعديل على الافكار وأسلوب العمل
فى ايطاليا ،وجرى هذا التعديل بمحاذاة الحركة الثورية
الماتزينية ثم اتخذ الشكل الذى صارت تعرف به الحركةالقومية
بعد ذلك وهو البعث او الاحياء (Risorgimento)
لقد تحولت ظروف الحياة الاجتماعية ،ولكن هذا التحول لم يكن
فى كل الميادين تاما وعاما فى ايطاليا كلها،بيد أنه يمكن
القول اجمالا ،بأن ايطاليا التى ظلت حتى الآن متخلفة ، اخذت
تتجدد . ولوحظ التقدم المادى وخاصة فى الحياة الزراعية
التى ظلت اساس الحياة الايطالية : لقد تحسنت الطرق الزراعية،
وأفادت ايطاليا الشمالية من النظم الادارى الفرنسى والنمسوى
واهتم النبلاء باستغلال اراضيهم ، وشكلوا جمعيات زراعية ،
وحاولوا تنمية التعليم الفنى والزراعى ،وفتحت مزارع مدرسية
وصناديق ريفية لتنمية الرأسمالية القروية . وتمت زراعة
الارز والذرة ،وبدىء بتربية الحيوانات بطريقة علمية لانتاج
الحليب والجبن . وأضيفت معامل لتكرير السكر الى الصناعات
الفاخرة النامية ،وخاصة صناعة نسيج القطن والحرير،كما بدىء

باستصلاح المناطق المغمورة بالماء والموبوءة بالملاريا على الشاطىء ،ونمت المدن الكبرى . وفى الجنوب نمت حياة البذخ والثراء فى نابولى على حساب الارياف ،وجاء هذا الثراء من الايجارات الباهظة التى كانت تقتطع من الفلاحين هذا وتجدر الاشارة الى ان الدويلات البابوية ظلت متخلفة ، دون تقدم ، وفى فوضى بسبب اضطراب الادارة .

ولم يقتصر هذا التقدم على الميدان المادى والعملى والتطبيقى ،بل كانت تناقش الافكار التى كانت فى اساس هذا التقدم . لقد تمت مفاهيم الاقتصاد السياسى الواسعة، وبدأ الكلام عن تشكيل خطوط جمركية وتخفيض التعريفات بين الدول . كما بدأت الحركة العلمية بمناقشات عامة بين العلماء الايطاليين من مختلف البلاد . وافتتحت المؤتمرات العلمية وكان المحرك لها شارل بونابرت بن لوسيان، أخى نابليون ،وانجليزى مقيم فى ايطاليا وهو السير جون بورنج (Bowring) وجرت العادة ان تكون المؤتمرات سنوية وفى مدينة جديدة فى كل مرة ،وعلمية تقنية بحتة . ولكن المشاكل التى كانت تعالج فيها كانت تتجاوز بسرعة وبسهولة قضايا البرنامج وتصبح عامة اكثر منها محلية ، اذ من المستحيل ان يحدد العلم او الاقتصاد السياسى فى اطار الدول الصغيرة . وكان سياق البحث يقتضى النقاش بمشاكل تهم ايطاليا كلها . وكان يلتقى فى هذه المؤتمرات أناس

وعلماء من جميع الدول الايطالية وبالتالى كانت تنمو فيها روح عامة • وكان التقدم الفنى يقوى وضع البورجوازية الاجتماعى والسياسى وخاصة فى ايطاليا الشمالية أى فى لومبارديا وبيد مونت وتسكانيا.

لقد أدت نتيجة هذا التقدم الفنى وبداية هذا الاقتصاد القومى والاخفاق الذى لاقاه اعضاء جمعية الكاربونارى فى الطريق الثورى الى توسيع وتحويل فىالعقيدة السياسية، وتفوقت الفكرة القوميه على الفكرة الثورية • واصبحت الحركة السياسية تهم أناسا آخرين من غير الديمقراطيين لأن الحركة السياسية تعممت فى المجتمع ولم تبق قاصرة على فئة صغيرة من العسكريين المستائين او البورجوازيين الذين ليس لهم وضع فىالمجتمع ،كذلك لم يعد نفوذ الفكرة القومية مرتبطا بالبرنامج الليبرالى وحده •

لقد ظهرت الافكار الجديدة بعدة اشكال ،وأتت بادىء ذى بدء من المهاجرين الايطاليين : ففى ١٨٣٦ صدر فى باريس كتيب ألفه نيقولا توماسيو تحت هذا العنوان : " آمال ايطاليا الجديدة " • وهو نداء الى الاقاليموالاكليروس للتعاون فى التجديد القومى ،وتجد فى هذا الكراس اول فكرة لبابا مصلح يتزع تجديد البلاد• وفى ١٨٣٥و ١٨٣٦ نشر القانونى الفيلسوف ماميانى كتاب فلسفة بعنوان " تجديد الفلسفة

القديمة الايطالية " ،وفى ١٨٤٣ نشر " تاريخ الادب " خاصا بشعراء العصر الوسيط . ولكن الذى يهمنا قبل كل شىء انه نشر فى عام ١٨٤١ كراسا فضل فيه قبل كل شىء استقلال ايطاليا : فهو يرى فى المستقبل ايطاليا فاتحة لاستقلالها بحرب يقودها أمير قومى . ولكنه يرى لهذا الاستقلال شروطا مبدئية : وذلك بأن تطرح النمسا فى مشاكل دبلوماسية تمنعها من الدفاع عمليا عن المملكة اللومباردية بالبندقية التابعة لها . وأن يربى الشعب تربيته السياسية التى لم يحصل عليها بعد ، وان تشارك الطبقات العليا فى حزب الاستقلال هذا ،ويضيف ماميانى الى فكرة الاستقلال برنامجا كاملا للاصلاحات الاجتماعية ليعيد الى الشعب كرامته وأمن حياته .

ان كراستى توماسيو وماميانى لم يتلقيا الذيوع والانتشار الواسع وتنحصر اهميتهما فى انهما ينهضان دليلا على ذلك التغيير الذى طرأ على الفكر، ولكن تهيأ الرأى العام بسبب هذه الحركات او التيارات الفكرية ، التى كانت سباقة فى ظهورها، لقبول البرنامج الذى أتى به جيوبرتى، والتحمس للآراء التى احتواها كتابه عن المكانة الرفيعة التى يتمتع بها الطليان خلقيا وحضاريا بين شعوب العالم.

كان جيوبرتى Abate Vincenzo Gioberti

(١٨٠١ – ١٨٥٢) من رجال الدين البيد مونتيين من تورين ، واشتغل كاهنا فى خدمة كنيسة البلاط واشترك فى حركة ايطاليا الفتاة ،فأوقف وحكم عليه عام ١٨٣٣، ولجأ الى باريس وبروكسل • كان جيوبرتى يشتغل أصلا بالفلسفة ،ويعمل لوضع نظام ميتافيزيقى (مختص بالتفكير فيما وراء المادة) ومع ذلك فقد كان جيوبرتى صاحب فلسفة كاثوليكية واسعة • ومن هذه الفلسفة نرى ان جيوبرتى يؤمن بفضيلة الافكار وقوة المحبة للتقريب بين الناس ، وينكر العمل الثورى غير ان ما ينقصه هو الثبات ،لأن الملاحظ عليه تردده وتغير اهتمامه وافكاره • فقد شارك فى حركات ايطاليا الفتاة الثورية واستهوته الفلسفة، وجذبته الفكرة القومية ،حتى انه نشر فى عام ١٨٤٣ كتابا مؤثرا فى بروكسل بهذا العنوان " تفوق الايطاليين المدنى والاخلاقى " •

ان اساس مذهب جيوبرتى وشاغله واهتمامه هو وطنيته الايطاليه وكبرياؤه وفكره المحافظ ووضعه كاهنا• هذه هى العناصر التى توضح لنا اتجاه أفكاره • ان نقطة انطلاق مذهبه هى حب ايطاليا والارادة فى رؤيتها عظيمة• فهو يرى " ان الأمة لا تستطيع ان تحتل فى العالم المكان الذى يلائمها الا اذا اعتقدت بأنها أهل لاحتلاله " ونراه يبحث عن رسالة ايطاليا التى يجب ان تفخر بها لأن الرومانيين نشروا فى العالم فكرة العدل والحق ،ولأن روما المسيحية علمت العالم

السلام والمحبة • ان عظمة ماضى ايطاليا وتفوقها يجب ان يوحيا بالتفاؤل والأمل • ولتجد ايطاليا تفوقها فى العالم الحديث يجب ان يتحد الايطاليون اتحادا سلميا لا اتحادا مبنيا على القوة ،ويجب استقلال ايطاليا ولكن على أى اساس يجب ان يتم الاتحاد ؟ على أساس تقاليدها ، وتقاليد ايطاليا كما يقول جيوبرتى ،هى اتحاد ايطاليا والبابوية اذ لايمكن للايطالى ان يكون ايطاليا تماما اذا لم يكن كاثوليكيا •وقال جيوبرتى اذا ما اتحد الايطاليون وتعاونت الطبقات أمكن تحقيق ايطاليا فى شكل اتحاد كونفدرالى تحت زعامة البابا ، لأن الكنيسة لها توجيه ايطاليا حسب التقاليد ،وهذا الاتحاد يحقق العبقرية الايطالية التى هى ملكية وارستقراطية واتحادية معا•ومندئذ تستطيع ايطاليا ان تستعيد دور القائد للانسانية وتجدد العالمكما فعلت فى القديم •

وتقترب نظريات جيوبرتى من نظريات ماتزينىبالتبشير الذى يقوم به للعمل والرخاء والامل فى رفع جيل الايطاليين المتعب الى عظمتهم القديمة • ويقترب من ماتزينى ايضا بفكرة رسالة ايطاليا والاستقلال القومى الذى يجب كسبه ولكنه يختلف عن ماتزينى فى عدة نقاط : أولا ، باكليريته لانه يعتمد فى مذهبه على الكنيسة ،على حين ان ماتزينى مناوىء للاكليريكية ،ثانيا ،لانه ينكر الثورة ،بينما

يجعلها ما تزينى عنصرا اساسيا لعمله ،ثالثا ،لانه يرى اتحاد ايطاليا ،لا وحدة ايطالية ،وبالتالى ينفى الجمهورية التى يريد ماتزينى تنظيمها ، ويبقى على الامراء والدول القائمة .

لقد كان تأثير جيوبرتى عظيما ،وكسب شعبية واسعة وقبلته الاوساط المختلفة من دينية وعلمانية ،باستثناء اليسوعيين . ولكن آراء جيوبرتى اثارت من جهة اخرى انتقادات متعددة ،ونخص بالذكر انتقادات اعداء النمسا، وانتقادات أعداء الحكومة الزمنية للبابا . على ان الناقد الاساسى الذى انتقد جيوبرتى كان سيزار بالبو (١٧٨٩ - ١٨٥٣) وهو كاتب ايطالى عمل ضابطا ثم انصرف للدراسات التاريخية ونشر عام ١٨٣٠ " تاريخ ايطاليا فى ظل البرابرة" وفى ١٨٤٣ ألف كتابا تحت عنوان : " آمال ايطاليا". ولم يوافق جيوبرتى على تفوق ايطاليا فى الماضى والحاضر ، واعترض عليه بأنه لم يقم شرطا مبدئيا فى تحويل ايطاليا وهو الاستقلال ،وقال بدون استقلال قومى تكون الامور الاخرى الصالحة عدما ، ولا شيء ممكن قبل طرد النمسويين . غير أن بالبو أدرك ان الايطاليين ليسوا على درجة من القوة تمكنهم فى الوقت الحاضر من طرد النمسويين ،وبأنه لا دعم يرجى من الخارج لا سيما وان موقف الملك لويس - فيليب ملك فرنسا ،قد دل على ذلك ،ويرى ان ينتظر حدوث حادث

سعيد فى الخارج يساعد على طرد النمسويين ،وذلك يكون فى تفتيت الامبراطورية العثمانية القريب ، لأن هذا الحادث يشغل اهتمام النمسا ،والتى ترغب فى الحصول على ارث فى البلقان وقد يكون فى هذا الحادث ما يضطر النمسا الى قبول التنازل عن المنطقة اللومباردية - البندقية .

ولقد وجد بالبو الافكار لصالح ملكية بيد مونست، وهذا التوجيه الفكرى الجديد سرعان ما وجد تربة خصبة فى ايطاليا الشمالية ،حتى انه لم تلبث ان تشكلت عقيدة جديدة سوف يكون لها أثرها البالغ فى المستقبل حنثول الزعامة التى سوف يقوم بها الملكية البيدمونتية لتحرير ايطاليا ،وبناء وحدتها القومية والملك البيدمونتى فى ذلك الوقت هو شارل البرت الذى اعتلى العرش فى ابريل ١٨٣١ ،والذى كان وهو لايزال أميرا يعتنق مبادىء الاحرار ، فلم يلبث ان تنكر لها عند اعتلائه العرش ، وربط نفسه بسياسة القمع العنيفة التى اتبعتها النمسا لاخماد الحركات الثورية فى ايطاليا ، فتعقب بالقسوة البالغة على وجه الخصوص جماعات " ايطاليا الفتاة ". فى عام ١٨٣٣ ، وتخلى منذ ذلك الوقت عن المبادىء الحرة التى كان يدين بها . ومع ذلك فقد كان يشعر بتأنيب الضمير ،بسبب اعمال القسوة التى ارتكبها بسبب سياسة القمع والتشريد التى اتبعها ،وتحركت فى نفسه الرغبة

فى نيل محبة الشعب ولكن سياسته ارتكزت على دعامتين من شانهما جلب محبة الشعب : أولاهما اصلاحاته ،وثانيهما موقفه المعادى للنمسا • وقد اظهرت هذه الاصلاحات بيد مونت بمظهر الدولة " الحديثة " لدرجة معينة ،كما أضفت على سياسة الملك مظهر السياسة " الحرة "• وأصاب شارل البرت فى ميدان آخر قدرا أو فى من المحبة الشعبية وذلك فى علاقاته مع النمسا • فلم تكن يوما صلاته طيبة مع هذه الدولة ،ولم تلبث ان ساءت ثم زادت توترا • وجعلته احتكاكاته المتكررة مع النمسا يمثل فى نظر الايطاليين المعارضة والعداء ضد النمسا ،وأكسبته لذلك قدرا معينا من عطف الشعب ومحبته • وقد تشكل فى بيد مونت حزب حقيقى بيد مونتى – ايطالى ،وكانت الطبقة النبيلة على رأس الدولة فى بيد مونت ،وهذه الطبقة تعتز بماضيها وعدائها للنمسا ،وقد لعبت دورا هاما فى الادارة ،وكانت تحب الحكم الصالح وتخشى التجديدات وتحتقر النظريات وكان بعض هؤلاء النبلاء مصطبغا بصبغة الحرية الليبرالية نظرا لاتصالهم بالاجانب وزياراتهم المتكررة لفرنسا وانجلترا • ويمثل الكونت كافور هذه الفئة خير تمثيل •

وهكذا كان تفكير هؤلاء النبلاء البيد مونتيين ، يتميز لدرجة معينة بالصبغة القومية الايطالية • بل ان بعض هؤلاء النبلاء وان كان عددهم ضئيلا قد ارتقى تفكيرهم الى

مستوى المناداة بالوحدة الايطالية من طراز يقرب قليلا من الفكرة التى أتى بها جيوبرتى ،ولو انهم اتجهوا بفكرتهم اتجاها آخر من حيث انهم أرادوا بيد مونت وليس البابوية ان تقود الحركة القومية وان تتزعم الاتحاد الايطالى . فكانوا علمانيين فى اتجاهاتهم الفكرية والسياسية وليسوا كنسيين . وكان ماسيمو دازيجليو أهم هؤلاء النبلاء الذين نادوا بزعامة بيد مونت .

وكان دازيجليو Massimo D'azeglio (١٧٩٨ - ١٨٦٦) من عائلة بيد مونتيه كبيرة ،اشتهر بقصصه ثم تعاطى بالسياسة وألف عددا من الكراريس والمقالات وتأثر بالافكار التقدمية ،وهاجم السياسة الكنسية وكشف عن الفوضى والفساد ونصح الاحرار ،وطلب اليهم ان يتخلوا عن الثورات المحلية التى تفسد مستقبل الأمة دون نتيجة ،وطلب اليهم ان يتجهوا صوب القوة الوحيدة الممكنة التى تستطيع ان تصنع ايطاليا أى نحو دولة بيد مونت . وعلى اثر ذلك تألف حزب باسم حزب " الالبرتيين " ،وتعلقت الشبيبة الجمهورية بهذا الحزب الجديد بعد ان خاب رجاؤها من الثورات المتوالية . وفى بيد مونت ألف الحزب جماعة منظمة على رأسها دازيجليو ومامياني وكافور ،وألفوا فى عام ١٨٤٧ جريدة جديدة هى جريدة البعث . ودعوا شارل البرت علنا ليكون على رأس الحركة القومية . وكان على يد هذه المدرسة البيد مونتية أن أمكن ان يتشكل مستقبل ايطاليا ،ولكن بعد سنوات كثيرة ، وبعد

سنوات الثورة التى قامت فى عام ١٨٤٨ . وهكذا كانت الحركة القومية عشية أحداث ثورة ١٨٤٨ مزيجا من الاهداف والتيارات المختلفة والمتضاربة . ولكن الذى لاشك فيه ان الشعور القومى قد صار متيقظا ،ويعم كل ايطاليا ويتغلغل فى كل الأوساط والطبقات .

كان ذلك هو الموقف فى ايطاليا ،عندما اختير فى يونيو ١٨٤٦ الكاردينال ماستاى فريتى Mastai - Ferretti بابا فاتخذ لنفسه لقب بيوس التاسع . ورغم انه لم يكن معروفا وقت اختياره الا فى دائرة محدودة فقد اصبح طوال العامين التاليين أبرز زعماء اوروبا ومحط آمال احرارها ولقى من ضروب التقريظ والثناء ما لم يلقه الا القليلون من الساسة فى العصور الحديثة . ففى ١٦ يوليو ١٨٤٦،صدر عن بيوس اعلان العفو العام ،وشمل هذا العفو كل المذنبين سياسيا والمشبوهين ،ولقد كان ذلك اجراء جعله من الناحية السياسة باعث النهضة السياسية فى ايطاليا . وكان لاعلان العفو العام أعمق الاثر ،وليس فى روما وحدها أو فى سائر الاملاك البابوية وحسب ، او حتى فى ايطاليا بأجمعها ،بل قد تعدى اثره حدود ايطاليا حتى تشعر به اوروبا ، بل العالم بأسره . وكان من الطبيعى ان يعتبر كل اجراء مستحدث يصدر لتأييد المبادىء الحرة موجها ضد النمسا .

وكان أدعى لاستثارة حفيظة النمسا صدور العفو العام على يد بيوس التاسع . لأن هذا الاجراء لم يكن اجراء صغيرا أو ضئيل القيمة . بل انه كان فى جوهره اجراء اعادة الكرامة للوطنية الايطالية . وكان صدوره على يد البابا ، رئيس الكنيسة ،وزعيم العالم الكاثوليكى الروحى ،بمثابة الاعتراف بأن الاعمال التى كانت تعد اجرامية - ان هى الا فضائل ،يجب تكريم اصحابها . وذلك فى وقت اشتد فيه النضال فى طول اوروبا وعرضها ،بين الرجعيين والاحرار.

وقد أعقب بيوس التاسع العفو بتخفيف الرقابة على الصحف وتعديل طبيعة الحكومة التى كانت فيما مضى استبدادية كنسية خالصة ،فأنشأ فى ابريل ١٨٤٧ مجلسا للدولة يختار هو أعضاءه من بين الاسماء التى يعرضها عليه حكام الاقاليم. وعين فى يونيو مجلسا للوزراء ليناقش- وان لم يكن ليراقب - تصرفات الحكومة البابوية . وأطلق سراح اليهود من الجيتو فى روما . وأشعلت هذه الاحداث التى وقعت فى روما نيران الحماسة فى ايطاليا كلها . وانزعج مترنيخ انزعاجا بالغا ، لانه كان قد تنبأ بكل شىء على حد قوله الا ظهور بابا متحرر. وأطلت " النزعات التحررية " برأسها فى شتى أنحاء ايطاليا، فى صقلية ونابولى وفى تسكانيا وبارما ،وفى ميلان ،وفى البندقية ،وحتى فى سافوى . واصبح الشعار الذى يميز انصار التحرر فى كل مكان هو التهليل للبابا ،حتى لقد فرضت

العقوبات الصارمة في بعض الولايات على كل من تسول له نفسه ان يهتف باسم البابا بيوس التاسع . الا ان كل هذه الحماسة وذلك الامل في النصر المبكر للنزعات القومية التحررية كان مبنيا على الوهم . فان التغيرات التي آدخلت في روما كانت في حقيقتها أبعد ما تكون عن روح الثورة ،فالبابا كان في صميمه محافظا " ما من بابا يمكن ان يكون متحررا " والمهمة التي تصدى لها مهمة عسيرة تستعصى حتى على من كان آلمع منه ذهنا وأقوى ارادة .ومن الواضح ان القومية الايطالية لم تكن لترضى آخر الشوط بأى شيء يقل من تنازل البابوية الكامل عن سلطتها الزمنية الامر الذى لم يخطر لبيوس على بال .

لم يكن بيوس مستعدا لأن يذهب مع الثوار الى الحد الذى يريدونه ،لاسيما وان الثورات التى قامت فى انحاء ايطاليا متأثرة بموقفه قد أزعجته ،ولكن اندفاع الجماهير وراءه جعل من الصعب عليه الانسحاب او التراجع دفعةواحدة ، فالخوف منعواقب التراجع هو الذى دفعه الى المضى قدما نحو الامام على طريق الثوار. ففى عام ١٨٤٨ أعلن اصدار الدستور الجديد ،على ان تكون الهيئة التشريعية فى يد مجلسين، ولكنه أبقى سلطات مجلس الكرادلة المقدس كجزء من النظام السياسى الجديد، ولم يكن للهيئة التشريعية الحق فى اصدار قوانين تتعارض مع قوانين الكنيسة . فهذا القيد

قلل الى حد كبير من سلطة البرلمان فى التشريع ،وجعلسلطة الكنيسة فوق متناول البرلمان . ولكن حدثت فى ذلك الوقت حادثة وضعت البابا فى مكانه الصحيح من القضية الايطالية، وذلك لقيام الحرب بين ايطاليا الشمالية والنمسا ومعارضة البابا لاشتراك روما فى تلك الحرب . ولما كانت الحرب تمثل صراع القوى التحررية فى ايطاليا ضد قوى الاستبداد ممثلة فى النمسا كقوة اجنبية ،فقد فسر موقف البابا على انه قد تخلى عن ركب الاحرار. وسرعان ما بدأت ردود الفعل قوية فى روما ، فاغتيل وزير البابا الاول روسى Rossi ، وأخذت تسيطر على مجريات الامور فى روما العناصر المتطرفةالمبالة الى الشدة والعنف . وامام هذا التيار الجارف الذى لاقبل للبابا عليه يفر من روما ملتجئا الى جاييتا Gaeta فى أراضى نابولى مخافة ان يضطر الى الاقدام على مزيد من التنازلات .

كانت ايطاليا مهيأة تماما لانتشار الحركة الثورية . ذلك أن جمعيات ايطاليا الفتاة السرية كانت قد اكتسبت الى صفوفها اعضاء كثيرين فى شتى أنحاء البلاد ،وكان أبناء الطبقات الوسطى عموما مجمعين تقريبا على تأييد مبدأ الوحدة القومية الايطالية فما ان سنحت الفرصة حتى اتخذت الحركة مظهرا شاملا وتلقائيا . وحاول حكام ايطاليا الاخرين محاكاة البابا بيوس التاسع فى خطوته التحررية لأسباب متعددة،منها

محاولتهم منافسة البابا فى ذيوع الصيت وتحويل انظار القوى التحررية فى ايطاليا اليهم ٠او خوفا من غضبة الجماهير ومطالبتها بتطبيق نظم اكثر تحررا مما هم خاضعين له ،أو كسبا للوقت ومداراة الجماهير ريثما يتم ضرب الحركة التحررية فى وقت ملائم ٠ وعلى أى حال سار فرديناند ملك نابولى وصقلية فى نفس الاتجاه الذى سلكه البابا ، بل لقد سبق البابا فى منح مملكته دستورا،مما دفع البابا الى محاكاته ٠ وخلاصة الحركة التى قامت فى نابولى ان انتشار المبادىء الثورية فى الجنوب دعا سكان مدينة بالرمو بجزيرة صقلية ان يوحدوا صفوفهم ،وان يطالبوا الحكومة فى بيان أصدروه فى يناير ١٨٤٨بتطبيق نظم جديدة تتمشى وروح العصر الحديث ٠ وعززوا تلك المطالب بالثورة والاستيلاء على المدينة ودحر قوات الملك الذى وجد ألا قبل له على مواجهة الثورة فوافق على الاستجابة لمطالب الجماهير وعلى منحهم دستورا ،بعد ان اصدر عفوا من المعتقلين السياسيين ٠ كذلك انتقلت دعوى القومية الى دوقية تسكانيا وطالب الاهالى الدوق الاعظم ليوبولد الثانى بحكم البلاد حكما تحرريا ،فتظاهر بالموافقة وقام ببعض تنازلات زائفة لم ترض اهالى البلاد ، فاضطر الى منحهم دستورا شبيهنا بدستور نابولى ٠

ولم يكن الذى حدث فى تسكانيا بذى أهمية كبيرة ، اذ أنها لم تكن لتستطيع ان تنتهج سياسة مستقلة الا فى أضيق الحدود . فان مستقبل ايطاليا بات مرهونا اساسا بنقطة واحدة ،هل يمكن ان تنتزع سلطة النمسا فى شمال شبه الجزيرة ؟ ومن هنا نجد ان مصير ايطاليا قد تقرر فى بيدمونت (وهى القاعدة الحقيقية لمملكة سردينيا) وفى لومبارديا حيث كانت النمسا تمارس سلطانا لم يكف الاهالى قط عن اعتباره اجنبيا وجائرا . كانت سردينيا بين الدول الايطالية أقلها ايطالية ،فمليكها شارل البرت كان يؤثر التحدث بالفرنسية على الايطالية ،والألفة العنصرية مابين اهليها وسكان جنوب الجزيرة كانت ضعيفة . ورغم ان هذه المملكة كانت نصف ايطالية فان سكانها كانوا اكثر تشربا للروح العسكرية من أقرانهم فى سائر جهات ايطاليا، وأسرتها المالكة كانت على حظ وافر من الهمة والطموح . وقد أدت بعض المقومات الى الاعتراف ببيت سافوى ممثلا لأمانى ايطاليا القومية وتتمثل هذه المقومات فيما يلى :

(١) كان شارل البرت يتمتع بسمعة طيبة لما عرف من مناوأته الصريحة للنمسا ورغبته الاكيدة فى قيام وحدة ايطالية تحت زعامته . ولكنه لم يكن يميل الى الثوريين ويخشى من اتجاهاتهم على سلامة مملكته . وكان يؤثر ان يحكم ايطاليا كملك مستبد وان يقوم بالوحدة دون معاونة القوميين التحرريين .

(٢) كان فى مملكة بيد مونت صحافة قومية لها خطرها وتتمتع بشىء من الحرية ، وتؤمن بقضية الوحدة تضعها فى المقام الاول .

(٣) وجود الكونت كافور Count Cavour وكان يرأس تحرير صحيفة البعث Risorgimento ،وممن يؤمنون بالوحدة ويكرسون لها جهودهم ، ودوره فى قيام الوحدة الايطالية يفوق دور ما تزينى وغاريبالدى والبابا بيوس التاسع .

وامام هذه الموجة العارمة من الثورات التى اجتاحت ايطاليا فى مطلع عام ١٨٤٨ متأثرة بثورة فرنسا، كان لابد ان يتزعزع النظام الاستبدادى النمسوى الذى يسيطر على شمال ايطاليا وعلى دوقيتى بارما ومودينا والبندقية . لاسيما بعد قيام الثورة فى النمسا وفرار مترنيخ (مارس ١٨٤٨) حامى الاستبدادية وعدو الحركات التحررية الاول . فقامت الثورة فى ميلان واطاحت بحكم النمسا ، وكذلك فعلت بحكومات البندقية وبارما ومودينا. وهكذا انقسمت ايطاليا الى قوتين متصارعتين ،قوة النمسا المعادية لحركة التحرر والوحدة ،وقوة الثوار فى مختلف اجزاء ايطاليا تؤيدهم وتؤازرهم قوة مملكة سردينيا. وكان الاحتكام الى السلاح هو الوسيلة الوحيدة لحماية الحرية من اعدائها . كما ان النمسا لم يكن من السهل

عليها ان تقبل الهزيمة صاغرة ، وان تستسلم لانصار الحرية وهى التى لم تدخر وسعا منذ هزيمة نابليون على اقرار الاوضاع الاستبدادية فى اوروبا بمختلف السبل •

واذا عقدنا مقارنة بين المعسكرين المتصارعين قبل خوض المعركة نجد :

(١) ان معسكر النمسا كان يفوق معسكر الوطنيين الايطاليين بأشياء ،منها حسن تنظيم الجيش النمسوى واستعداده اذا ما قورن بجيش الولايات الايطالية • وكان لا يزال على رأس الجيش النمسوى القائد الكبير رادتسكى Radetzky وهو من أكبر قواد ذلك العصر، ولم يقابله أحد فى المعسكر الايطالى •

(٢) لم يكن تضامن الولايات الايطالية قويا ،فالحزازات القديمة التى كانت بينها أخذت تنعكس على تصرفاتها خلال المعركة ،وكان لهذا أسوأ الاثر على المعسكر الايطالى •

(٣) الاختلاف الواضح بين الولايات الايطالية حول شكل الحكم فى ايطاليا بعد اتمام الوحدة ،فكل من الملكيين والجمهوريين كان يريد ان تكون له الغلبة فى النهاية وكان الفوضويون يقفون لمحاولة الطرفين بالمرصاد وفى ذلك الوقت ظهر مشاتزينى على مسرح الاحداث فى ميلان وحاول ان يعبىء أنصار الجمهورية للاستفادة من الموقف والاطاحة بأتباع الملكية •

(٤) لم يكن كل حكام الولايات الايطالية تقريبا مخلصين فيما اتخذوه من خطوات دستورية تحت ضغط الاهالى•ولذا ما أن منى المعسكر الايطالى بالهزيمة الا وتنكر كل حاكم للدستور وانقلب عليه وانضم للمعسكر الرجعى ، وكان معولا لهدم مكاسب الشعب •

(٥) استنكار البابا للحرب قد شجع الحكام الايطاليون على عدم الاستمرار فيها ،وكان هذا الموقف من قبل البابا بيوس التاسع فيه نهايته كشخصية مؤثرة فى مجريات الاحداث فى ايطاليا ،خصوصا وان فراره الى جاييتا قد أخرج الامر من يده ووضعه فى أيدى الجمهوريين•

ومن هذا يتضح ان النمسا سيكون لها الغلبة فى النهاية رغم ما أصابها من هزائم فى اول الامر • اذ اكتمل استعداد رادتسكى لشن هجوم مضاد ،والتحم بالايطاليين فى ٢٥ يوليو ١٨٤٨ فى كستوزا Custozza فانزل بهم هزيمة فادحة مما اضطر شارل البرت الى الانسحاب الى ميلان • وقد حنق الميلانيون لانهيار آمالهم ،وزادت الهزيمة من شدة احتكاكهم بالبيدمونتيين ،بل انهم اتهموا شارل البرت بخيانة القضية الوطنية • ودخل النمسويون ميلان من جديد وسمحوا لشارل البرت والجيش السردينى بالانسحاب الى ما وراء الحدود فاعلن ماتزينى ان الحرب الملكية قد انتهت وان الاوان قد آن لحرب الشعب ان تبدأ ،ورفع علما نقش عليه شعاره المفضل " الله والشعب " وانسحب غاريبالدى الى الجبال حيث راح يحلم

بمواصلة القتال عن طريق حرب العصابات • ولكن أصبح جليا لمعظم الناس ان فرص نجاح مقاومة العدو قد ولت • ومن ناحية اخرى كانت الهزيمة بمثابة اشارة البدء للحكام المستبدين فى الولايات الايطالية ـ فيما عدا مملكة سردينيا ـ لتقويض النظم الدستورية التى منحوها لشعوبهم •

وسادت ايطاليا موجة من الحكم الرجعى الاستبدادى بعد موجة من البطش والتنكيل والاعتقال • وأعلنت الهدنة بين الطرفين المتحاربين توطئة لوضع التسوية النهائية وعندما رفضت سردينيا قبول شروط الصلح النمسوية استأنفت القتال من جديد ،وحدثت بين الجانبين معركة نوفارا Novara فى ٢٣ مارس ١٨٤٩ انهزم فيها شارل البرت ،واضطر فى النهاية الى التنازل عن العرش لابنه فيكتور عمانويل الذى ستتم على يديه الوحدة الايطالية •

وهكذا بدأت تحل الكارثة بكل مكان لانهاء هذا العهد الثورى فى تاريخ الحركة القومية الاستقلالية فى ايطاليا • فطلب البابا والكرادلة تدخل الدول الكاثوليكية (٦ فبراير ١٨٤٩) فى حين قصد ماتزينى والثوريون الى روما وكذلك غاريبالدى • وأسس هؤلاء جمهورية برياسة ماتزينى الفعلية • ولكن فرنسا التى خشيت من استرجاع النمسا لمكانتها السابقة وسيطرتها الكاملة فى ايطاليا بعد

انتصارها فى موقعة نوفارا لم تلبث ان قررت التدخل لنجدة ايطاليا ،كما كان يعنيها كسب عطف الكاثوليك فى فرنسا والمحافظة على بيد مونت المهددة بالخطر من جانب النمسا، اذ تدخلت هذه لارجاع البابا الى عرشة ،واسترداد نفوذها فى كل انحاء ايطاليا • فدخلت القوات الفرنسية بقيادة أودينو Oudino ابن أحد مارشالات نابليون القدامى ، الى روما وسقطت الجمهورية بعد دفاع مجيد على ايدى ماتزينى وغاريبالدى (٣٠ يونيو ١٨٤٩) وهرب هذان الى الجبال • وفى اليوم الذى سقطت فيه روما ،كان النمسويون قد بدأوا غزوهم لتسكانيا، وفى ٢٥ مايو دخلوا فلورنسة • وفى ٢٤ اغسطس سلمت البندقية وانتهت الحرب والثورة فى كل ايطاليا • وأعيد البابا الى عاصمته بالولايات البابوية ،واستعاد الملك فرديناند سلطانه الكامل فى نابولى وصقلية واسترج الامراء عروشهم فى الدوقيات الايطالية واحتلت فرنسا روما ،وصارت النمسا صاحبة السيطرة فى ايطاليا الشمالية وانتصرت فى كل مكان قوى الرجعية •

انجاز الوحدة الايطالية :

لم يؤد فشل الثورة فى ايطاليا فى عام ١٨٤٨ الى أخماد الاحساس القومى بل لعله قد عززه وأحياه • حقيقة كانت هناك فروق ضخمة بين سكان شبه الجزيرة من حيث العنصر والطباع

وغيرها ،الا ان القومية هى مسألة شعور اكثر منها مسألة حقيقة موضوعية • ولكن فى منتصف القرن التاسع عشر، بدت أحلام قيام الوحدة الايطالية أبعد ما تكون عن التحقيق فقد عادت النمسا لتحكم من جديد بعناد وحماقة وقسوة •ولم يقتصر حكمها على أملاكها الخاصة فى سهل لمبارديا ، فدوقيات الوسط باتت خاضعة هى الاخرى لنفوذها ،وبدأ البابا يتطلع الآن اليها بحثا عن العطف الصادق بدلا من فرنسا• ووجد ملوك وحكام تلك الولايات فى النمسا السند الطبيعى لحكمهم الاستبدادى • ولم يكن هناك فى حقيقة الامر فى كل ايطاليا مكان يرفرف عليه علم الحرية المثلث الالوان، ويلجأ اليه الاحرار الفارين من بطش الطغاة المستبدين سوى مملكة سردينيا • ولقد ولدت من مملكة سردينيا ايطاليا الحرة المتحدة • فعندما تولى فكتور عما نويل عرشها بعد شارل البرت بذلت المحاولات الضخمة لاغرائه بسحب الدستور وحكم الولاية حكما مستبدا ،فأجاب عليها بقوله " لسوف أرفع العلم المثلث الالوان عاليا وبيد ثابتة" • والى هذا التصميم يرجع الفضل فى فوزه بعرش ايطاليا المتحدة •

وسيظل اسم فيكتور عما نويل مقترنا أوثق الاقتران باسم كافور الذى دخل الحكومة فى اكتوبر ١٨٥٠ وزيرا للزراعة والتجارة ،ثم اصبح فى ٤ نوفمبر ١٨٥٢ رئيسا

للوزراء ،وتوصل الى تشكيل اكثرية حكومية بعقد ائتلاف بين حزبة الخاص ، حزب الوسط اليمينى وحزب اليسار المعتدل . وهذا التحالف بين الوسط اليمينى واليسار المعتدل كان اهم عمل فى حياته السياسية . وكانت غاية كافور" ان يربى البلاد على الحرية "،وان يرى ان مملكة سردينيا قادرة على احياء نظمها الليبرالية . وقد قام كافور بجهد كبير فى تنظيم الجيش ، والتنظيم الاقتصادى والاشغال العامة وغيرها . كما وقف كافور مناوئا للكنيسة ،وكان رد الفعل الرجعى فى الدول الايطالية ،وفى روما وفى غيرها مطبوعا باتجاه "اكليريكى". فأراد كافور ان يعدله ،وهذه هى سياسة كافور فى القضية الدينية التى اعتمدت على ثلاثة مبادئ :

أولا : كان كافور يريد ان تكون الدولة كاملة السيادة ،ولذلك ينبغى ألا تدع للكنيسة ممارسة وظائف التعليم،ووظائف الاحوال المدنية وغيرها. ولذا استصدر قانون الزواج المدني والقانون الذى ألغى فيه امتيازات الاكليروس فى القضاء .

ثانيا: انه يجب على الدولة مراقبة الكنيسة مادامت الكنيسة لا تتفق مع النظم الليبرالية ،ولذا صدر قانون شرطة العبادات ،وقانون ثان عام ١٨٥٤ يعاقب كل كاهن يهاجم نظم مملكة سردينيا أثناء ممارسة وظائفه .

ثالثا : أراد كافور أن يمنع نمو أموال الوقف ، لأن امتلاك
هذه الاموال يخول الاكليروس ،فى رأيه ،كثيرا منالنفوذ
ولهذا السبب استصدر قانون ابريل ١٨٥٥ وألغى بموجبه
جميع الجمعيات الرهبانية عدا الجمعيات التعليمية
أو ليستخدمها فى زيادة مرتبات الاكليروس الأدنى •

وفى الوقت الذى كان كافور يطبق هذه السياسة المناوئة
للاكليروس وضع نفسه حاميا للاحرار فى كل أجزاء ايطاليا،ففى
عام ١٨٥١ استقبل فى تورينو أحرارا كانوا مضطرين الىالهجرة
الى دول ايطالية أخرى مثل غاريبزى ،زعيم الحركة الجمهورية
فى تسكانيا ،ومامياني وهووزير سابق للبابا بيوس التاسع •
وقد أعطاهم كافور مرتبات من مملكة سردينيا تساعدهم على
العيش عندما صادرت أموالهم النمسا وحكومات الدول الايطالية
الاخرى • ومن جهة أخرى أنشأ لبعضهم كراسى جامعية فى جامعة
تورينو • كما ان كافور لم يتردد فى عام ١٨٥٦ فى ان يغتنم
الفرصة ويكشف امام العالم النظم السياسية الايطالية •واتخذ
هذا الموقف بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ بعد حرب
القرم • وكانت مملكة سردينيا حليفة فرنسا وانجلترا فى هذه
الحرب ضد روسيا • وقد عقد كافور هذا الحلف ليدل على أن
لمملكة سردينيا جيشا يساعدها على تبوء مقعدها فى مؤتمر
السلام • وفى مؤتمر باريس ١٨٥٦ قدم لممثلى الدول الكبرى

مذكرة يروى فيها الحالة البائسة التى وجدت فيها الدول البابوية ومملكة الصقليتين ٠ وقبل رئيس وفد فرنسا والوسكى (Walowski) ورئيس الوفد الانجليزى كلارندون ان يدعى كافور٠ ولكن ممثل النمسا بول (Buol) عارض صراحة وصرح بأن ليس للمؤتمر الحق فى مناقشة هذه القضايا الايطالية لانه انعقد فقط لتسوية السلام بين فرنسا وانجلترا وروسيا٠ ولذا اقتصر المؤتمر على التصويت على صيغة غامضة جدا يوصى بها حكومات الدول الايطالية باتخاذ " اجراءات رحيمة "وهكذا وضع كافور نفسه حاميا للايطاليين ،ورفع صوته باسم ايطاليا وأصبحت مملكة سردينيا يوما فيوما مركزا تتجه اليه تطلعات كل من كانوا يرجون تجديدا فى ايطاليا ٠ واستخدم كافور هذا الوضع الخاص لمملكة سردينيا ليجعل من هذه الدولة نقطة تجمع وتشيع لكل من كانوا يتطلعون لاحياء الحركة القومية ٠وبعد عام ١٨٥٦ تطورت أفكاره بسرعة : فقد اتجه نحو فكرة الوحدة الايطالية ،وبالطبع على ان تكون مملكة سردينيا بزعامة بيت آل سافوى ،على رأس ايطاليا المستقبل ٠ والدليل على هذا التطور هو انشاء " الجمعية القومية "٠

وكانت مبادىء الجمعية القومية الايطالية تتلخص فيما يلى :

(١) ان توضع جانبا ،فى هذه الآونة ،كل مناقشة فى السياسة الداخلية وبالتالى ايضا كل مناقشة فى الاشكال السياسية القادمة ٠

(٢) القيام بدعاية لصالح فكرة الاستقلال والوحدة وتنمية هذه الدعاية فى الاوساط الشعبية التى لم تكن حتى الآن أوساطا نشيطة فى الحركة القومية .

(٣) الاعتماد على بيت سافوى الوفى للقضية الايطالية، وكان موجهو " الجمعية القومية " يرون بأن مؤازرة مملكة سردينيا ضرورية لها.

ونشر برنامج " الجمعية القومية " حسب هذه الاسس فى أول سبتمبر ١٨٥٧ ،ونظمت الجمعية مباشرة تجمعات فى كل اجزاء ايطاليا ،وكان ذلك سهلا فى مملكة سردينيا لأن القانون ينص على امكان تشكيل جمعيات سياسية . ولكن " الجمعية القومية " لم تستطع أن تتشكل علنا فى البلاد الاخرى ،فقد اضطرت ان تنظم سرا ،وكان للجمعية فروع سرية فى لومبارديا ـ البندقية ،وفى تسكانيا ،وفى دوقيتى بارما ومودينا حيث كانت البورجوازية نشيطة جدا فى هذا الاتجاه ،وفى القسم الشمالى من الدولة البابوية . وكان عمل هذه الجمعية نافذا لانها ضمت جموعا كانت حتى ذلك الحين متفرقة ومبعثرة ،وحببت بيت سافوى آناسا لم يفكروا فى الوحدة تحت توجيه ملك سردينيا . وما كانت هذه الجمعية القومية لتعمل شيئا دون الرجوع سرا الى كافور، ولكن كافور لم يشأ ان يشارك ويزج فيها اسمه علنا لانه لم يكن مطمئنا من نضج الايطاليين للوحدة .

هذه هى حال الحركة القومية الايطالية فى عام ١٨٥٨، وتعتبر الفترة من ١٨٥٩ الى ١٨٦٠ مرحلة حاسمة فى تاريخ تلك الحركة ، اذ تشكلت خلالها مملكة ايطاليا تحت زعامة بيت سافوى . ولكن كيف تم ذلك ؟ قرر كافور العمل فى عام ١٨٥٨ ولكن احاطت به بعض الظروف . كان كافور متأكدا بانه سيصطدم بمقاومة النمسا ،فقد أرادت النمسا بالطبع ان تحتفظ بالمنطقة اللومباردية — البندقية ،وان تحافظ على النفوذ الذى كان لها على جزء من الدول الايطالية . وللقضاء على مقاومة النمسا ،رأى كافور ان من الضرورى لمملكة سردينيا الحصول على مساعدة دولة اجنبية ،وأخذ كافور بعين الاعتبار تجربة عام ١٨٤٨ ،وعرف ان سردينيا لايمكن ان تنجح الا اذا اعتمدت على دولة اجنبية . وهذا الحل يقتضى مجازفة لانه من النادر جدا فى السياسة الدولية ان يعطى شىء فى سبيل لا شىء : ان الدولة التى تدعم دولة أخرى تطلب دوما تعويضا وقد قرر كافور الذهاب الى هذا الحد. ولكن ممن يطلب هذا العون ؟ لا يوجد الا دولتان يمكن التوجه اليهما : فرنسا وانجلترا ولكن عون فرنسا يمكن ان يكون حاسما لأن انجلترا تملك أسطولا بحريا ولا تملك جيشا ،ولقهر النمسا لابد من وجود جيش .

وفى فرنسا كان نابليون الثالث يعطف على القضية الايطالية ،فقد شارك في شبابه فى الثورة التى قامت فى عام

١٨٣١ فى الدولة البابوية . ومن الناحية السياسية كان يرغب فى تعديل معاهدات ١٨١٥ وتوطيد النفوذ الفرنسى فى ايطاليا ،ويأمل ان تكون تابعة لفرنسا . ولكن نابليون الثالث كان مقيدا من ناحية أخرى بالقضية الرومانية . ففى عام ١٨٤٩ قوضت الحملة الفرنسية التى قادها الجنرال اوديتو الجمهورية الرومانية ووطدت سلطة البابا ،ومنذ هذا التاريخ بقيت فى روما حامية فرنسية لحمايته . ومن الواضح عند تحقيق الوحدة الايطالية ان توضع قضية روما على بساط البحث ، وستكون روما بالضرورة تابعة لهذه الدولة الجديدة ،وعاصمة لها . وقد اضطر نابليون الثالث الى التفكير فى أن هذه القضية الرومانية من طبيعتها ان تجلب اليه صعوبات ضخمة فى السياسة الداخلية الفرنسية ،لأن الغاء السلطة الزمنية للبابا يمكن ان يثير احتجاجات الكاثوليك الفرنسيين. وهذا ما يوضح لنا موقف الامبراطور . وفى الواقع كان نابليون الثالث مع رغبته فى حذف النفوذ النمسوى من ايطاليا واستبداله بالنفوذ الفرنسى لايريد تحقيق الوحدة الايطالية لصالح بيت سافوى ،بل كان يتصور فقط تشكيل اتحاد كونفدرالى بين الدول الايطالية ،ودليلنا على ذلك البرنامج الذى وضع فى بلومبيير فى يوليو ١٨٥٨ بين كافور ونابليون الثالث .

وفى بلدة بلومبيير Plombieres التقى كافور مع نابليون بدعوة من الاخير، وكانت الحرب هى هدف الاثنين

فقد وعدت فرنسا بتأييد سردينيا فى حربها ضد النمسا على شرط ان يتولى كافور ايجاد الذريعة التى تبرر مثلك فرنسا فى نظر اوروبا ، وفى هذه الحرب يتم طرد النمسويين من ايطاليا ،فيؤلف الشمال مملكة ايطاليا برئاسة فيكتور عمانويل ،ثم ترتبط البلاد كلها بعد ذلك برباط اتحادى يرأسه البابا . أما الثمن الذى طلبه نابليون الثالث مقابل ذلك فهو التنازل لفرنسا عن سافوى ونيس (سافوى مهد البيت المالك والدولة السردينية ،ونيس مسقط رأس غاريبالدى) وموافقة فيكتور عمانويل على تزويج ابنته البالغة من العمر ستة عشر عاما الى ابن عمة الامبراطور نابليون . وفى الواقع كان نابليون الثالث يهدف من وراء تلك الصفقة الى تحقيق اهداف ثلاثة هى :

(١) القضاء على نفوذ عدوته النمسا فى ايطاليا.
(٢) كسب أراضى جديدة فى ايطاليا بضم نيس وسافوى.
(٣) ارضاء الكاثوليك فى فرنسا بتعيين البابا رئيسا للاتحاد الجديد .
(٤) ان الدولة الايطالية الجديدة ستكون على علاقة طيبة مع فرنسا اعترافا بفضلها فى قيام الوحدة.

وفى نهاية عام ١٨٥٨ وقع الطرفان الفرنسى والسردينى معاهدة سرية تنص على تعهد فرنسا بامداد سردينيا بمئتى الف رجل فى حالة دخولها الحرب ضد النمسا.

وبعد ان اطمأن كافور الى حليفه أخذ فى تلمس الاسباب والمبررات لشن حرب على النمسا . ولكن بعد ان أعيته الحيل قدمت النمسا له تلك الفرصة بنفسها عندما وجهت انذارا الى مدينة تورين بنزع سلاحها ،وعززت هذا المطلب بارسال قواتها الى بيد مونت فى ١٩ ابريل ١٨٥٩ . وتكتلت معظم قوات حكام الولايات الايطالية خلف بيد مونت فيما عدا البابا بيوس التاسع الذى رفض الانضمام الى المعسكر الايطالى ، وكذلك ملك نابولى وكانت أبرز شخصيات هذا المعسكر الحربية غاريبالدى الذى كان يقود جماعة " صيادى الألب " وهم من المغامرين الايطاليين شديدى البأس والقوة . وفى ساحة القتال الشهيرة بشمال ايطاليا التقت قوات بيد مونت تؤازرها قوات فرنسا بالجيش النمسوى فى معركة ماجنتا Magenta فى ٤ يونيو ١٨٥٩ انتصرت فيها القوات الفرنسية ـ الايطالية ،وتقهقرت أمامها قوات النمسا حيث التقى الطرفان مرة ثانية سولفرينو Selferino فى ٢٤ يونيو ١٨٥٩ انتصر فيها الجانب الفرنسى الايطالى بفضل قوة فرنسا.

وفى الوقت الذى وصلت فيه القوات الفرنسية ـ الايطالية المتحالفة الى ذروة انتصارها ،ولاح للايطاليين ان الوحدة اصبحت قاب قوسين أو أدنى من الظهور ، انقلب موقف الامبراطور نابليون الثالث فجأة من التحمس الشديد الى الرغبة فى انهاء الحرب والثمرة على وشك النضوج . ولكن ما هى الأسباب التى

دفعت الامبراطور الفرنسى الى اتخاذ هذا الموقف المفاجىء؟ تتلخص هذه الاسباب فيما يلى :

أولا : حقق نابليون الثالث بعد انتصاره على النمسا ما كان يصبو اليه من القضاء على نفوذ النمسا فى ايطاليا ،وفى نفس الوقت قام بالتزاماته كاملة ازاء بيد مونت ووجد ان الاستمرار فى الحرب ليس من مصلحة فرنسا فى شئ ،فمواصلة عداته للنمسا سيجر عليه سخط بروسيا التى كانت تقف قواتها على أهبة الاستعداد لنصرة الألمان النمسويين ،خصوصا وأنها دخلت فى مفاوضات سياسية مع انجلترا وروسيا بشأن التدخل فى النزاع القائم بين النمسا وفرنسا.

ثانيا :شعور نابليون الثالث بعد انتصار الايطاليين انقيام وحدة ايطالية على حدود فرنسا الشرقية ليس من مصلحتها فى شئ . فمهما كان عداؤه للسياسة النمسوية فى ايطاليا ،فهذا العداء أهون عليه من قيام دولة موحدة فتية الى جوار فرنسا.

ثالثا :ان انتهاء الحرب على هذه الصورة - رغم انتصار فرنسا - فيه خدمة كبيرة للنمسا التى كانت حريصة على انهاء الحرب بأى ثمن كى تستطيع تضميد جراحها. فاتمام صلح بين الدولتين يمنح النمسا امتيازات

قليلة فى ايطاليا فيه ترضية كبيرة للنمسا ٠ وكان نابليون حريصا على رضائها ليتخذ منها حليفا فى المستقبل اذا ماساءت العلاقات بينه وبين بروسيا ، مستغلا التنافس الموجود بين الدولتين الالمانيتين النمسا وبروسيا ،لذلك كله رأى نابليون الثالث الدخول فى مفاوضات مع النمسا دون علم بيد مونت أو موافقتها ، فأرسل مبعوثة الجنرال فليرى Fleury الى عاهل النمسا فرنسيس جوزيف يعرض عليه الهدنة توطئة لعقد صلح بين الطرفين ٠

رحب امبراطور النمسا بهذا العرض لأن الخسائر التى تكبدها جيشه كانت فادحة ،ولكن هذه لم تكن السبب الوحيد، فالمجر كانت تنذر بالثورة والحاجة تدعو الى توفير القوات اللازمة لقمعها ٠ ثم ان احتمال تدخل بروسيا لم يكن ملائما بالمرة للدبلوماسية النمسوية لما سيصحبة حتما من تنازلات لبروسيا فى المانيا لم يكن فرنسيس جوزيف راغبا فى القيام بها بحال ٠ وعلى هذا التقى الامبراطور النمسوى بنابليون فى فيلافرانكا Villafranca حيث وقعا الهدنة فى ٨ يوليو ١٨٥٩، وبعد ذلك تم التصديق على مقدمات الصلح فى ١١ يوليو ١٨٥٩ ، وتنص على اعتراف الدولتين بقيام اتحاد ايطالى برئاسة البابا من الناحية الاسمية ،مع حثه على ضرورة ادخال اصلاحات فى ممتلكاته ، وأن تتنازل النمسا عن لومبارديا لبيد مونت ، وان تستمر سيطرة النمسا على

البندقية مع دخولها الاتحاد الايطالى • وكذلك عودة حكـام مودينا وتسكانيا وبارما الى مناصبهم من جديد على أن تعرض تلك القرارات على مؤتمر للدول المعنية بالامر للعمل على اقراره •

ولكن الامور لم تسر وفق ما أراد نابليون ،فقد عارضت ولايات رومانيا وبارما وتسكانيا ومودينا عودة الحكام السابقين وقامت بثورة مطالبة الانضمام فى وحدة تحت حكم الملك فيكتور عما نويل • كما وقف البابا من تشكيل الاتحاد الايطالى موقفا سلبيا ،بل هو أقرب الى المعارضة منه الى السلبية • وأدرك كافور انه لن يستطيع حل مشكلة وسط ايطاليا الا بالتعاون مع نابليون الثالث ،وكان مستعدا لدفع الثمن الذى تعهد به لنابليون من قبل ثمنا لتحالفه ، أى اعطاء نيس وسافوى لفرنسا ، ولكن كافور رأى ان يتبع فى ذلك أسلوبا يرضى عنه الايطاليون ،ألا وهـو اجراء استفتاء عام فى كل ولايات وسط ايطاليا بما فيها نيس وسافوى • فأسفر الاستفتاء عن فوزفرنسا بنيس وسافوى بأغلبية كبيرة ،أما باقى الولايات فقد طالبت بالدخول فى وحدة مع مملكة سردينيا أو ما أصبح يطلق عليها فى ذلك الوقت اسم" ايطاليا" •

تكونت ايطاليا الجديدة مما يزيد قليلا فى مساحته عن نصف حجم ايطاليا ،وبقيت الممتلكات البابوية ومملكة نابولى والبندقية خارجة عن الوحدة • وقد لقيت الوحدة مقاومة شديدة

من البابا بيوس التاسع الذى انقلب رجعيا متطرفا ومن فرنسيس الثانى ملك نابولى . فكان على كافور ان يبذل المزيد من الجهد للتغلب على هؤلاء المعارضين واتمام الوحدة الكاملة . فمن ناحية مملكة نابولى نجد ان الملك فرنسيس الثانى ماكان ليقبل ضياع ملكة من اجل قيام الوحدة فى ظل الملك فيكتور عمانويل . هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فان أهالى نابولى كانوا اكثر سكان ايطاليا تخلفا وتأخرا، وأكثرهم خضوعا لسلطان الكنيسة ،وأقلهم اهتماما بقضية الوحدة ،وفهما لمضمون الحرية والوحدة . وليس معنى هذا ان نابولى قد حرمت كلية من وجود عناصر تؤمن بالحرية،وتؤمن بالوحدة عن فهم وعمق . وبدا لكافور ان ادخال نابولى فى نطاق الوحدة لن يتم الا بالقوة مع استخدام الاساليب الدبلوماسية ،ووجد فى نفسه الرأس المفكر والدبلوماسى الذى لايشق له غبار . ووجد فى غاريبالدى القوة الحربية المنشودة . فالتقى الرجلان حول هدف واحد رغم اختلاف كل منهما عن الآخر ، ورغم شك غاريبالدى وريبته فى كافور ، لكن الظروف أجبرته على التعاون معه ، لأنه كان فى حاجة ماسة الى التأييد السياسى لمشروعاته الحربية .

أعد غاريبالدى قواته غير النظامية " ذوى القمصان الحمراء" ، وكان عددهم ١١٣٦ متطوعا خاض بهم البحر - رغم قلة عددهم – من جنوى الى جزيرة صقلية . وفى ١١ مايو ١٨٦٠

نزل مع رجاله الى البر فى مارسالا Marsala لمهاجمة مقر حكومة نابولى فى مدينة بالرمو. واستطاع بقواته الضئيلة العدد، التى أبلت بلاءا مشهودا الاستيلاء على المدينة و دحر قوات الملك . وأحدث هذا النصر هزة عنيفة فى كل ايطاليا ولاسيما فى نابولى ،فاضطربت الامور هناك ،وساعده ذلك على عبور مضيق مسينا والنزول فى الطرف الجنوبى من شبه الجزيرة الايطالية لمواصلة ضرباته وانتصاراته على القوى المعادية للوحدة ،ويمم غاريبالدى وجهه شطر نابولى حيث دخلها فى ٧ سبتمبر بعد ان غادرها الملك فرنسيس بيوم واحد. وكان سقوط نابولى فى يد غاريبالدى نقطة تحول فى تاريخ الوحدة الايطالية ، فكافور وجد ان الوقت قد حان لتسلم زمام المبادرة من غاريبالدى ،وان الدور العسكرى يجب ان ينزوى ليفسح الطريق للدور الدبلوماسى ، خصوصا وان مقدرة غاريبالدى السياسية كانت محدودة جدا،وكان كافور يعلم ذلك تمام العلم كذلك مما حدا بكافور لتولى زمام المبادرة تردد غاريبالدى بعددخوله نابولى فى اعلان انضمامها الى مملكة سردينيا ، فهذا التردد كان مدعاة للشك فى نوايا غاريبالدى فى المستقبل . ويبدو ان غاريبالدى قد أحجم عن البت فى هذا الموضوع لأن الامور لم تكن قد تبلورت بعد ،فالملك فرنسيس رغم تركه نابولى مازال مقيما فى جاييتا ،فالمسألة بالنسبة اليه لم تنته بعد ،هذا فضلا عن وجود قوتين أخريتين معارضتين

للوحدة التامة داخل نابولى : الاولى وجود حزب قوى كان ينادى بدخول نابولى الاتحاد الايطالى مع احتفاظها بنوع من الاستقلال الذاتى ، والثانية تتمثل فى مطالبة أنصار ماتزينى بوحدة ايطاليا فى ظل النظام الجمهورى.

أما فى ممتلكات البابا فقد طالبت الحركات الشعبية بالوحدة وقامت الثورات فى مارش Marches واومبريا Umbria وأعد البابا قواته لاخماد الثورة ، ولكن كافور منعه من ذلك ،ودخلت قوات ايطاليا الممتلكات البابوية لتقضى على جيش البابا فى كاستلفيداردو Castelfidardo وبعدها اتجهت صوب نابولى حيث توجد قوات غاريبالدى . وهناك أعلن غاريبالدى ضم نابولى الى مملكة فيكتور عمانويل وحظى بمقابلة الملك الذى أثنى عليه لما قدمه من جهود وطنية صادقة من اجل تحقيق الوحدة . وبعد أن أدى غاريبالدى ما عليه من واجب رفض أى مظهر من مظاهر السلطان وآثر الخلود الى السكينة فى مسكنه بجزيرة كابريرا Caprera ثم أجريت الاستفتاءات فى نابولى وصقلية والاراضى البابوية ، فأعلن الاهالى بالاغلبيات الساحقة رغبتهم فى الانضمام فوراً الى " مملكة فيكتور عمانويل الدستورية". وبذلك تتحقق الوحدة الايطالية ويلقب فيكتور عمانويل بملك ايطاليا. وفى عام ١٨٦٦ ضمت البندقية بعد الحرب النمسوية البروسية. أما روما فضمتها ايطاليا نتيجة للحرب الفرنسية البروسية، اذ اضطرت

فرنسا الى سحب قواتها منها ،فدخلها الايطاليون فى ٢٠سبتمبر ١٨٧٠ وكان على بيد مونت تطبيق دستورها على الولايات الايطالية والعمل على تحسين احوالها المالية وتقوية جيشها، وتدعيم الاستقرار السياسى • وكان نجاح الملكية الدستورية فى بيد مونت فى تكوين وحدة ايطالية عاملا على اضعاف قوة الملكيين المستبدين والجمهوريين المتطرفين • وكانت الحكومة الجديدة حائرة ،هل تمنح الولايات الايطالية نوعا من الاستقلال الداخلى أم تتبع نظاما مركزيا ؟ ولكن هذه الحيرة لم تطل فقد فضلت الامارات الايطالية النظام المركزى ،وكان على الحكومة الجديدة القضاء على التشرد والجهل فى الجنوب ومعالجة مسألة الكنيسة ، وذلك لرفض البابا الاعتراف بالدولة الجديدة ،وكذلك السير فى حركة اصلاح الجيش والتعليم والبحرية والشؤون المالية • وفى عام ١٨٧١ أصدرت الحكومة قانون الضمانات وبه أصبح البابا سيدا مستقلا فى الفاتيكان• ولكن البابا رفض الاعتراف بهذا القانون ،وظلت معارضة البابا للوضع الجديد فى ايطاليا من مصادر الضعف فى الحكومة الجديدة الى أن تم للحكومة الاعتراف باستقلال الفاتيكان بمقتضى معاهدة لاتران فى ١١ فبراير ١٩٢٩ •

الفصل السابع

الوحدة الألمانية

- مشكلة شلزفيج وهولشتين والحرب البروسية
- النمسوية .
- الحرب البروسية - الفرنسية .

الفصـــل الســابع

الوحـــدة الالمـانيــــة

The Unification of Germany .

يوضح تطور المانيا التاريخى،ان المانيا لم تكن هيئة سياسية قومية . لقد كانت امبراطورية تتألف من ٣٦٠ دولـة حتى ان وسط المانيا وغربها كانا عبارة عن فسيفساء سياسية تضم دولا صغيرة جدا تتألف من دوقية ، او قصر ، او مدينة، او امارة كنسية ، واذا كانت بروسيا تضم ٥ر٢ مليون من السكان وهى اكبر الدول ففى الامكان تصور الدول الاخرى . وكانت هـذه الـ ٣٦٠ دولة موزعة على عشر دوائر ولكل منها رايتها وعليها تلقى تبعة الدفاع المشترك وتنفيذ قوانين الامبراطورية .أما القضايا العامة فتعرض على دايت (Diet) الامبراطوريـة، ولم يكن هذا لينعقد الا مؤقتا بدعوى من الامبراطور. ويتألـف من ثلاث هيئات : الناخبون ،والامراء والمدن ،ولاتخاذ قـرار فيه تجب اكثرية هيئتين . ولم تكن هناك حكومة ولا جيـش المانى ولايكون ذلك الا اذا قرر الدايت . ولايمكن لهذا الجيـش ان يعمل الا اذا أمرت دايتها الدوائر بالتنفيذ. وعلى هـذا يرى انه ليس هناك دولة المانية ،ولا فكرة سياسية المانيـة. لقد كانت المانيا منقسمة الى عدة أقسام لكل منها نعرتهـا الخاصة . وكل نقاش او جدل فى سبيل التغيير او الاصلاح فـى الدولة كان يدعو الى الخوف من الوحدة . لقد كانت النعـرة

الانفصالية سائدة فى كل دولة من دول المانيا ولم يكن بين هذه الدول وحدة فى النقد او القوانين او المقاييس حتى ولا أى وحدة معنوية .

ولقد تأثرت المانيا بالآراء والمبادىء التى نادت وأتت بها الثورة الفرنسية وتضافرت عوامل هامة على تهيئة المانيا لتقبل تلك الآراء وخصوصا الآراء والمبادىء السياسية فعرف الالمان النظريات التى نادى بها جان جاك روسو فى التربية ،وظفر مونتسكيو الى جانب زميله بالحظوة لدى مفكرى الالمان . فكان عما نويل كنط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف كونجزبرج العظيم من كبار المعجبين بكل من روسو ومنتسكيو وتأثر بدرجة كبيرة بكتاباتهما وآرائهما. ولقد كان من المعجبين بآراء روسو والفلاسفة الفرنسيين كذلك جوهان جوتليب فيخته وهو من تلامذة كنط ،ويحتل فيخته مكانة عظيمة فى تاريخ الفكر الالمانى السياسى . ولقد جعل فيخته الاهتمام بالشعب والأمة يغلب على الاهتمام بالفرد ،فابتدع ذلك النظام الاجتماعى الذى اتخذه أساسا لنشوء الدولة باعتبار أسبقية حرية المجتمع بأسره على حرية الفرد وحده . وكان لذلك طبيعيا ان يأتى تفسير فيخته لنظرية العقد الاجتماعى مغايرا لما أخذ به روسو ،وان كان كلاهما اعتمد فى تفسيره على وجود ارادة عامة هى مصدر السيادة العليا وموئلها فى الدولة ،فجعلها روسو نتيجة تنازل الافراد عن ارادتهم

الفردية ،واندماج هذه فى ارادة عامة ،فى حين افترض فيختة وجود الارادة العامة أصلا فى المجتمع ،وبالتالى فى الدولة التى جعل من حقها ونصيبها وحدها السهر على حريات الافراد وضمان هذه الحريات فى المجتمع • وعلى ذلك فقد كانت المانيا وقت اندلاع الثورة الفرنسية فى مقدمة البلدان التى قطعت شوطا لايستهان به فى ميدان الفكر ،وبدأ الالمان يستيقظون رويدا رويدا من سباتهم السياسى ، ولعل نجاح الفرنسيين فى تأسيس الجمهورية فى فرنسا كان أعظم العوامل أثرا فى هذه اليقظة السياسية التى جعلت الالمان ينفضون عنهم غبار ذلك الخمول السياسى الذى أقعدهم عن العمل والنشاط فى هذا الميدان أزمانا طويلة •

ومما هيأ المانيا لقبول الآراء التى نادت بها الثورة الفرنسية ان الحكومة فى بافاريا عمدت منذ عام ١٧٨٤ الى حل جماعة المتنورين Illuminati والغاء منظماتهم او هيئاتهم ،فانتشر هؤلاء فى المانيا يحملون آراءهم الخطيرة الى كل مكان ذهبوا اليه ،ومن أخطر هذه الآراء قولهم ان الوقت قد مضى الآن ، للتمسك بالنظام الملكى ،ولم تعد هناك حاجة لوجود الملكية او الملوك • وهناك سبب آخر لقبول تلك الآراء هو ان الفلاسفة والمفكرين السياسيين من طراز كنط وفيختة لم يكونوا وحدهم الذين اعجبوا بآراء الفلاسفة الفرنسيين وكتاباتهم • فقد أعجب بآراء وكتابات فلاسفة الثورة طائفة

من فحول الكتاب والشعراء الالمان المعاصرين مثل فردريك شيلر Schiller (١٧٥٩ – ١٨٠٥) الكاتب والشاعر مؤرخ "حرب الثلاثين سنة" في المانيا. وحذا حذوه جيتة Goethe (١٧٤٩ – ١٨٣٢) أعظم شعراء المانيا شهرة. ومما ساعد كذلك على تغلغل الآراء الفرنسية في المانيا بهذه السرعة و السهولة، ان هذه البلاد الواسعة لم تكن تعرف و تتخذ شعورا قوميا أو وطنيا يحول دون انتشار الآراء الاجنبية بها.

ولكن هذا الحماس العظيم الذى قوبلت به الثورة الفرنسية، لم يكن معناه ان المانيا بأسرها كانت ترحب بها، او ان جميع قادة الرأى وأهل الفكر فى المانيا كانوا يقبلون الآراء والمبادىء التى تمخضت عنها الثورة والتى عمل رجال الثورة الفرنسيون على اذاعتها في اوروبا. فقد وجدت طائفة من الكتاب والمفكرين الالمان، نذكر منهم جوهان ولهلم جلايم Gleim الشاعر، وفردريك جاكوبى Jacobi الفيلسوف، وبارتولد جورج نيبور Niebuhr المؤرخ، وغيرهم – نظروا جميعا بخوف و حذر شديدين للثورة، منذ بدايتها. ثم ان الثورة فشلت في ان تستميل الى تأييدها هنرى شتين Stein (١٧٥٦ – ١٨٣١) صاحب الاصلاحات الكثيرة التى مكنت بروسيا من النهوض والانتعاش بعد صلح تلست Tilst

بين روسيا وفرنسا عام ١٨٠٧ - لتتزعم النضال ضد السيطرة الفرنسية • ثم ان شيلر لم يمنعه اعجابه بآراء روسو وكتاباته من اظهار تبرمه بأعمال الثوار الفرنسيين الذين هم من طبقات العامة ،لأن فرنسا في رأية لم يكن أبناؤها قد وصلوا بعد الى درجة من التربية والتعليم تجعلهم قادرين على فهم معنى تلك المساواة التى يطالبون بها وادراك قيمتها • والحقيقة ان موجة من الذعر سادت المانيا عموما بسبب الفظائع التى ارتكبها اليعاقبة ،حينما حطموا قواعد النظام القديم فى فرنسا وراحوا يبذلون - علاوة على ذلك - كل ماوسعهم من جهد وحيلة لنشر آراء الثورة فى سائر ربوع اوروبا • وأخذت الحكومات الالمانية على عاتقها مقاومة الآراء التى نادت بها الثورة ،بعد أن أدركت هذه الحكومات جسامة الاخطار التى تتهددها نتيجة لذيوع الآراء والمبادىء التى جاءت بها الثورة الفرنسية من حيث تهديدها لذلك السلطان الذى تمتعت به هذه الحكومات فى داخل الدويلات او الامارات المنتشرة فى ارجاء المانيا • فعظم عداء الحكومات للثورة ،وراحت من ثم تتخذ الوسائل والتدابير التى تكفل مكافحة هذه الآراء الجديدة وتعطيل ذيوعها والقضاء عليها •

وفى خارج دائرة هؤلاء المفكرين ،فان الحماس للآراء الفرنسية كان عظيما ،خصوصا بين الشباب والنساء. ولقد انكب سواد الشعب الالمانى على قراءة الصحف بنهم وشغف عظيمين ،ولم يترك الذين قرأوا الصحف الانباء التى جاءت بها دون مناقشتها بجد واهتمام وحماس كبير، وأفصحت الجماهير عن حماسها للثورة بشتى الوسائل، فانتشرت فى اسواق فرانكفورت المناديل التى طبعت عليها حقوق الانسان ،ولقيت هذه المناديل رواجا عظيما. و لكن بعد ان اجتاحت فرنسا المذابح و الارهاب حصل فى الرأى الالمانى شيء من التردد ،اذ شعر الناس و كأن الثورة حادت عن طريقها وفقد طبعها ،وانقسمت الآراء. فبعضها تحول عن الثورة لانها اصبحت سفاحة ،كما أخذ الكثيرون يبددون اوهامهم ،ووزعت كراسات تقدح فى الثورة الفرنسية ورجالها ،حتى ان بعض احرارالمانيا امام رد الفعل فروا الى باريس.

وهذا الانقسام فى الرأى بين من بقى أمينا على عهد الثورة ،وبين من استنكر اعمالها ،يمكن ان ينظر اليه من وجهة نظر اجتماعية واخلاقية لا من الوجهة القومية والوطنية ،ومع هذا فقد تدخل عنصر جديد وهو الحرب بين فرنسا والدول الالمانية وخاصة بروسيا والنمسا. بيد ان هذه الحرب لم تبدل وجهة نظر الالمان الذين تشيعوا

لافكار الجمهورية الفرنسية • وبقيت المانيا محايدة امام انكسار النمسويين والروس • ولادل على ذلك من فقدان المتطوعين فى الجيوش التى ذهبت لمحاربة فرنسا ، حتى ان اكثر الحكومات اضطرت لنجدة جيوشها ، ان تطبق نظام القرعة • أما السبب فى ان الحرب لم تحدث حركة وطنية فى المانيا ضد فرنسا فيرجع الى انه لم يكن هناك أى حقد عرقى بين فرنسا والامبراطورية الجرمانية والى ان الحرب كانت بين الامراء والثورة • ومن الوجهة الفكرية والسياسية نجد ان مصلحة الشعوب كانت فى الوقوف الى جانب الثورة الفرنسية التى تمثل الاصلاح والحرية السياسية ،لا الى جانب الحكومات التى تمثل الضغط والعنف والسلطة • هذا بالاضافة الى ان الرأى العام الالمانى ألقى مسؤولية الحرب على الامراء الالمان أنفسهم لا على فرنسا • ولكن عندما تشكلت الحركة القومية فى المانيا وذلك فى عهد متأخر أخذ المؤرخون الالمان ،اما عن ارادة او عن خطأ فى النظر ،يلقون تبعة حرب ١٧٩٢ ــ ١٧٩٣ على الفرنسيين • بيد ان الالمان المعاصرين كانوا متفقين على ان المسؤولية تقع على كاهل الحكومات الالمانية نفسها •

و هذه اللامبالاة التى نجدها حيال الحرب نجدها ايضا فى عواقب الحرب وفى التبدلات التى طرأت فى

الامبراطورية الجرمانية عام ١٨٠٣ . فضياع أملاك الكنيسة وادخالها فى املاك الدولة ،ونزع الملكيات من ايدى اصحابها كما جرى فى الاعوام ١٧٩٧، ١٧٩٨ و ١٨٠٣ لم يثر أى معارضة فى المانيا ،بل على العكس ،لاقى تأييدا لان السكان ليس لهم مايشكون من ذهاب الدول الصغرى او دول الاكليروس وسبب هذه اللامبالاة يرجع فى الغالب الى حكم الامراء السيىء الذين لايهمهم الا مصالحهم ورفاهيتهم وراحتهم دون ان يبحثوا عن تعاون بينهم و بين مواطنيهم . لقد كانت الفردية وبالتالى الانانية صفة سائدة بين هؤلاء الامراء ،يضاف الى ذلك ان عدم اكتراث الالمان تجاه تلك التبدلات يرجع الى ان مفكرى الالمان المعاصرين حافظوا على تلك الفكرة النقية فى العلاقات بين الناس ،تلك الفكرة التى أخذوها عن فلاسفة القرن الثامن عشر ،وهى ان تاريخ كل شعب من الشعوب ليس له أى معنى الا اذا وضع فى حياة الانسانية جمعاء . وعلى هذا نرى ان الرأى الالمانى كان مشتتا حيال الثورة عندما أخاف الارهاب الالمان . وعلى اية حال لم تولد الثورة الفرنسية الوطنية الالمانية وان" الامة" الالمانية بقيت شيئا مثاليا محضا لم تغيره الثورة الفرنسية لا عن طريق الدعاية وانتشار الافكار ولا عن طريق الاحتلال الفرنسى .

ان التغييرات التى أجريت فى المانيا خلال عهد نابليون ،والتحول السياسى الذى تمثل فى زوال الامبراطورية الرومانية المقدسة قد تمت دون ان يؤدى ذلك الى حركة فى الرأى العام • والاحتجاجات الوحيدة التى ارتفع صوتها ضد هذه التغييرات أتت اما من منافع مسلوبة او منافع لم تشبع رغبتها بصورة كافية قام بها بعض بارونات الامبراطورية الجرمانية ،ولم تنشأ من الرأى العام فى مجموعة • يضاف الى ذلك ان هذه الحوادث لم توقظ أى أمل لان الرأى العام ظل الى حد ما محايدا غير مبال بكل مايجرى • لقد عدلت الامبراطورية الجرمانية باتفاق بين روسيا و فرنسا ضد النمسا • وقد حدث معظم التعديل فى المانيا الغربية خاصة ،أى فى اكثرالمناطق تجزئة وانقساما حيث توجد دول صغيرة عديدة من دول بارونات الامبراطورية وامارات كنسية • وكان من نتيجة هذه التعديلات الاقليمية تمثيل الدول الصغيرة • وهكذا هبط عدد الدول الالمانية من ٣٦٠ الى مايقارب الثمانين• كما ساعد تنظيم الامبراطورية المقدسة على اخراج النمسا من المانيا ،وفقدت ممتلكاتها الشخصية التى كانت موزعة فى نقاط مختلفة فى الامبراطورية • وأضاعت النمسا نفوذها الشخصى و تحولت الى امبراطورية النمسا و آخذت تبتعد من المانيا وتكون لنفسها حياة خاصة • وستضطر مع مرور الزمن الى التخلى عن المانيا لبروسيا•

ومن الجدير بالذكر ان هذا التحول او التغير العظيم الذى طرأ على المانيا لم يكن من المنتظر بقاؤه طويلا ، لافى شكله الاقليمى ،ولا فى صورته السياسية • فمن الناحية الاقليمية اتخذ نابليون اجراءات تلو الاخرى هدف من وراءها اعادة رسم خريطة المانيا وذلك بالقضاء على بعض الدول الحديدة التى اوجدها هو نفسه • ثم انه قضى على دول قديمة كانت قائمة فى الماضى • ولم يلبث ان انتهى من مسألة الغاء تبعية الامراء و البارونات الالمان للامبراطورية المقدسة بأن تقرر فى عام ١٨٠٦ ،أن جميع الامراء او البارونات الذين لايسمح بدخولهم شخصيا فى اتحاد الراين يصير اعتبارهم تابعين للحكومات التى يعيشون فى اراضيها • ويتحتم عليهم لذلك الحصول على جنسية الدول الاقليمية التى يقيمون بها ،ولقد ترتب على هذا القرار انه صار لا يوجد هناك من الآن فصاعدا فى المانيا مواطنون او امراء تربطهم آية روابط مباشرة بالحكومة المركزية فكل هؤلاء من مواطنين وامراء قد حصلوا الآن على جنسية اقليمية • آضف الى هذا ان السويد قد إخرجت من المانيا بعد ان كانت تمتلك بها بوميرانيا ، ثم ان بروسيا قد اقتطعت اجزاء منها حتى انها فقدت نصف آراضيها •

وآحل نابليون محل الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة اتحاد الراين الذى تأسس فى ١٢ يوليو ١٨٠٧ ،وضم

اليه ١٦ أميرا من المانيا الغربية والجنوبية . ثم لم يلبث ان اتسع نطاق هذا الترتيب او هذه المجموعة السياسية فأصبح يشمل ٣٧ عضوا أى مايقارب جميع الدول الالمانية فيما عدا بروسيا والنمسا . ولقد حصل هذا الاتحاد على دستور تحددت فيه حقوق وواجبات الدول التى يتألف منها بالنسبة لبعضها بعضا ،فصار لهذه الدول مجلس او دايت يتولى توجيه الادارة المشتركة بينهما . غير ان هذا الدستور بقى دون تنفيذ ، لأن نابليون سمى نفسه حامى اتحاد الراين، فتركز فى يديه توجيه وادارة شؤون السياسة الخارجية من ناحية ،وتجنيد الجيوش من اهل الاتحاد الصالحين للخدمة العسكرية من ناحية آخرى . وعلى ذلك فان من المتعذر اعتبار اتحاد الراين دولة المانية تأسست فى هذه البلاد، وان كان الاتحاد ــ ولاشك ــ نوعا من التكتل الذى حصل فى المانيا ،والذى يعتبر من وجهة النظر هذه اجراء " جديدا " بالنسبة لحالة التشتت والتفكك التى كانت سائدة فى المانيا قبل انشائه .

وبالرغم من ان نابليون لم تكن لديه أية فكرة عن خلق قومية المانية ،فان العمل الذى أتمه فى المانيا قد أدى الى تكوين القومية الالمانية ،وخلق شعور قومى المانى . فالتركيز الاقليمى الذى أنقص عدد الدويلات الالمانية من ٣٦٠ الى ٣٨ فقط كان اجراء لايمكن الرجوع فيه ،

وخطوة اتخذت بصورة نهائية ،ويتعذر بعدها اطلاقا عـــودة المانيا الى ذلك التشتت ،وتلك التجزئة التى كانت عليهـا فى الازمان السالفة ،ولن تكون بألمانيا بعدئذ دولة كنسية او مدن حرة . ففى المانيا النابليونية لم يكن يوجد بهـا من الدويلات الضئيلة (اى اقل من خمسة آلاف نسمة) ســوى ثلاث فقط ،نجت لاسباب شخصية ،أى لارتباطها بأشقاء نابليـون ومـــن ناحيـــة أخرى فان هذه التعديلات التى أدخلها نابليون فى المانيا جعلت التمهيد لوحـــدة البلاد ممكنا ،و تفسير ذلك ان هدم الاستقرار السياســى والاقليمى هدم الروابط التاريخية التى فى وسعها تأييــد الشعور المحلى فى الحكومات المختلفة ،جعل هذه الـــروح المحلية شيئا مشروعا فى آخر الامر فى المانيا . فقضى هدم الاستقرار الاقليمى و السياسى على كل هذه التقاليد التاريخية الموضعية والقوميات او الوطنيات المحلية التى كانــت تستند عليها . و من نتائج هذه السياسة انها استأصلت شأفة قسم من الطبقة النبيلة الالمانية من بارونات الامبراطورية والفرسان . وكان هؤلاء تابعين للامبراطور مباشرة . أمـــا الان فليس لهم قومية ممكنة الا الالمانية بعد ان انتزعـت اراضيهم منهم . ولذا فان هذه الطبقة النبيلة التى رفعت عنها تبعية الامبراطورية الجرمانية ،لم يعد لها حيـــاة سياسيـــة .

وعلى آية حال أضرت الاصلاحات الفرنسية بكثير من المصالح مثل مصالح بارونات وفرسان الامبراطورية المباشرين. وهناك كثير من الضباط و الموظفين الذين سرحتهم الحكومات أثناء تنظيم الادارة تحت الحماية الفرنسية . يضاف الى ذلك قلق الشباب الذين رأوا الوظائف مغلقة ابوابها فى وجوههم بعد ان كانوا يأملون باشغالها ،وثقل الاحتلال الفرنسى ،وضرائبه و مصادراته المختلفة . وامام كل هذا استيقظت عاطفة الحقد الوطنى اما من نفسها تلقائيا ، او تحت تأثير هذه المنافع المتضررة . ولذلك قاوم الالمان الحكم الفرنسى ،و لكن يجب الا نرى فى هذه الحركات شيئا عظيما او شيئا قوميا . ومع ذلك فان حركة المقاومة لم تتغلغل بالدرجة الكافية ليتأثر بها المجتمع الالمانى بأكمعه ،ولم تكن عامة فى كل انحاء المانيا ،ولايجب لذلك المغالاة فى تقدير قيمتها . ووقفت الحكومات الالمانية موقفا فى غاية التحفظ ،ولم تشأ هذه الحكومات الوقوف ضد نابليون الا فى عام ١٨١٣ ،أى بعد ان تأكد لديها ان سقوط نابليون وهزيمته قد صار أمرا محققا . وعلى آية حال فان حركة المقاومة لم تتغلغل بالدرجة الكافية ليتأثر بها المجتمع الالمانى بأجمعه ،ولم تكن عامة فى كل انحاء المانيا ،ولايجب لذلك المغالاة فى تقدير قيمتها . ووقفت الحكومات الالمانية موقفا فى غاية التحفظ ،ولم تشأ هذه

الحكومات الوقوف ضد نابليون الا فى عام ١٨١٣ ،أى بعد آن تأكد لديها ان سقوط نابليون و هزيمته قد صار آمرا محققا وعلى اية حال فان حركة المقاومة او الثورة لم تمتد الى المانيا الغربية ،بل بقيت لا تتعدى المانيا الشرقية والشمالية . وهكذا لم تكن هذه الحركة ـ كما اشرنا ـ ثورة عارمة عمت المانيا بأسرها ضد السيطرة الفرنسية ،ولو انه مما لاشك فيه ان المانيا فى مجموعها قد قامت بالثورة فعلا ،مدفوعة بعاطفة او شعور الكراهية الشديدة ضد فرنسا . ولقد كان على اساس هذه الكراهية لفرنسا وللاحتلال الفرنسى فى البلاد ان ارتكزت نهائيا وبصورة حاسمة العاطفة او الشعور القومى فى المانيا .

و بعد عام ١٨١٥ تمت تصفية الجماعة الوطنية فى المانيا التى كانت قد نشأت منذ عام ١٨١٣ لمقاومة السيطرة الفرنسية النابليونية و خوض غمار الحرب لتحرير المانيا . وهناك اسباب عدة لتصفية هذه الجماعة الوطنية ، لعل اهمها الشعور بخيبة الامل عندما صدم الوطنيون فى معاهدات الصلح التى أنهت الصراع فى اوروبا ضد نابليون وأخرجت فرنسا من الحرب بشروط افضل كثيرا مما كان ينبغى . وفسر الوطنيون الالمان كل الذى حدث لبلادهم بأنها كانت ضعيف لدرجة اغراء الغير بها ،فلو ان المانيا

كانت دولة موحدة ،بدلا من كل تلك الامارات والدويلات المتفرقة ،لسارت الاحداث فى طريق آخر . وثمة خيبة أمل كبيرة اخرى هى ان الوطنيين الالمان لم يظفروا باعادة الامبراطورية الالمانية . لقد كان حلمهم الكبير ان تتأسس وحدة بالمانيا مرة ثانية ـ باعتبار ان هذه الوحدة كانت موجودة فى القرن العاشر الميلادى فى عهد الامبراطور اوتو الاول Otto I و عقد الوطنيون الالمان آمالا كبيرة على انشاء هذه الوحدة بعد الحروب النابليونية .

على ان الذى حدث فى تسويات الصلح فى فينا ،لم يكن ما أراده هؤلاء الوطنيون الالمان ،فتعذر تأسيس الامبراطورية الالمانية من جديد عندما لم تشأ النمسا ان يكون تاج الامبراطورية الالمانى من نصيبها ،ورفضت بروسيا ان تقيم سلطة أعلى تدين لها المملكة البروسية بالطاعة ،ووجد المؤتمر لذلك انه بدلا من اعادة تأسيس الوحدة اوالامبراطورية الالمانية ،قد اخرج الى عالم الوجود ذلك الاتحاد الالمانى الكونفدرالى ـ الذى لم يكن حتى دولة اتحادية فدرائية بل انشأ نوعا من الدولة المتوازنة ،اى التى تقوم فى الاعتبار الاول على توزيع القوى بين وحدات سياسية متعددة بها بصورة تحفظ التوازن بين هذه القوى المجزاة جميعها ، وذلك لضمان ان يسود السلم المانيا فلا تكون مصدر أخطار

على جيرانها فى اوروبا . ولقد ساد السلم حقيقة المانيـا، فلم تكن فى السنوات التالية ،حتى منتصف القرن التاسع عشر مصدر اخطار على حيرانها ،ولكن السبب الرئيسي فى ذلك كان الجمود الذى أصاب المانيا،و عدم الحركة الذى أفقدهـا نشاطها عقب تسويات الصلح فى فينا. وازاء هذا الفشـل فى اعادة الوحدة الامبراطورية الالمانية ،لم يحرك سـواد الشعب الالمانى ساكنا،ذلك بأن المحلية او الاقليمية،كانـت لاتزال متسلطة على افكار الناس عموما ،ولاتزال الشعـوب متعلقة بحكامها وأمرائها القدامى فى شتى الدويـلات والامارات التى تألفت منها المانيا.

وشغل الالمان بصعوبات الحياة المادية عقب الحـرب و نفذت قوى المانيا بعد انظلت ساحة قتال خلال سنـوات يضاف الى ذلك رداءة المحصول عام ١٨١٦ ،والمجاعة فى شتـاء وربيع ١٨١٧ ،وعصابات المتسولين التى تجوب البلاد.والاضـرار التى لحقت بالصناعة الالمانية بعد أن أغرقتها المنتجـات الصناعية الانجليزية ،ولم تستطع بين منتجاتها بسبـب التعرفة الجمركية العالية التى وضعتها فرنسا على الحدود من جهة روسيا من جهة آخرى . وهذه الاوضاع القهرية جعلـت البورجوازييـن و الفلاحين يفكرون فى حالتهم الماديـة دون ان يسموا بأنظارهم الى اعلى من ذلك . كما تبـددت آمال الوطنيين الالمان عندما لم يظفروا بالحرية الداخليـة

التى أرادوها و التى بذل المسؤولون فى بروسيا مثل شتين وفردريك وليم الوعود بتحقيقها فى النداءات العديدة التى وجهها هؤلاء للشعب اثناء النضال ضد نابليون و السيطرة الفرنسية . و كانت أقرب الوعود التى نادى بها فردريك وليم الثالث فى عام١٨١٥ عندما منح شعبه بالدستور، ومع ذلك فقد شك فى ذلك بعض الوطنيين الالمان .

ومع ذلك فقد أمكن ان تعيش الحركة القومية بين شباب الجماعات . فلقد كان من بين الطلاب ان جاءت العناصر الوطنية الاولى ، التى حملت السلاح فى عام ١٨١٣ وبين شباب الجامعات هؤلاء أمكن الاحتفاظ بروح النضال القديمة . وكان لهم زعماء يعتمدون عليهم مثل الضابط القديم جاهن Jahn فقد جعل نفسه داعيا للتربية البدنية وألف فى المانيا جمعيات رياضية بعد ان تعلم أصول هذه التربية فى الدانمرك ،وكان يكره كل ماهو فرنسى ،أو يمت بصلة لفرنسا وكانت هذه الشبيبه التى التفت حول جاهن تظهر عواطفها بخفة وطفولة ،ومن العبث ان نقول انه كان لديهم اى نظرية فى السياسة . ان كل مايريدونه هو تأمين عظمة المانيا بتحريرها من كل نفوذ اجنبى . على ان نوعا من عمليات التطهير لم يلبث ان حدث فى هذا الوسط الشديد الغليان تحت نفوذ المؤرخ لودن (Luden) أحد اساتذة جامعة يينا . وبفضل هذا الاستاذ تشكلت رابطة طلاب غرضها تخليص

الطلاب من النقابات القديمة التى يرجع عهدها الى العصر الوسيط وجمعهم فى اتحاد يسمى برشنشافت(Burchenschaft) أى اتحاد الرفقاء تسوده روح أسمى او اكثر وطنية وقومية . وقد اتخذ هؤلاء الطلاب العلم المثلث الالوان : الاسود والاحمر والذهبى . و كانوا طلابا جديين مخلصين و فى الغالب أتقياء ،و نظموا فروعا لاتحاد البرشنشافت فى جميع الجامعات او على الاقل فى مختلف انحاء المانيا . وفى مايو ١٨١٨ اجتمع مندوبون من اربع عشر جامعة لتأليف اتحاد المانى للبرشنشافت .

و فى هذا الوسط الجامعى وجدت جامعة قوية بروحها وهى جامعة جيسين (Giessen) الصغيرة فى امارة هس ـ كاسل و قد وجد فيها جمهورى راديكالى له مذهب خاص ويعتبر مبشرا بالقضاء على الظلم والطغيان، ويسمى كارل فولن (Follon) التف حوله الطلاب وتبعوه فى مذهبه وأطلقوا على انفسهم المتصلبين الذين لايقبلون اتفاقا أو تفاهما . وأثارتهم فصاحة كارل فولن فكانوا شعلة نار يتقدون حماسة واندفاعا و تطرفا . وشعر هؤلاء الشبان بالكراهية الشديدة للشاعر والروائى كوتزبيو Cotzebue صديق القيصر ،والذى كان يبعث اليه بتقرير كل شهر عن التيارات الفكرية والحوادث فى المانيا .

وأقام كوتزبيو دعوى على فولن الامر الذى أثار حفيظة الطلاب و سخطهم لدرجة ان أحد هؤلاء قتله فى مارس ١٨١٩ ٠ ولقد أثارمقتل كوتزبيو عاصفة من الشعور الجامح،و على ذلك اقترحت ساكس فايمر وبروسيا ان يتخذ الدايت المنعقد فى فرانكفورت الاجراءات الكفيلة بوقف هذه الحركات فى الجامعات ،وقابل ملك بروسيا فردريك وليم الثالث ،مترنيخ، ثم اجتمع فى كارلسباد برياسة مترنيخ ممثلو تسع حكومات واتخذوا طائفة من القرارات الرجعية سميت بمرسومات كارلسباد أجازها دايت الاتحاد الالمانى فى فرانكفورت فى ٢٠ سبتمبر ١٨١٩ ٠ فألغيت جمعيات او اتحادات الطلبة ،وحلت جمعيات البرشنشافت ،وأنشئت فى كل جامعة لجنة لم تكن مهمتها مقصورة وحسب على مراقبة نشاط الاساتذة و محاضراتهم،بل كان من حق اللجنة ابطال محاضرات الاساتذة و ابعاد هؤلاء عند الضرورة من الكليات التى يعملون بها ٠ و خضع الطلاب لنفس الرقابة ،وزيادة على ذلك ،فقد أنشئت الرقابة على الصحف لمدة خمس سنوات و أقيمت لجنة تحقيق فى ماينز للبحث عن اصول الحركات الثورية و مبلغ نشاطها،فألقى القبض فى بروسيا مثلا على عدد كبير من الطلاب ،ووقعت عليهم عقوبة السجن مددا تتراوح بين اثنتي عشرة و خمس عشرة سنة ٠

على ان كل تلك المحاولات لكتم صوت المطالبة بالحرية والوحدة الالمانية ،لم تمنع كثيرا من الامارات الالمانية من اصدار دساتير لها فى الاعوام ١٨١٤ — ١٨١٩،و بمقتضاها اصبح لكل امارة ممن اخذت بذلك النظام برلمان محلى يتكون من مجلسين ؛ مجلس للاشراف ،و مجلس للعامة . وبدأت رغبة الجماهير الالمانية فى الاتحاد تظهر فى الاغانى و الحفلات العامة ،الا انها لم تكن اكثر من مشاعر لم تنظم على وجه يسمح للوحدة بالتحقق . ذلك ان الامارات سارت كل فى طريقها لها عملتها الخاصة وموازينها ومقاييسها مما حد من الوحدة الاقتصادية بينها . بيد ان الادارة البروسية كانت صاحبة الفضل فى خلق او صنع ذلك الاتحاد الجمركى الذى انتهى الامر بامتداده حتى شمل القسم الاعظم من المانيا و نعنى بذلك الزولفرين Zollverein الذى كان له اكبرالاثر فى صنع الاتحاد الالمانى فى النهاية . وكان فردريك ليست (١٧٨٩ — ١٨٤٦) أستاذ الاقتصاد السياسى بجامعة توبنجن قد روج لفكرة انشاء اتحاد كونفدرالى لازالة الحواجز الجمركية بين مختلف الامارات الالمانية ووضع تعريفه موحدة ، وانشاء الوحدة الاقتصادية . على ان مشروعات فردريك ليست كان يغلب عليها الخيال . وكان فردريك نبينوس وزير مالية بادن ،صاحب فضل فى قيام الزولفرين . والحقيقة فى رأى الكثيرين ،ان الزولفرين لم يكن فى فكرته الاساسية

وبالطريقة التى تم صنعه بها من خلق فردريك ليست أو كارل بنينوس ،فقد كان كلاهما يدين بوجهة نظر المانية و ليس بوجهة نظر بروسية ،بل ان مشروعاتهما كانت ترتيبات مبعثها المعارضة ضد بروسيا ،وكرد فعل لنشاط بروسيا ومحاولاتها من اجل اصلاح نظمها الجمركية .

و الجدير بالذكر ان الزولفرين كان اجراء اقتصاديا، وليس عملا سياسيا ،ولم يكن من صنع رجال السياسة القوميين، بل كان من تنفيذ الاداريين البروسيين : فون ماسن (Maassen) من رجال الاقتصاد المعدودين ،ومن انصار حرية التجارة ،ثم فون موتز(Motz) و الذى يعنينا على وجه الخصوص فى تاريخ الزولفرين ،هو معرفة الصلة بين هذا الاتحاد الجمركى و فكرة القومية الالمانية ومما تجدر ملاحظته فى هذه المسألة اولا ان الزولفرين لم يكن يشمل كل المانيا ،بل بقيت خارجة عن هذا الاتحاد الجمركى ثلاث عشرة دولة كانت على نوعين مختلفين ،أنشأت جماعة منها نوعا من الاتحاد الجمركى كذلك عرف باسم ستورفرين (Steuerverein) أى الاتحاد الضريبى و تكون من خمس دول . أما بقية الدول الثمان فقد احتفظت بوضعها المستقل عن كلا الاتحادين : الزولفرين والستورفرين . وفيما يتعلق بالدول او الحكومات التى

تتألف منها الزولفرين فمع انه كان يربط بينها جميعا الاتحاد الجمركى ،فقد احتفظت كل منها بأنظمتها الخاصة فى مسائل الضرائب غير المباشرة و الموازين و المقاييس والعملة المتداولة ،والمكوس الداخلية ،وغير ذلك، و هكذا لم يكن يتشكل من كل المانيا و لامن الزولفرين نفسه مايمكن تسميته من وجهه النظر الاقتصادية و التجارية، بدولة موحدة ،كما لم يظهر الزولفرين الى عالم الوجود نتيجة لحركة مبعثها يقظة الشعور او الضمير العام الالمانى الى الحاجة له .

وثمة مسألة اخرى يجب مناقشتها ،هى تحديد الاثر الذى كان للزولفرين فى انشاء وحدة المانيا السياسية . فمن الآراء المسلم بها عند جمهرة الكتاب والمؤرخين ان الزولفرين قد مهد للوحدة الالمانية ،وان الالمان منذ ان تسنى لهم تحقيق هذا الاتحاد الجمركى قد بدأوا يعملون لتأسيس وحدتهم السياسية . حقيقة ان عددا من الالمان عقدوا آمالا كبيرة على الاتحاد الجمركى كوسيلة مؤدية للاتحاد السياسى ولكن النتائج السياسية التى انجلى عنها الزولفرين من ناحية صنع و اتمام الوحدة الالمانية ،فقد اقتضى مرور زمن طويل قبل تحققها ،حيث انه كان فى عام ١٨٦٧ فقط ،اى بعد مضى ثلاثين سنة ونيف ،ان تأسس الاتحاد الالمانى الكونفدرالى الجديد بزعامة بروسيا . و خلال

هذه السنوات الثلاثين لم يخمد الزولفرين شعور الاقليمية أو المحلية . ولم يكن للزولفرين اى أثر ايجابى فى ثورة ١٨٤٨ ،ثم ان الزولفرين لم يستطع منع الدول الالمانية فى عام ١٨٦٦ من اعلان انضمامها الى النمسا فى الحرب الدائرة بين هذه الاخيرة وبين بروسيا ،والانحياز الى جانب النمسا ضد بروسيا و تلك جميعها حقائق تنهض دليلا فى نظر الكثيرين على ان الزولفرين لم يمهد للوحدة السياسية فى المانيا ،ولم يكن الأداة التى جعلت المانيا تسير مسرعة فى طريقها. وذلك مثلما لم يكن آملا الزولفرين فى الوقت نفسه منشىء الحركة القومية الالمانية اووليدها.

وكان لثورة عام ١٨٣٠ فى فرنسا صدى فى الولايات الالمانية المختلفة . ولكن تبين من احداث هذه الثورة ان الشعب الالمانى كانت تعوزه التربية السياسية ،و ان الروح القومية كانت محدودة وضئيلة الاهمية . فلم تعد هذه الثورة مجرد القيام بمظاهرات ذات صخب وضوضاء و حسبه ولم تكن ترقى بحال حتى الى مرتبة محاولة ثورية على خلاف ماشهدناه تماما فى ثورات عام ١٨٣٠ التى حدثت فى ايطاليا ومما يجدر ذكره ان الاقاليم البروسية بقيت ساكنة هادئة، بالرغم من كل هذه الاضطرابات المنتشرة فى انحاء المانيا. وعلى اية حال كانت الفكرة الحرة فى ثورة ١٨٣٠ تفوق كثيرا الفكرة القومية وتعلو عليها . ويؤيد هذا القول

ان كارل فون روتيك زعيم الاحرار فى جنوب المانيا ،ذكر فى خطاب له فى عام ١٨٣٢ انه منحاز لوحدة المانيا ويرجوها ويريدها ويتمناها ،ويطالب بها ويصر عليها،لان الوحدة وحدها فقط فى حقل الشؤون او العلاقات الخارجية هى التى تجعل من المانيا دولة قوية توحى بالاحترام،ولأن الوحدة وحدها فقط هى التى تمنع عن المانيا وقاحة الاجانب (أى الدولة الاجنبية) و تحول دون اعتداءاتهم على حقوق الالمان القومية " او الاهلية " ٠ وواضح ان روتيك كان فى تفكيره يربط ربطا وثيقا بين مطلب الوحدة الالمانية وبين عظمة المانيا الخارجية اكثر مما كان يدعو لحصول تغيير جوهرى يشمل بلاده ٠ ولقد استمر روتيك يقول:" انى اريد الوحدة ،ولكن على ان تتم هذه الوحدة مقترنة بالحرية ،بل انى آوثر كثيرا الحرية بدون الوحدة ،على مجرد الظفر بالوحدة من غير الحرية " ٠ ومن ناحية اخرى تنكرت حركة الاحرار هذه لبروسيا الرجعية و آدارت لها ظهرها بصورة ظاهرة مقصودة ٠ وكانت نتيجة حركة الاحرار هذه وثورة ١٨٣٠ انتصار الرجعية ودعم آركان الحكم التعسفى ٠ وساد الركود المانيا ،و خيم عليها الفتور سريعا ،واستطال هذا الخمول عدة سنوات ،ثم تنفض المانيا عنها هذا الركود الاعشية عام ١٨٤٨٠ فبقيت المانيا حتى عام ١٨٤٧ تخضع لنفس النظام ،وتسود بها الحال التى كانت عليها فى عام ١٨١٥٠

تولى فردريك وليم الرابع (١٨٤٠ - ١٨٦١) عرش بروسيا عام ١٨٤٠ بسلسلة من الاجراءات التحررية فأطلق سراح كثير من المسجونين السياسيين وأعضاء جمعيات شبان المانيا وبدأ الفرنسيون فى تلك الآونة يفكرون فى استعادة الاراضى الالمانية على مسار نهر الراين ،مما أثار مشاعر الالمان نحو قوميتهم ،وتعالت الصيحات بحرية المانيا،الا ان فردريك وليم الرابع لم يكن مستعدا لسماع صوت الشعب على حقيقته، فدعا عام ١٨٤٧ الى اجتماع فى برلين حضره ممثلو الطبقات فى المقاطعات البروسية الثمانية ،وهم ممثلوا الاشراف و كبار الملاك و المدن ،وغلبت على الاجتماع روح تحررية الا ان الاقلية المحافظة وقفت فى صف الملك . ولما رفض ذلك البرلمان الموافقة على جمع الاموال اللازمة للملك لبناء خطوط جديدة من السكك الجديدية ثارت ثائر الملك وإرجعهم من حيث أتوا ،وأثار هذا التصرف من الملك روح الاستياء بين الناس وعمت المظاهرات والاشتباكات برلين مما اضطر الملك الى الاستجابة لمطالب الشعب . فوعد الملك شعبه فى مارس ١٨٤٨ بالدستور و الحياة النيابية فى بروسيا مع الغاء الرقابة على الصحف . حدث ذلك الوعد يوم ١٧ مارس ١٨٤٨ وتجمعت جموع الشعب امام قصر الملك فى برلين محيية ولكن سوء تفاهم وقع بين الجنود والعامة و ادى الى اشتباكات دموية ،دافع فيها العمال والطلبة

والمواطنون عن أنفسهم وهم عزل دفاعا مجيدا وسقط ١٨٣ شهيدا وسحب الملك جيشه ازاء تأزم الموقف وسيطرت لحنة دفاع من الشعب على الموقف فى برلين و خرج الملك البروسى يوم ٢١ مارس ١٨٤٨ فى موكب شعبى يرفع الاعلام السوداء الحمراء الذهبية بألوانها الثلاثة شارة الوحدة الالمانية و خطب الملك فى الجماهير معلنا ان هدفه هو حرية المانيا ووجدتها .

وعلى اثر انتصار الثورة فى برلين افتتح الملك يوم ٢٢ مايو ١٨٤٨ الجمعية الوطنية المنتخبة التى كان عليها ان تعد دستورا للبلاد . وكانت الاغلبية بها للاعضاء الديمقراطيين ولكن الملك بعد ان هدأ الموقف وتأكد من وقوف الجيش الى جواره أهمل تلك الحمعية الوطنية ،ثم حلها وأعطى البلاد دستورا حسب مشيئته وأعطى للمحافظين كل السلطة و ظل هذا الدستور المفروض قائما حتى نهاية الحرب العالمية الاولى برغم انه قد رفض من أغلب الجهات على انه كان خطوة وشيء خير من لاشيء . لقد أقر ذلك الدستور برلمان من مجلسين : المحلس الاول وهو مجلس السادة ويتكون من ممثلى الامراء و كبار الملاك وممثلى المدن والجامعات من المؤيدين للملك ،والثانى و هو مجلس النواب ينتخب اعضاؤه على مرحلتين . وقسم الناخبون فى كل اقليم الى ثلاثة اقسام حسب مايدفعونه من الضرائب ،فكان

القسم الاول يضم الاثرياء وكان القسم الثانى يضم ذوى الدخل المتوسط ،و القسم الثالث الوفيرالعدد يضمالفقراء من دافعى الضرائب . و كان كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة يختار علنا عددا مساويا للقسمين الآخرين . ويجتمع الافراد المنتخبون من الاقسام الثلاثة ثم يختارون بالاقتراع السرى نواب المجلس .

فى يوم ٣١ مارس ١٨٤٨ اجتمع فى مدينة فرانكفورت ٦٠٠ شخص من مختلف طبقات الشعب ليضعوا اساسا لبناء المانيا من جديد . ولم يكن هؤلاء الاشخاص يمثلون الاتحاد الالمانى او مختارين من الامارات الالمانية او منتخبين بأية طريقة من الطرق . وكونوا فيمابينهم ماأسموه بالنبرلمان الموقت وقرروا اجراء انتخابات عامة للموتمر الوطنى التى كان عليها ان تضع دستورا لالمانيا . واعترفت الولايات الالمانية كلها بهذه القرارات . وأجريت الانتخابات واجتمع الموتمر الوطنى يوم ١٨ مايو ١٨٤٨ فى فرانكفورت ،وانتخب الموتمرون رئيسا ونائبا للرئيس ثم تقدموا فى مظاهرة ضخمة خلال المدينة الى كنيسة القديس باول وحيت الجماهير الاعضاء تحية رائعة ،ودقت الكنائس اجراسها وأطلقت المدفعية تحية لهم . وازدانت البيوت بأعلام الوحدة بألوانها الثلاث الاسود والاحمر والذهبى . وكان بين الاعضاء المنتخبين حوالى ٢٢٣ قانونيا و ١١٨ موظفا و ١٠٦ من رجال الجامعات

وعدد قليل من الفلاحين ولم يمثل العمال . وبرزت منذ المناقشات الاولى للمؤتمر اتجاهات ثلاث :

١) مجموعة من الاعضاء لاترى سحب الكثير من امتيازات وحقوق الامراء فى الاقاليم . ومثل هؤلاء المحافظون اتجاها يمينيا فى المؤتمر .

٢) مجموعة راديكالية مثلت اليسار ،وكانت ترغب فى دولة المانية بلا أمراء وبلا قيصر تحكمها حكومة ينتخبها الشعب ،أى جمهورية . وسمى هؤلاء بالديمقراطيين او المركزيين ،لانهم نادوا بدولة مركزية بلا أقاليم

٣) وكانت الغالبية ممثلة فى المجموعة الثالثة من الاحرار الذين رفضوا الحل الراديكالى الذى نادى به اليساريون . وكان أغلبهم يرغبون فى قيام دولة المانية اتحادية تكون للاقاليم فيها حقوقا و تمثل فى الحكومة الاتحادية ،وسمى هؤلاء بالاتحاديين او الفيدراليين . وكانوا يرون ان يقوم على رأس الدولة الاتحادية قيصر يحد من سلطانه برلمان منتخبه و مثل هؤلاء اتجاه الوسط و كانوا فعلا يجلسون فى وسط المجلس ،بينما كان المحافظون يجلسون الى يدين الرئيس ،و الراديكاليون يجلسون الى يساره .

وقرر المؤتمر قبل بحث مسألة الدستور وضع السلطة مؤقتا فى يد شخص يكون مايشبه الوزارة المؤقتة للرايخ

الالمانى ،واختير الدوق النمسوى يوحان . واعترفت الامارات الالمانية به ،ولكن بروسيا والنمسا عارضتا خضوع جيوشهما لسلطته وبدا للمجلس واضحا ان كلا من الدولتين لاترغب فى التنازل عن شىء من سلطاتها . وزاد من شكوكهنا ان النمسا نفذت حكم الاعدام فى بعض المطالبين بالحرية فى الثورات التى همت فينا قبل ذلك ببضع شهور . وتآمرت انجلترا وروسيا كذلك فى الخارج ضد بروسيا وأرغماها فى اغسطس ١٨٤٨ على عقد الصلح مع الدانمرك بشروط مجحفة واضطر المؤتمر القومى على التصديق على تلك الاتفاقية برغم آنفه لانه لم يكن يملك آية قوة يستطيع بها الصمود فى وجه انجلترا وروسيا .

واستمرت المناقشات عدة اشهر فى المؤتمر الوطنى واخيرا استقر رآى الاغلبية على ان تقوم فى المانيا كلها عدا النمسا ،لوجود اجناس مختلفة بها ،دولة اتحادية على رآسها قيصر وراثى ،وان يعهد بذلك لملك بروسيا فردريك وليم الرابع . وسافر ٣٢ عضوا ومعهم رئيس المؤتمر الى برلين ليقدموا تاج القيصرية الالمانية لفردريك وليم الرابع ملك بروسيا . وكانت المفاجآة التى حطمت اعمال المؤتمر وجهوده كلها ان ملك بروسيا فريدريك وليم الرابع رفض فى مارس ١٨٤٩ قبول التاج وذلك للاسباب التالية :

أولا : لانه جاء من قبل نواب الشعب ،لامن قبل الامراء أنفسهم .

ثانيا : لأن أمراء سكسونيا ورتمبرج وهانوفر رفضوا ان يعترفوا لامير مثلهم بالزعامة عليهم .

ثالثا : لان النمسا التى شغلتها حوادث عام ١٨٤٨ وصرفتها عن البحث فى شؤون المانيا بدأت تنهض من كبوتها وتدخل ميدان السياسة الالمانية من جديد بقيادة وزيرها المحنك شفارتزنبرج وتحتج على قرار اخراج النمسا من الاتحاد الالمانى وعلى اسناد الامبراطورية لبروسيا . ولما كانت النمسا قد عزمت على تأييد احتجاجها بالقوة ، وكانت بروسيا على غير استعداد لمقابلة القوة بمثلها ،فقد رفض ملكها قبول التاج . وعمت المظاهرات والاشتباكات أنحاء الدويلات الالمانية ولكن الامراء استطاعوا بالقوة وسفك الدماء تكميم الافواه ،بل ان روسيا أرسلت جيوشها لتقضى على الثورة فى بادن . وضاعت فرصة الوحدة الالمانية على الشعب الالمانى بسبب رفض فردريك وليم الرابع التاج . على ان ذلك المؤتمر الوطنى فى الواقع قد وضع الاساس الفعلى لكل ماقدر لالمانيا ان تشاهده فى السنوات المقبلة .

واذا كانت ثورة المانيا عام ١٨٤٨ قد فشلت فى تحقيق الوحدة الالمانية ، الا انها حققت بعض أهدافها فى الحرية والمشاركة الشعبية فى الحكم ولو بصورة جزئية . على ان الرغبة فى توحيد المانيا ظلت حية فى ضمير الشعب . و لقد حاول الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا بعد رفضه لتاج المانيا عام ١٨٤٨ أن يعمل بطريقته الخاصة فى سبيل تحقيق الوحدة الالمانية . لقد حاول عن طريق عقد اتفاقيات مع الامراء الالمان تأسيس دولة اتحادية ،لاتشمل النمسا ولكن تحوز موافقتها على ان تعقد تلك الدولة الاتحادية الالمانية معاهدة دائمة مع مملكة الدانوب النمسوية . ولكن شفارتزنبرج رئيس وزراء النمسا ،حارب فكرة قيام دولة المانية تحت زعامة بروسيا . وبرغم ذلك سار فردريك وليم الرابع فى تنفيذ مخططه ،على انه اضطر الى التخلى عن فكرته عندما هدد شفارتزنبرج بالحرب و خاصة بعد ان حصل على تأييد الروسيا له . كان شفارتزنبرج مصمما على اعادة البوند(Bund) القديم وتوكيد سيادة النمسا فى المانيا من جديد ،ولم يكن بوسعه ان يحقق هذه الغاية دون ان ينزل ببروسيا مهانة تخطف الابصار. ففى اواخر ١٨٥٠ أشعلت الاضطرابات التى قامت فى هس- كاسل (Hesse - Cassel) عود الثقاب فى برميل البارود . ولكن شفارتزنبرغ لم يكن ليرضى بأن تكسب بروسيا المزيد من

الهيبة باعادة النظام هناك . لقد عزم على ان تلعب النمسا ذلك الدور و تأهب لدخول هس ـ كاسل بجيش نمسوى قوامه ٢٠٠,٠٠٠ رجل . فأعلنت بروسيا التعبئة ردا على ذلك ، ووقع الصدام فعلا بين القوات البروسية والبافارية . لقد كان شفارتزنبرج يعتقد تماما فى قدرته عسكريا على كسر شوكة بروسيا بعكس فردريك وليم الرابع الذى كان يشك فى مقدرة جيشه . ولذلك قبل الشروط التى قدمها شفارتزنبرج فكانت اذلالا لا يعرف باسم اولمتز(Olmutz) فى ٢٨ نوفمبر ١٨٥٠ ،وتلخصت مطالب شفارتزنبرج فيمايلى:

أولا : عودة الدايت الالمانى القديم تحت زعامة النمسا .

ثانيا : تخلى بروسيا عن العصبة التى كونتها من الامراء الالمان تحت ادارتها .

ثالثا : قبول بروسيا عقد اجتماع للدول الاعضاء فى الاتحاد الالمانى الذى سيعهد اليه اعادة بناء ذلك الاتحاد .

و هكذا كانت المهانة المؤسفة التى حاقت ببروسيا فى اولمتز تمثل اسفل درك بلغته فى هاوية الجبن والاستسلام لقد أتيحت لبروسيا الفرصة كى تصبح الدولة الاولى فى المانيا ،واتيحت لملكها الفرصة لان يضع فوق راسه التاج الامبراطورى ،فكان كل مافعلته ان زادت الاغلال التى تقيد

المانيا و هى راقدة تحت اقدام شفارتزنبرج . وبدا ان مهانة اولمتز سوف تجعل الوحدة الالمانية أبعد منالا من أى وقت مضى وتجرد بروسيا نهائيا من أهليتها لحمل لواء هذه الوحدة . على ان بسمارك دافع عن تلك الاتفاقية قائلا انه لم يكن امام بروسيا من حل سواها وخاصة وهى على غير استعداد لخوض الحرب . وهكذا عاد الدايت (البوندستاج) الالمانى القديم للانعقاد وأرسلت بروسيا مندوبا عنها اليه فى فرانكفورت ،وكان أول مندوب لها هو اوتو فون بشمارك (Prince Otto von Bismarck).

كان بسمارك ينتسب الى عائلة من الاشراف ،و كان أبوه ضابطا بالجيش ولكنه تقاعد لخلاف بينه وبين الملك،و مضى الى ضيعته فى شينهاوزن يصرف شؤونها . أما أمه فتنتسب لعائلة من المتعلمين المشتغلين بوظائف الدولة ،و عنها ورث حب الادب . و تلقى بسمارك تعليمه الثانوى فى برلين، ثم درس القانون فى جوتنجن وبرلين ،ثم دخل فى خدمة الدولة البروسية . ولكنه لم يلبث ان مل الوظيفة وعاد ليرعى أملاك الاسرة فى بوميرانيا ،حيث عكف على القراءة الطويلة الخروج للصيد . وبدأ بسمارك حياته السياسية كعضو فى البرلمان المحلى لبروسيا ،ثم اختاره الملك فردريك وليم الرابع مندوبا عن بروسيا فى البوند ستاج الالمانى المنعقد

فى فرانكفورت عام ١٨٥١ . وكان رضاء الملك عنه منبعثا من آرائه المحافظة والمؤيدة لحقوق الملك ضد المنادين بتمثيل الشعب فى الحكم . وفى فرانكفورت أيقن بسمارك من جلسات البوند ستاج الذى ترأسه مندوب النمسا، ان المشكلة الالمانية لن تحل بسهولة وانه لابد من استخدام القوة . لقد أيقن ان الاتفاق مستحيل بين النمسا وبروسيا،وتأكدت نظرة بسمارك للامور بعد عمله سفيرا لبلاده فى بطرسبرج بروسيا ثم فى باريس .

وفى عام ١٨٥٨ اضطر فردريك وليم الرابع الى التنازل عن عرش بروسيا بسبب مرض عقلى ألم به ،وأخذ أخوه وليم الوصاية على العرش . ولم يكن وليم محبوبا من جماهير الشعب فى بروسيا ،لان البرلينيين رأو فيه المحرض ضد مظاهرات ١٨٤٨ و المتسبب الاول فى مصرع الشهداء آنذاك، مما اضطره حينئذ للهرب الى انجلترا . على ان تلك السنوات التى مضت قد اظهرته كما لو كان قد اصبح اكثر ايمانا بالمبادىء التحررية السائدة . وكان اسناده الوزارة عند تولية الوصاية لوزراء من الاحرار خير دليل على بداية عهد جديد . و كان ذلك الوصى الكهل جنديا بمعنى الكلمة ، يحرص على تقوية الجيش البروسى كل الحرص حتى لاتتعرض كرامة بروسيا للمهانة مرة أخرى . وبدأ الوصى ووزير الحرب رون (Roon) يعدان مشروعا لاصلاح الجيش ،تكون مدة الخدمة

بمقتضاه لكل الشبان الصالحين للخدمة ثلاث سنوات بدلا من سنتين ،مع زيادة الاعتمادات المالية للجيش لتتمكن الدولة من تجنيد كل الشبان الصالحين للخدمة بدلا من تجنيدها لحوالى ٦٠ ٪ من العدد المتقدم لضآلة الاعتمادات المالية المخصصة لهذا الغرض . ووافق مجلس النواب البروسيى حيث الاغلبية للاقرار على المشروع اجمالا ،ولكنه طالب بتخفض مدة الخدمة الى سنتين فقط توفيرا للمصروفات . وتأزم الموقف بين المجلس و الوصى ووزير حربيته و أصر كل من الجانبين على رأيه معتبرا كلمته هى الفاصلة فى هذا الموضوع. ومات فردريك وليم الرابع و أصبح وليم الوصى ملكا باسم وليم الاول عام ١٨٦١.

وسارع وليم الاول بحل مجلس النواب المعارض له، ولكن الانتخابات أتت بمجلس عدد النواب الاحرار فيه اكثر من المجلس المنحل . ولم يكن المجلس الجديد بأقل صلابة من المجلس القديم فيما يتعلق بموضوع الجيش و مدة الخدمة . ولم يجد الملك امامه وسيلة لحل ذلك الاشكال وقرر التنازل من العرش ،وهنا نصحه رون وزير حربيته باستدعاء بسمارك سفير بروسيا فى باريس ليتولى رئاسة الوزراء ،وليتمكن بما عرف عنه من كياسة من ايجاد حل للموقف . واستدعى بسمارك فى سبتمبر ١٨٦٢ وكلفه برئاسة الوزارة البروسية و محاولة حل المشكلة . واستطاع بسمارك

ان يكسب عددا من الانصار من أعضاء المجلس النيابى ،بل انه بدأ بالاتصال بفردينانند لاسال مؤسس الاتحاد العام لعمال المانيا ،و بدا كما لو كان بسمارك قد بدأ يميل للتعاون مع العناصر الاشتراكية . على ان تلك الاتصالات لم تؤد الى نتيجة و ان كانت قد حدت من الموجة المعادية لبسمارك الذى سار فى طريقه بحزم وصلابة فوفر النقود اللازمة لاصلاح الجيش دون الحصول على موافقة البرلمان او الاكتراث به ،واحتفظ بوجهة نظره بأن الجيش فى بروسيا أمر مقدس يجب الا يخضع لاى سيطرة برلمانية .

مشكلة شلزفيج وهولشتين والحرب البروسية ـ النمسوية :

وزادت سياسة بسمارك من شكوك الاحرار فى مسلكه ،ذلك ان اتحاد ايطاليا قوى من رغبة الشعب البولندى فى قيام دولة له ،وثار البولنديون ضد روسيا عام ١٨٦٣ و تدخلت انجلترا وفرنسا فى الموقف ودعتا لعقد مؤتمر لحل المشكلة البولندية . ولكن بسمارك رفض ذلك الاقتراح و أيد روسيا فى موقفها حين أسرعت وقمعت الثورة البولندية بعنف، وهكذا كسب بسمارك صداقة روسيا فى وقت وقفت فيه أغلب الدول الاوروبية ضدها. وظهر بسمارك مرة أخرى كرجل محافظ عدو للحريات ، الى ان برزت مشكلة دوقيتى سلزفيج وهولشتين (Schleswig - Holstein). كانت شلزفيج دوقية يغلب فيها العنصر الدانمركى وهو لشتين دوقة

كثرتها من الالمان ،وكان ملوك الدانمرك يحكمونهما منذ عام ١٤٩٠ ،لكنهما لم تكونا تؤلفان جزءاً من مملكة الدانمرك وانتهزت الدانمرك فرصة الثورة الالمانية عام ١٨٤٨ وقررت ضم شلزفيج اليها . وأعلن الاتحاد الالمانى الحرب على الدانوب و كلف بروسيا بذلك . و تدخلت انجلترا و فرنسا و أجبرتا بروسيا على قبول الصلح ,ووضعت شلزفيج موضع النزاع تحت ادارة هيئة بروسية - دانمركية. و فى عام ١٨٥٢ عقد مؤتمر فى لندن ضم بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا، وتقرر فى هذا المؤتمر وضع شلزفيج و هولشتين فى اتحاد شخصى مع الدانمرك بشرط الا تضمهما لدولتها ،ولقد نصت تلك المعاهدة على ان يخلف ملك الدانمرك الحالى - الذى لم ينجب وريثا - زوج ابنة شقيقه كريستيان أمير جلوكسمبرج Christian Prince of Glucksburg ،وذلك فى جميع ممتلكاته كما هى ،على ان هذه الممتلكات تشمل الدوقيتين . ونصت مادة آخرى على أن المعاهدة لا تؤثر بحال فى علاقة هولشتين بالاتحاد الالمانى . ولكن دايت فرانكفورت رفض اقرارها بوصفه الجهاز " الناطق بلسان" الاتحاد الالمانى كما رفضها فردريك أوف اجستنبرج Frederick of Augustenburg المطالب الآخر بعرش الدانمرك .

ولم تراع الدانمرك شروط معاهدة لندن ،فعندما تولى الملك الجديد كريستيان التاسع العرش الدانمركى فى عام ١٨٦٣

كان من أول أعماله التصديق على الترتيبات التى اتخذهـا سلفه لاصدار دستور جديد يوحد ممتلكاته متجاهلا الاستقلال الذاتى التقليدى للدوقيتين . وقد كانت عضوية هولشتين فى الاتحاد الالمانى من العوامل التى أدت الى النتائج المشئومة لهذا الاجراء . فقد زود المانيا التى كانت حساسه بصفة خاصة لما يحدث فى الدوقيتين بالسبب الذى تحتاجه لاشعال الحرب . فكان أن أعلن فردريك أوف اوجستنبرج مطالبته بعرش الدانمرك، وأيده فى ذلك دايت فرانكفورت . وقرر الدايت تدعيم قراره بالقوات الهزيلة التى كانت تحت امرته ولعل الدانمرك كانت تستطيع الصمود فى وجه هذه القوات لولا ان محاربين أشد بأسا قد دخلا الحلبة، ذلك ان بروسيا والنمسا ماكانتا لتقفان موقف المتفرج وتتركان هذه القرارات الكبرى بين يدى الدول الصغرى. واستطاع بسمارك اقناع النمسا بمشاركته فى الحرب ضد الدانمرك من اجل الدوقيتين . ورأت النمسا ألا تتأخر حتى لاتتهم باهمالها للمصالح الالمانية . وتقدمت جيوش النمسا وبروسيا وغزت الدوقيتين فى يناير ١٨٦٤. و نظرت اوروبا الى هذه الخطوة بعين الانزعاج والعطف العام على تلك الدولة الصغرى التى تعرضت لهجوم دولتين كبريين ،ولكن لم تكن هناك دولة بذاتها او مجموعة من الدول على استعداد للتدخل. فالنرويج والسويد جعلتا تتابعان الموقف بعين العطف على الدانمرك الا انهما لم تحركا ساكنا ،واستخدم بامستون عبارات يفهم

منها أن انجلترا لن تقف مكتوفة الايدى حيال غزو الدانمرك، ولكنه لم يتجاوز حد الكلام ،فعندما آن أوان الجد لم تؤيده المعارضة ولا الملكة وانقلبت عليه أغلبية أعضاء وزارته أما نابليون الثالث فكان مشغولا بالمسألة المكسيكية الشائكة ،ولم يكن فى تلك اللحظة على علاقة طيبة بانجلترا. ثم انه كان قد نصب نفسه مدافعا عن مبدأ القومية ،والاعذار كانت تلتمس للدولتين الالمانيتين باعتبار تصرفهما خطوة نحو الوحدة القومية الالمانية . وهكذا حالت أقواله وأفعاله بالنسبة لايطاليا دون تصديه لبروسيا والنمسا فى المانيا. ولم يبق اذن الا روسيا ،ولكن بسمارك كان قد ضمن حيادها بموقفه من الثورة البولندية .

ولما أصبحت هزيمة الدانمرك محققة دعى مؤتمر للانعقاد فى لندن،ولكن الشروط التى عرضها المنتصرون كانت أقسى من ان تسمح بتسوية الموقف ،فكان ان استمرت الحرب حتى تم طرد الحكومة الدانمركية من آراضيها الاصلية مما اضطرها الى قبول الشروط التى أملاها العدو الظافر،وهى شروط تثير الدهشة والعجب . فالمفروض ان بروسيا والنمسا كانتا تتصرفان بوصفهما منفذتين لمشيئة الاتحاد الالمانى ومصلحة فردريك أوف اوجستنبرج ،ولكن موكليهم خرجوا من الامر صفر اليدين،بينما استأثرتا هما بكل شىء. فقد أعلنت معاهدة الصلح التى تعجل

عقدها - بسمارك اذ كان آخشى مايخشاه دائما هو تدخل مؤتمر اوروبى - أعلنت تخلى ملك الدانمرك " عن جميع حقوقه على دوقيات شلزفيج وهولشتين ولاونبرج(Lauenburg)لصالح صاحبى الجلالة ملك بروسيا وامبراطور النمسا". لقد أغفل الاتحاد الالمانى اغفالا تاما،وأهملت مساعى انجلترا وفرنسا للتدخل فى التسوية،وعومل دوق اوجستنبرج الذى تدخلت بروسيا والنمسا نيابة عنه فيما بدا ،بازدراء تام . وقد أجرى فى برلين بحث فى الوضع القانونى لوراثة عرش الدانمرك،أعلن على أثره آن كريستيان التاسع هو الوريث الشرعى الوحيد للتاج الدانمركى والدوقيتين جميعا وأن له بناء على ذلك مطلق الحق فى التنازل عنهما فى المعاهدة. وهكذا لم يبق على النمسا وبروسيا ونظر كل من الشريكين منذ البداية الى الآخر بعين الريبة والعداء. فلم يحمل احتلالهما المشترك للدوقيتين بين طياته عنصر الدوام،ولن يلبث ان يؤدى قبل ان يمضى عليه عامان الى قيام حرب كبرى بينهما.

اشتركت النمسا وبروسيا فى حكم الدوقيات الثلاث ، ولكن النزاع مالبث ان دب بينهما ،وآبرمت بينهما اتفاقية جاشتين(Gastein Convention) فى ١٤ أغسطس ١٨٦٥ ،اتفقتا فيها على ان تحكم النمسا هولشتين ،وآن تحكم بروسيا شلزفيج ،وان تمنح دوقية لاونبرج الصغيرة لملك بروسيا. ولكن الخلافات القديمة بين النمسا وبروسيا لم تلبث

ان ظهرت من جديد • وكان بسمارك واثقا ان النمسا لن تتنازل أبدا عن الزعامة للامارات الالمانية ،ولهذا قرر ان يستخدم لغة القوة وان كان يفضل حل الموضوع سلميا • وساعدت الظروف الداخلية فى بروسيا على نشوب الحرب بين الدولتين ، اذ كان بسمارك يواجه متاعب داخلية نتيجة لمعارضة البرلمان لسياسته فكان لابد لبقائه فى الحكم ان يوجه انظار الالمان الى معركة خارجية • وقد وصفت تلك الحرب فى المانيا بأنها حرب تطلعت اليها الابصار قبل وقوعها ،لا لتحقيق توسع اقليمى،و انما لضمان " زعامة بروسيا فى المانيا " • هذا بالاضافة الى ان الموقف الدولى كان فى صالحه الى حد كبير• فلقد استغل تطلع ايطاليا الى ضم البندقية الخاضعة لحكم النمسا الى الحكومة الايطالية الجديدة ،ورأى كسب ايطاليا الى جانبه فى الصراع المرتقب بينه وبين النمسا ،فاتفق معها على الوقوف الى جانبها فى آى حرب تقع بينها وبين النمسا ،والاتعقد صلحا مع النمسا قبل ان تحصل ايطاليا على البندقية • كما استطاع بسمارك كذلك شراء حياد فرنسا فى مقابل بياريتز (Biarritz) •

قامت الحرب بين النمسا وبروسيا فى ١٤ يونيو عام١٨٦٦ وكانت سريعة وخاطفة ، انتهت بعد ثلاثة آسابيع من قيامها فى موقعة سادوفا (Sadova) ويسميها الالمان كونيجراتز (Koniggratz) فى ٣ يوليو عام١٨٦٦• ولم يكن

لتحالف الايطاليين أية فائدة سوى ازعامهم النمسويين على حجز قوات كبيرة العدد فى ايطاليا،بينما قواتهم قد انهزمت هزيمة منكرة فى موقعة كستوزا(Custozza) فى ٢٤ يوليو عام ١٨٦٦ أمام قوات النمسا،وكذلك انهزم الاسطول الايطالى أمام أسطول النمسا فى معركة ليزا (Lissa) ورغم انتصار قوات بروسيا لم ير بسمارك الذهاب فى الحرب الى أبعد من هذا الحد . ولذلك رأى من الحكمة عقد صلح لا يغضب النمسا حتى لايتيح لنابليون الثالث فرصة التدخل، فالنمسا دولة المانية وبسمارك فى حاجة اليها فى صراعه المقبل مع فرنسا. وفى ٢٣ اغسطس عام ١٨٦٦،وقع الصلح فى معاهدة براغ بين بروسيا والنمسا،ولقد قال بسمارك فى ذلك الوقت "ان علينا ان نفرغ بسرعة قبل ان تجد فرنسا وقتا لممارسة الضغط الدبلوماسى على النمسا" وهكذا كان بسمارك معتدلا الى حد كبير فى معاملة النمسا. وقد نصت المعاهدة على مايلى :

١) تشكيل اتحاد المانيا الشمالية (شمال المين Main) ووضع دستور له .

٢) تكوين كيان مستقل من دويلات المانيا الجنوبية.

٣) ضم شلزفيج وهولشتين لبروسيا مع اجراء استفتاء

فى الجزء الدانمركى من شلزفيج لتحديد مصيرهـــــــا لبروسيا أو الدانمـــرك[1] .

٤) ضم البندقية الى ايطاليـــا .

٥) ضم هانوفر الى بروسيا بسبب تحالفها مع النمسا .

الحرب البروسية ـ الفرنسيـــة :

كان انتصار بسمارك فى سادوفا خطوة هامة على طريـــق الوحدة ،وكان فى نفس الوقت هزيمة غير مباشرة لفرنســـــا . وترتب على ذلك ان اختفاء النمسا كمنافس لبروسيا أفســـح المجال امام بروسيا لمواجهة فرنسا و تحقيق الخطوة الثانيـــة والاخيرة للوحدة . وكان بسمارك لايقتصر على سياسة القـــوة وحدها ،بل استعمل الدبلوماسية ايضا . فقام بتقوية الجيـــش ولو على حساب الدستور . وكما نجح فى ميدان الحرب ،نجـــح كذلك فى ميدان السياسة ،ولذلك كان بسمارك يعتبر من أهـــم العوامل التى ساعدت على نجاح الوحدة الالمانية . ولكى يقوى بروسيا داخليا وخارجيا اتبع بسمارك الخطوات التالية :

١) تقوية الجيش رغم معارضة البرلمان .

٢) توطيد مركز بروسيا الخارجى والعمل على ألا تحارب فــى جبهتين فى آن واحـــد .

---

(١) لمّ يتم هذا الاستفتاء ،وظلت بروسيا محتفظة بتلك المناطق حتى عام ١٩١٩.

٣) توثيق الروابط بين عائلة رومانوف وعائلة الهوهنزلرن فكسب عطف الروسيا فى حربه مع الدانمرك،كما وعدهـا بحياد البحر الاسود.

٤) عزل النمسا سياسيا،واتفق مع نابليون الثالث علـى الوقوف على الحياد فى نظير ان تأخذ فرنسا بلجيكـا أو لكسمبرج. وكان نابليون الثالث يرغب فى قيامالحرب لاضعاف كل من الدولتين (النمسا و بروسيا) حتى يستطيع التدخل بينهما واملاء شروطه عليهما،ويعدل حـدود فرنسا الشمالية . غير أن بسمارك كان يعرف ان بروسيا ستنتصر بسرعة ولن تعطى الفرصة لفرنسا. فكانـت دبلوماسية بسمارك تسبق حروبه . وهكذا نجح فى سياسته ضد النمسا التى اتجهت اتجاها شرقيا (البلقان والبحر المتوسط) وأصبح عدوها الرئيسى روسيا وليس بروسيا، وانفردت بروسيا بالزعامة . ولم يقس بسمارك علـى النمسا فى شروط الصلح كى لاتنضم الى فرنسـا اذا ما حاربهـا.

وبذلك لم يصبح هناك مناوئ للوحدة سوى فرنسا،وانتظر بسمارك حدوث أزمة دولية،أو أزمة داخلية فى فرنسا تمكنه من اتمام الوحدة الالمانية . ووجد بسمارك فرصته الكبرى بعـد ان فقد نابليون الثالث الكثير من الاصدقاء فى الداخل وفـى الخارج وأدت مشكلة العرش الاسبانى الى قيام الحرب بيـن

بروسيا وفرنسا . فلقد قامت الثورة فى اسبانيا ضد الملكة ايزابيلا التى لم تظهر شيئا من الوطنية الصادقة أو البصيرة السياسية . وبرز فى ميدان السياسة فى ذلك الوقت بريم (Prim) ،رئيس الوزراء ، الذى كان يرى ان الملكة ايزابيلا يجب ان تذهب . ووقف الاسطول والجيش ضد الملكة التى لاذت بالفرار فى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٦٨ ،وأعلن الثوار انهاء حكمها فى اسبانيا . وقد رأى الجميع ضرورة استمرار الحكم الملكى حتى يمكن تجنب استفزاز الدول الاوروبية . ووقع الاختيار على الامير ليوبولد أوف هو هنزلرن سيجمار نجن

Prince Leopold of Hohenzollern Sigmaringen

قريب غليوم ملك بروسيا وشقيق ملك رومانيا . وأيد بسمارك هذا الترشيح ،لأن وجود ملك المانى على عرش اسبانيا يجعل فرنسا بين شقى الرحى (بروسيا واسبانيا) ،وستجد فرنسا نفسها مضطرة للاحتفاظ بقوات كبيرة على الحدود الفرنسية الاسبانية . ولكن فرنسا عارضت ترشيح الامير ليوبولد . وظلت مشكلة العرش الاسبانى دون حل حتى عام ١٨٧٠ عندما نجح بسمارك بعد جهود مضنية من اقناع ملك بروسيا والاميرليوبولد بالموافقة على قبول العرش الاسبانى ،وهنا أصر دى جرامون (De Gramont) وزير خارجية فرنسا على مقاومة ذلك بكل وسيلة ،وأعلن منذ البداية ان اصرار بروسيا على الترشيح سوف يعنى الحرب . ونتيجة للوساطات . أعلن فى ١٢ يوليو موافقة الامير ليوبولد على سحب ترشيحه ،وبدا ان

بروسيا تراجعت ازاء التهديد الفرنسى ،فقال تيير ان الانتقام لسادوفا قد تحقق ،وقال جيزو ان ذاكرته لاتعى نصرادبلوماسيا أعظم من ذلك النصـــر.

ولم تكتف فرنسا بترك الموضوع عند هذا الحد،بـــــل كلفت سفيرها فى برلين ان يطلب من ملك بروسيا مباشـــرة ان يقرن سحب الترشيح باسمه أولا ،و أن يتعهد ثانيا بالامتناع عن تأييد ترشيح الامير الهوهنزلرنى اذا ماأثير من جديـــد وقدم السفير هذين المطلبين فى امز (Ems) فـــى ١٣ يوليو. وعندما تلقى ملك بروسيا عصر اليوم نفسه أنبـــاء رسمية عن انسحاب ليوبولد عن ترشيح نفسه ،أرسل الى السفيـــر يخبره بأن المسألة تعتبر منتهية. وهنا لاحت من جديد فرصـــة السلام،لكن بسمارك كان يريد الحرب ،ورأى ان الفرصة مناسبـــة لذلك. اذ وردت لبسمارك برقية من الملك فى امز تخبـــــره بمطالب السفير الفرنسى ،وبموقف الملك واعتباره ان المسألة منتهية . واعتبر بسمارك ان ماحدث يعتبر استسلاما مهينـــا لفرنسا،و لكن البرقية تضمنت التصريح لبسمارك بابلاغ الحادث الى الصحافة فأعد نصا انطوى على تحريف للاصل . وقد عـــزا النص رفض الملك مقابلة السفير الفرنسى ثانية لا الى تلقيه أنباء قاطعة بسحب ترشيح ليوبولد وانما الى طبيعة مطالـــب السفيـــر.

وقد أحدثت رسالة بسمارك انفعالا وازعاجا فى الرأى العام فى كل من المانيا وفرنسا . فلقد أهينت فرنسا وتلقت صفعة على وجهها، والشرف يقتضى اعلان الحرب فورا، وفى ١٩ يوليو أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا، تلك الحرب التي ستفضى بلا شك الى حرب عام ١٩١٤. تولى الامبراطور نابليون الثالث القيادة بنفسه وأسندت القيادة فى الالزاس لمكماهون (Mac Mahon) وفى اللورين الى بازين (Bazaine) الذى كان يعتبر بطلا قوميا . ولكن فى ٦ أغسطس لحقت بمكماهون هزيمة فى وورث (Worth) على يد الالمان أدت الى فتح الالزاس للغزو الالمانى . وفى نفس اليوم هزم بازين وجيش اللورين، وتقرر التقهقر صوب العاصمة باريس ولكن توالت ضربات الالمان، فقد طورد الجنود الفرنسيون أولا الى شرقى متز، ثم قامت الجيوش الالمانية بعملية التفاف جنوب متز بهدف تطويقها وعزل بازين وجنوده . وفعلا حوصر بازين مع جيش يربو عدده على ٢٠٠٫٠٠٠ رجل، وحاول مكماهون التقدم بجيشه لفك حصار جيش بازين، ولكن الالمان طوقوا جيش مكماهون وحاصره فى سيدان فى ٢ سبتمبر عام ١٨٧٠. وفى نفس اليوم استسلم مكماهون والجيش بأكمله والامبراطور لملك بروسيا، وبلغ عدد الاسرى ١٠٤٫٠٠٠ أسراء ولما حلت الهزيمة بفرنسا، أصبح نشوب الثورة أمرا محققا، وأعلن قيام " حكومة الدفاع الوطنى " ، وسقطت الامبراطورية الثانية . وفى ٢٧ اكتوبر

عام ١٨٧٠ سلم بازين نفسه وجيشه البالغ ١٧٣٠٠٠ رجل للالمان. وفى ٢٨ يناير عام ١٨٧١ وقع الفرنسيون الهدنة مع بسمارك فى فرساى ،وقد رفض بسمارك الاعتراف بأهلية " حكومة الدفاع الوطني " للتحدث باسم فرنسا . وتقرر اجراء انتخابات على الفور لتشكيل جمعية جديدة تجتمع فى بوردو للنظر فى قبول شروط الصلح أو رفضها .

لقد وجد الانتصار الساحق الذى أحرزه الالمان شمال المانيا وجنوبها . وتم المشهد النهائى فى قاعة المرايا بفرساى فى ١٨ يناير عام ١٨٧١ حيث نودى بوليم امبراطور[1] على المانيا . وهكذا تأسست الامبراطورية الالمانية نتيجة لجهود بسمارك الذى استطاع ان يقود بروسيا فى حروب ناجحة ويضم الولايات الالمانية اليها . فكانت الامبراطورية الجديدة بحق امبراطورية بسمارك لا لأنه هو الذى أسسها فحسب ،بل لأنه سيطر عليها وحكمها حكما لاينافسه فيه أحد حتى سقوطه عام ١٨٩٠. ولم يكن دستور الامبراطورية الالمانية من وضع البرلمان ، انما كان من وضع بسمارك نفسه ،وهو نفس دستور اتحاد الولايات الشمالية لعام ١٨٦٧ مضافا اليه الولايات الجنوبية وهى بافاريا وهس وبادن وفورتمبرج و الالزاس واللورين وقد وافق الرايخ الالمانى على الدستور الجديد فى مارس عام ١٨٧١ ،وكانت الامبراطورية الالمانية مكونة فى عام ١٨٧١ من ٢٥ ولاية . وكانت هناك قوانين اتحادية عامة

وضعت لكافة الولايات ،كما كانت هناك بعض الامتيازات الدستورية التى تركت الى كل ولاية على حدة . فمثلا كانت الحكومة الاتحادية لها السيطرة التامة على الجمارك والضرائب والمالية والجيش والاسطول وتنظيم التجارة الداخلية و الخارجية ومصلحة البريد والبرق والسكك الحديدية والعملة والاوزان والمقاييس و النظام المصرفى و اصدار القوانين الى الولايات و كانت السلطة التشريعية عبارة عن مجلسين هما :-

أولا : مجلس الولايات (بند سرات Bundesrat) و كان أعضاؤه عبارة عن ممثلى حكومات الولايات ويعينون تعيينا من قبل حكامهم. وقد كان لبروسيا أكبر عدد من الممثلين ١٧ من مجموع ٦٤ . ولما كان ١٤ صوتا كافيا لرفض أى لائحة ،فان بروسيا كانت فى وضع قوى للسيطرة على المجلس و تعديل الدستور حسب أهوائها وكان المستشار الالمانى بسمارك هو رئيس هذا المجلس .

ثانيا : كان المجلس الثانى يسمى رايخشتاغ(Reichstag) وكان أعضاؤه ينتخبون لمدة خمس سنوات بالتصويت السرى العام لكل من بلغ ٢٥ عاما فما فوق. ولم يمارس هذا المجلس سلطة باستثناء ضرورة الحصول على موافقته فى اقرار الميزانية ،ولم يكن له صوت فى تقرير السياسة الخارجية والعسكرية ،بل كان كل مايستطيع عمله هو رفض الموافقة على الميزانية .

أما السلطة التنفيذية فكانت عبارة عن وزارة مسؤولة أمام الامبراطور الذى كان يسمى بالقيصر ،ولم يكن المستشار الالمانى (رئيس الوزراء) مسؤولا امام المجلسين ، انما كان مسؤولا أمام الامبراطور ،ولهذا فلم يكن للرايخ الالمانى صلاحية اسقاط الوزارة الامر الذى جعل نظام الحكم فى المانيا اوتوقراطيا وليس ديمقراطيا . وظل بسمارك هو المستشار والحاكم المطلق لالمانيا فيما بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٩٠ يدبر السياسة الداخلية والخارجية .

لقد حقق بسمارك لحظة انتصاره على فرنسا هدفا من أعز أهداف حياته ،وهو تكوين الامبراطورية الالمانية التى احتلت فيها بروسيا مكان الصدارة . وانتهت الحرب بين الخصمين العظيمين (فرنسا وبروسيا) دون ان تتدخل اوروبا وتتحول الحرب بالتالى الى حرب اوروبية . بل ان روسيا وجدت فى هزيمة فرنسا فرصة مواتية للتخلص من التزاماتها فى معاهدة باريس عام ١٨٥٦ التى كانت تنص على حياد البحر الاسود ومنع روسيا من حق اقامة أية منشآت حربية او بحرية فيه ،فأعلنت انهاء المعاهدة. ولم تستطع فرنسا ان تحصل على صلح مشرف من بسمارك ، الذى أصر على الحصول على الالزاس واللورين ،وقال لجول فافر(Jules Favre) وزير خارجية فرنسا : " ماكنتم لتتورعوا من انتزاع الراين منا ، مع ان الراين لايمثل حدودكم القومية . أما نحن فاننا نسترد

أراضينا ونعتقد اننا بهذا نضمن لأنفسنا السلم فى المستقبل"
وعندما رفض بسمارك الاعتراف بحكومة الدفاع الوطنى، أجريت
الانتخابات وشكلت الجمعية الوطنية فى ٢ فبرايرعام ١٨٧١ ،
وانتخبت من بين أعضائها أدولف تيير Adolph Thiers
رئيسا مؤقتا للسلطة التنفيذية على ان يمارس صلاحياته
باشراف الجمعية وبمساعدة وزراء ينتخبهم هو نفسه . ثم
انتقلت الجمعية بعد ذلك الى فرساى لابرام الصلح مع المانيا
وهكذا وقفت فرنسا وحدها تدبرأمرها من الامبراطورية
الالمانية .

دارت المفاوضات بين تيير وبسمارك ،ولكن الشروط
التى وضعها بسمارك كانت شروطا مذلة لفرنسا . لقد صمم
بسمارك على ضم الالزاس و معظم اللورين ،و أصر كذلك على
ضرورة نزول الفرنسيين عن ميتز واستراسبورج . وتمسك بأن
تدفع فرنسا تعويضا كبيرا وان يكن تيير قد وفق الى خفض
الرقم من مائتين وأربعين مليون جنيه استرلينى الى مائتى
مليون . وعاد تيير بشروط الصلح الى الجمعية الوطنية فى
بوردو. وارتفعت الاصوات بالاحتجاج عليها،و أعلن نواب
الالزاس واللورين تمسكهم بفرنسا وقدم الكثيرون استقالتهم
وكان ممن استقالوا فيكتور هوجو،ولكنه لخص الموقف فى
كلماتٍ تثبت بعد النظر فقال : " هناك أمتان أوروبيتان
ستصبحان رهيبتين من الآن فصاعدا ، الاولى لانها انتصرت

والثانية لانها هزمت " ولم يكن هنا مفر من قبول تلك الشروط وفى أول مارس تم التعديق على المعاهدة ،ووقعت فى صورتها النهائية فى ١٠ مايو بفرانكفورت . ودخل باريس ثلاثون ألف جندى المانى ،ولبثوا بها فترة قصيرة. وقد قام تيير بحملة واسعة لجمع التبرعات ،وقدم الفرنسيون الغالى والنفيس للتخلص من الجيش الالمانى . فتم دفع المبلغ فى غضون ثلاث سنوات ، وانسحب الجيش الالمانى عام ١٨٧٣ من فرنسا واعتبر تيير محرر البلاد . ولكن ظلت مسألة الالزاس واللورين جرحا عميقا فى قلب كل فرنسى . وبعد أن أقر المجلس الصلح وجد ان أول واجباته هو تقرير نظام الحكم فى فرنسا . وأعلن الملكيون ان تيير رئيس الهيئة التنفيذية رئيسا للجمهورية الفرنسية ،ولكنه استقال فى عام ١٨٧٣،وانتخب مكماهون رئيسا. كل هذا والجمهورية لم تكن رسميا بعد، اذ أن تكوين الجمهورية الثالثة فى فرنسا يقترن باسم والون(Wallon)[1] الذى اقترح فى عام ١٨٧٤ الاخذ بالنظام الجمهورى والمناداة بالجمهورية فى فرنسا . وهو الذى اقترح ان يكون دستور فرنسا الذى أخذ المجلس على عاتقه وضعه دستورا جمهوريا . وكانت الانتخابات التى جرت فى فرنسا فى يناير عام ١٨٧٥ بداية لتأسيس النظام الجمهورى فى البلاد . ويعتبر النظام الجمهورى قد تأسس فى فرنسا بصفة نهائية عندما نجح الجمهوريون نهائيا فى الوصول الى الحكم منذ اواخر عام ١٨٧٧.

---

(١) كان ممثلا للشمال وأستاذا للتاريخ .

الفصـــل الثـامـــــــــن

أولا : بسمارك ونظام التحالفات

(١) الموقف الدولى فى آوروبا بعد حرب السبعين

(٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦ – ١٨٧٨) وسياسة الاستصلاح والتعويض .

(٣) التحالفات الاوروبية ومعاهدات الضمان .

* التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا .
* التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا.
* اتحاد القياصرة الثلاثة .
* التحالف الثلاثى .
* تحديد التحالف الثلاثى .
* معاهدة الضمان الالمانى – الروسى .

ثانيا : التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠–١٩١٤)

* التحالف الثنائى بين فرنسا وروسيا.
* التحالف الانجليزى – اليابانى .
* الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا .
* الاتفاق الانجليزى – الروسى .

الفصل الثامن

التحالفات الدولية فى أوروبا
(١٨٧١ - ١٩١٤)

أولا : بسمارك و نظام التحالفات (١٨٧١ - ١٨٩٠).

(١) الموقف الدولى فى اوروبا بعد حرب السبعين

كان عام ١٨٧٠ سنة مهمة فى تاريخ العالم وفى توجيه سياسة الدول الكبرى وجهة جديدة . لقد انهارت فرنسا كأولى دول القارة من الناحية الحربية ،وحلت محلها الدولة الالمانية الجديدة التى قامت بصفة خاصة على يد بسمارك وعلى تفوق الجيش الالمانى و على زعامة بروسيا . ونتيجة لذلك ،أخذت الدول الاوروبية المختلفة تعمل على التقرب من هذه الدولة الجديدة المتفوقة .

أصبحت الدولة الالمانية الجديدة بمواردها الاقتصادية الغنية وبحماستها الوطنية أقوى دولة فى اوروبا من الناحية الحربية ،ولكن بسمارك كان يعلم بأن فرنسا كدولة قوية لم تنته بعد ،فلا زالت لها حيويتها الكبيرة و نشاطها وأملها فى المستقبل خاصة وان الدول الاوروبية لم تكن لترضى مطلقا القضاء عليها تماما. وكان بسمارك يعلم ، كذلك ،ان المانيا مهما بلغت قوتها الحربية ومواردها الاقتصادية ،فهى مابرحت دولة حديثة التكوين ،لم تصبح جزءا من النظام الدولى الاوروبى الا فى عام ١٨٧٠ و هكذا

أيقن بسمارك أن الالمان بانتصارهم الحاسم على الفرنسيين قد أثاروا بقية الدول الاوروبية الكبرى وأحقادهـا .

لقد أفاقت انجلترا من حيادها الطويل ومن سياسة العزلة التى اتبعها جلادستون(Gladstone) لتجد أن قوة حليفتها القديمة فرنسا قد تحطمت ،و ان دولة أعظم نشاطا وهى المانيا قد سيطرت على وسط اوروبا الى حدكبير. ولذلك بدأت انجلترا تخشى هذه الدولة الجديدة،و آخذت تفكر فى مصير أسواقها الاوروبية اذا تمكنت تلك القوة الناهضة من السيطرة على وسط اوروبا اقتصاديا كما سيطرت عليه الى حد ما سياسيا . ولذلك سيتغير موقف انجلترا عندما تولى ديزريلى(Bengamin Disraeli) زعيم المحافظين الوزارة فى عام ١٨٧٤. وكان ديزريلى يتوثب الى اتباع سياسة خارجية نشيطة تخرج انجلترا من عزلتها وتعود بها الى مركزها الممتاز فى اوروبا والعالم. ولذا سيكون بسمارك حريصا على استرضاء انجلترا فى عهدها الجديد لكى توافق على النظام الجديد الذى أوجده .

أما امبراطورية النمسا والمجر فكانت تحسب حسابا حقيقيا للدولة الالمانية الجديدة التى تجاورها من الشمال. فكان يوجد فى النمسا عدد كبير من الجيش الالمانى يقطن فى اوستريا(Austria) ويتطلع الجزء الاكبر منه

للانضمام الى المانيا ،وبذلك تحقق الوحدة الالمانية الحقيقية، وبجانب هذا الفريق ،وجد فريق آخر كان متشبعا بحب آل الهابسبرج ،وله مصالح اقطاعية و معنوية تربطه بذلك البيت العتيق ،ثم ان انفصال الجزء الالمانى عن جسم امبراطورية النمسا والمجر كان معناه زوال امبراطورية الهابسبرج لأنها تعتمد فى ثروتها و نفوذها على الجزء الالمانى العرف من أراضيها ،وهو الجزء الصناعى . ولم ينس هذا الفريق بسهولة الهزيمة المرة التى تلقتها النمسا على يد المانيا فى سادوفا ،ولذلك عمل جاهدا على ايجاد تحالف بين النمسا وأعداء المانيا مثل فرنسا و على فصم العلاقة القوية بين روسيا والمانيا . غير أنه وجد فريق آخر وهو الفريق المجرى الذى كان يتزعمه الكونت اندراشى (Count Gyula Andrassy وزير خارجية النمسا ،كان هذا الفريق يريد السيطرة على الفريق الالمانى السابق،ووسيلته الوحيدة فى تحقيق ذلك هي توثيق الصله بينه وبين المانيا حتى لا يتفوق فيها العنصر الصقلبى . وعلى العموم كان موقف النمسا يتسم بالتردد و الحذر والخوف ،غير ان بسمارك كان يفهم الموقف فى النمسا جيدا ،فأخذ يعمل على استرضائها " فهى الحليف الذى يعده للمستقبل ".

أماروسيا فكانت تربطها صداقة قديمة مع بروسيا منذ حرب القرم ،كما كانت هناك علاقات شخصية وعائلية بين

الاسرتين الحاكمتين : آسرتى رومانوف وهوهنزلرن. وبسبب هذه الصلة المتينة ،وقفت روسيا موقف الحياد والعطف على الهوهنزلرن فى حربهم مع النمسا ومع فرنسا. واذا كانت روسيا قد اتخذت هذا الموقف انتقاما لنفسها من النمسا وفرنسا ،فانها كانت تشعر بأنها آدت خدمة جليلة لبسمارك ولذلك فهى تنتظر المكافأة من المانيا ،ولكن بسمارك كان يعرف تماما بأن روسيا تعمل لمصلحتها قبل كل شىء. غير أن روسيا آفاقت بعد عام ١٨٧٠ لتجد على حدودها الغربية أقوى دولة حربية فى اوروبا ،وآدركت انه ربما كان من مصلحتها ألا تترك فرنسا تنهار امام المانيا بهذا الشكل. ولذلك وقفت روسيا موقف الحاسد المترقب لأية فرصة تمكنها من الحد من قوة المانيا. وكان بسمارك يفهم موقف روسيا تماما ،ورآى من الحكمه استصلاحها وضمها الى جانبه والابقاء على صداقتها بقدر المستطاع.

حاول بسمارك ، اذن ،عزل فرنسا وابعادها عن آصدقائها وهما الروسيا والنمسا،ولذلك آسرع بالتفاهم معهما. ففى عام ١٨٧٢ دعا بسمارك كل من امبراطور النمسا وقيصرالروسيا الى برلين حيث اجتمعا بالامبراطور الالمانى وليم الاول ، واتفق الاباطرة الثلاثة شفويا على المحافظة على الوضع الراهن فى اوروبا،و مقاومة الحركات الثورية التى تهدد أنظمة الحكم القائم فى هذه الدول . وازدادت العلاقات

بين الاباطرة الثلاثة توثقا عندما زار بسمارك روسيا في العام التالي بصحبة الامبراطور الالماني . وأمكن التوصل الى عقد اتفاقية عسكرية سرية بين المانيا وروسيا، وعدت المانيا بموجبها ارسال ٢٠٠،٠٠٠ جندي الى روسيا فيما اذا اعتدت على الاخيرة دولة اوروبية، على أن تقدم روسيا نفس المساعدة الى المانيا اذا وقع عليها اعتداء. و في يونيو من نفس العام زار القيصر الروسي فينا حيث وقع الجانبان الروسي و النمسوي اتفاقية تقضي باجراء مشاورات في كل مسألة تتعارض فيها مصالح الدولتين، وكذلك وعد كل منهما الآخر بالتفاهم حول توحيد الخطط في حالة اعتداء عسكري عليهما دون ما حاجة الى اتفاق عسكري جديد. وبعد انضمام الامبراطور الالماني الى هذا الاتفاق تكون تحالف (أو عصبة) القياصرة الثلاثة (Dreikaiserbund) في عام ١٨٧٣.

و على آية حال فلقد اقتنع بسمارك ان الوسيلة المناسبة لاقناع الدول الاوروبية الكبرى بالاعتراف بمركز المانيا الجديد في اوروبا هو استصلاح تلك الدول. كان بسمارك محتاجا الى السلام لكي يتفرغ لمعالجة المشاكل الداخلية الخطيرة التي واجهته، ولتدعيم الوحدة التي تمت في ميدان الحرب . ولكن فرنسا كانت تقف وراء الحدود

متعطشة للانتقام اذا سنحت لها الفرصة المناسبة ،فلقد تخلصت سريعا من نتائج اخطاء الماضى ودفعت الغرامة الحربية بسرعة أثارت اعجاب العالم بقدر ما أزعجت بسمارك، ووجد بسمارك فى سقوط تيير ذلك الجمهورى المحافظ و فى اعتلاء مكماهون الكاثوليكي الملكى ورجل الحرب مدعاة لاثارة مخاوفه لأنه كان يعرف جيدا ان فرنسا فى ظل حكم الاحزاب اليمينية ستكون اكثر تفاهما مع روسيا و مع البابوية . و هذا ما سعى بسمارك الى تجنبه لعزل فرنسا عن القوى الاوروبية المناهضة له ولسياسته . كذلك كان بسمارك متضجرا من رغبة فرنسا فى الثأر و من " حركة الاشتقام" التى كانت ترمى الى الانتقام من المانيا واسترداد الالزاس واللورين ولهذه الاسباب اضطر بسمارك دائما الى اتباع سياسة تهديد فرنسا و تحذيرها وانذارها حتى لاتفكر فى اثارة حرب جديدة ربما أدت الى تدخل الدول الاوروبية والاطاحة بالالمانيا من مركز متفوق . وبلغت الازمة بين فرنسا والمانيا حدا هددت بالحرب بين الدولتين فى عام ١٨٧٥ ،وعندئذ اضطر ديكاز (Decazes) وزير خارجية فرنسا الى الاستنجاد بانجلترا وروسيا موضحا لهما ان فرنسا لاتريد الحربه وأن المانيا تعد حربا تقضى فيها على فرنسا تماما. وكانت كل من الدولتين تؤيدان فرنسا ،فالابقاء عليها كقوة دولية ضرورى لحفظ التوازن الاوروبى . وتدخلت الدولتان بسرعة

لمنع تدهور الموقف ،وأرسل كل من قيصر الروسيا وملكة انجلترا خطابا للامبراطور الالمانى يدعوانه فيهما الى ضرورة الحفاظ على السلام.

وكان لهذا التدخل أثره على سياسة بسمارك ازاء فرنسا فلقد غير بسمارك سياسة التهديد والوعيد التى اتبعها مع فرنسا ،لانها لم تعد فى عزلة سياسية كما كان يعتقد،بل ان دولتين من دول اوروبا الكبرى تعطفان عليها ولاتسمحان بابعادها او القضاء عليها. وتاكد بسمارك الآن اهمية استصلاح انجلترا وروسيا،ورأى ضرورة استخدامهما حتى تتمكن المانيا من المحافظة على تفوقها فى اوروبا . ووجد بسمارك فى ممتلكات الدولة العثمانية مايحقق تنفيذ سياسة التعويض Compensation والمانيا ليست كالروسيا او النمسا لها اطماع فى الدولة العثمانية تحاول الوصول اليها بمختلف السبل ،فهى عازفة عزوفا تاما عنها، كما انها لاتساوى عند بسمارك دم جندى بروسي. غير انها فى نظرة تمثل الوليمة التى ستدعى اليها الدول الكبرى لاشباع رغباتهم ونزواتهم،وهو لذلك رحب بأن توجه هاتان الدولتان جهودهما نحو تقسيم البلقان لينشغلا بعض الشيء عن مناصبة المانيا العداء او العمل على الاتفاق مع فرنسا.

وعلى هذا الاساس قامت النظرية الالمانية اوسياسة

" التعويض " على الاسس التاليــــة :

١) تستطيع حكومة القيصر الروسى الاشراف على شرقـــي البلقـــان .

٢) تستطيع امبراطورية النمسا والمجر الاشراف على غربـي البلقان فى المناطق الغربية من حدودها الدلماشيـة والكرواتيـــة .

٣) تستطيع انجلترا ارضاء مطامعها والمحافظة علـــي التوازن الدولي فى شرقي البحر المتوسط بالسيطـرة علي مصر . وكان بسمارك يعلم تماما مدى اهتمـــام انجلترا بمصر وخصوصا بعد تطور سياستها الهنديـــة و واشراف الحكومة البريطانية نفسها على الهند منـــذ عام ١٨٥٨ بعد ان كانت شركة الهند الشرقية هـــى المشرفة عليها . وقد تزايد اهتمام انجلترا بمصـــر منذ افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ التى ستصبح فـــى نظرها الشريان الحيوى لامبراطوريتهـــا .

٤) تستطيع فرنسا اذا أحسنت سلوكها نحو المانيا وتناست مسألة استرجاع الالزاس واللورين ان تستعيض مـــن الولايتين المفقودتين بأخذ سوريا أو تونـــس .

وهكذا عمل بسمارك على تقسيم ممتلكات الدولـــــة العثمانية لارضاء الدول الكبرى و لحفظ السلام فى أوروبـــا ،

وبالتالى المحافظة على الوضع الدولى المتفوق لالمانيا في اوروبا . وهكذا رأى بسمارك ضرورة استخدام سياسة استصلاح الدول الكبرى ،وهى السياسة التى سيقوم عليها مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ و السياسة التى ستطبق خلاله وفي السنوات التى تليه . وفي الواقع كانت الظروف مواتية لبسمارك بسبب قيام الثورة فى البلقان على الحكم العثمانى وظهور المسألة الشرقية من جديد ،وعودة فكرة الابقاء أوعدم الابقاء على ممتلكات الدولة العثمانية .

(٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦ - ١٨٧٨) وسياسة الاستصلاح و التعويض:

ثارت المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ وبدأت الاضطرابات فى البلقان بثورة البوسنة والهرسك ضد الحكم العثمانى. وكانت روسيا تؤيد تلك الثورة ،ولكن المانيا كانت تفضل سياسة التعاون مع غيرها من الدول لحل هذا النزاع سلميا، لان قيام حرب تشترك فيها الدول الاوروبية قد يجر المانيا الى الاشتراك فيها. ولهذا أيدت المانيا فكرة روسيا في ان تتدخل دول اتحاد القياصرة الثلاثة (المانيا والنمسا وروسيا) لدى الدولة العثمانية للضغط عليها لاتباع سياسة تهدف الى القضاء على اسباب الثورة . ولكن هذا الموقف لم يرض انجلترا و فرنسا،لانه يحول بينهما وبين الاسهام فى حل المسألة الشرقية التى كانت تعتبر من أهم المشاكل

الاوروبية فى ذلك الوقت ، كما انه يمنح روسيا حرية العمل على تحقيق اطماعها فى ممتلكات الدولة العثمانية وهو مايتعارض مع سياسة كل من الدولتين ، واضطر الباب العالى أمام تدخل الدول الى اصدار فرمان فى ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥ يتضمن بعض الاصلاحات لتحسين أحوال سكان هاتين الولايتين.

ولكن الثورة لم تنقطع بصدور هذا الفرمان، فاستمرت الثورة فى البوسنة والهرسك واستعد الجبل الاسود والصرب لمساعدتهما، ولهذا اجتمع بسمارك و جورتشاكوف (Gartchakoff) وزير خارجية روسيا، والكونت اندراشي وزير خارجية النمسا فى برلين فى مايو عام ١٨٧٦ دون اشتراك انجلترا ،وتقدموا الى الحكومة العثمانية بمقترحات من وحى الروسيا تضمنتها ماأطلق عليه اسم مذكرة برلين (Berlin Memorandum) بعد موافقة الحكومتين الايطالية والفرنسية عليها، وقد طلبت هذه المذكرة من الحكومة العثمانية ايقاف العمليات العسكرية لمدة شهرين ،والدخول مباشرة فى مفاوضات مع رؤساء الثوار فى البوسنة والهرسك بخصوص المطالب التى تقدموا بها. ولكن الحكومة العثمانية رفضت المذكرة وشجعها على ذلك عدم اشتراك انجلترا فى توقيعها ، هذا بالاضافة الى ماتضمنته من مساس لحقوق الشرعية للدولة العثمانية .

وازدادت الحالة سوءا فى البلقان بقيام الثورة فى بلغاريا ، اذ قام أهل البلاد بتدبير مذبحة للموظفين المحليين من العثمانيين . ورأى العثمانيون فى تلك الثورة اصابع الروس واضحة تنذر بتقويض الحكم العثمانى فى اوروبا . وتلا قيام الثورة فى بلغاريا اعلان الصرب والجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية . وباعلان الحرب تمت الحلقة الاولى من المخطط الروسى ، الذى كانت روسيا تعمل جاهدة على تحقيقه ،وذلك بأن تتاح لها فرصة التدخل للقضاء على الدولة العثمانية . ولكى لا تعرقل النمسا تنفيذ هذا المخطط ،عقدت معها فى ٨ يوليو عام ١٨٧٦ اتفاقية رشتشتادت (Reichstadt) وفيها اتفق الطرفان على مبدأ عدم التدخل ،فاذا انتصر العثمانيون على الصرب وجب التدخل لمنع العثمانيين من الانتقام وحرمانهم ثمرة النصر، و اذا انتصرت الصرب تتدخل الدولتان فتأخذ الروسيا بسارابيا من رومانيا وتحتل النمسا البوسنة والهرسك ،وفى حالة انهيار الدولة العثمانية تصبح الاستانةمدينة حرة . و على اساس هذه التسوية أمنت الروسيا جانب النمسا وآمنت النمسا جانب الروسيا .

و عندما فشلت الصرب فى الحرب فشلا ذريعا، اضطرت روسيا للتدخل الفعلي مناصرة لفكرة الجامعة الصقلبية واضطرت روسيا للتدخل عندما اصبحت بلغراد نفسهاعاصمة الصرب

فبي خطر . ولذا أسرعت روسيا باقتراح هدنة وعقد مؤتمر من الدول ولكن العثمانيين المنتصرين رفضوا الهدنة قبل ان تقدم الصرب شروط صلح يرضونها . وكانت روسيا ترغب في مدة هدنة طويلة حتى تستطيع الصرب لم شعث قواها ،بينما كانت الدول الاخرى ترغب فى هدنة قصيرة ،واختلفت الآراء بين الدول . ووجد المستشار الالمانى بسمارك فى هذا الموقف فرصته فى التدخل لتنفيذ سياسته التى طالما أعلنها من قبل وهى عدم حل المسألة الشرقية بشكل جزئى ،وانما تطرح المسألة برمتها على بساط البحث . وحرص بسمارك على توجيه نظر انجلترا الى استغلال فرصة هياج المسألة الشرقية لاخذ مصر ،وقال بأنه اذا استشير فيما يجب ان تكون عليه سياسة انجلترا الخارجية ،فانه يقترح ان " تنتهج بريطانيا نفس السنن التى تنتهجها روسيا ،فاذا كانت روسيا تريد ان تستحوذ على النقط الاستراتيجية اللازمة لها بالسيطرة على المضايق ،البوسفور والدردنيل ،والاشراف على الاستانة ، فعلى الحكومة الانجليزية ان تقابل ذلك بالسيطرة على مصر وقناة السويس" . و كان هذا الحل خيرا فى نظره من معارضة انجلترا لروسيا فى البلقان وقيام حرب بينهما قد تتحول الى حرب اوروبية ربما تعصف بما لالمانيا من مركز متفوق، ولقد قال بسمارك فى هذا الصدد :" انه من الخير لانجلترا ان تأخذ قناة السويس والاسكندرية بدلا من ان تعلن الحرب على روسيا ،وبذلك وحده تتوثق عرى السلم فى اوروبا".

ولكن حكومة المحافظين فى انجلترا لم تقبل هـــذا الاقتراح بسهولة ،فرئيسها دزريلى رغم انه هو الذى اشترى اسهم الخديو اسماعيل فى قناة السويس عام ١٨٧٥ ،ورغـــم تعلقه الكبير بالشرق ،ورغم انه زار مصر فبهره جمالهـــا وآبهتها وسجرته حضارتها القديمة وضخامة آثارها وبهـــاء نيلها وكثرة خيراتها " الا انه لم ير فى ذلك الوقـــت ان احتلال انجلترا لمصر وسيلة مفيدة لدرء الخطر الروسي مـــن الشرق الادنى . فقال اذا أخذ الروس الاستانة فانه يمكنهـــم فى اى وقت الوصول الى سورية ووادى النيل . ويبدو من هـذا ان انجلترا فى عام ١٨٧٧ كانت تخشى عواقب اتباع سياســـة بسمارك . وفى الواقع كانت سياسة انجلترا قبل السبعينات من القرن التاسع عشر هى سياسة المحافظة على كيـــان الامبراطورية العثمانية وعلى تماسك ممتلكاتها ،وهى السياسة التى وضع آسسها اللورد بامستون وزير خارجية انجلتـــرا خلال النصف الاول من هذا القرن . ولكن حملات جلادستون التـــى قامت فى انجلترا بعد حركة القمع التى قام بها العثمانيـــون فى بلغاريا ،كانت من اهم العوامل التى اطاحت بسياســـة انجلترا التقليدية ازاء الدولة العثمانية. تزعـــم جلادستون زعيم المعارضة من الاحرار الحركة التى ترمى الـــى التخلص من هذه السياسة القديمة ،وكتب عدة مقالات آهمهـــا " The Bulgarian Horrors " التى وصـــف

فيها الاتراك بأبشع ماتوصف به أمة من الامم،واتهمهم بأنهم أعداء الانسانية .

كان لهذا الموقف أثر كبير على الرأى العام الانجليزى فلم يعد هناك من نصير قوى للدولة العثمانية خصوصا بعد ان أعلنت الحكومة العثمانية عجزها عن دفع فوائد الديون التى اقترضتها من انجلترا ،فازداد السخط فى الدوائر المالية عليها ،وشعرت حكومة المحافظين فى انجلترا بأنه لم يعد فى استطاعتها الدفاع عن سياسة انجلترا التقليدية ازاء الدولة العثمانية . ولكن موقف انجلترا نحو روسيا وأطماعها لم يتغير،فلا زالت حريصة على وقف التوسع الروسى نحو البحر المتوسط . وعندما يتولى اللوردسولزبرى Salisbury منصب وزيرالخارجية فى اوائل صيف عام ١٨٧٨ ستتخذ انجلترا موقفا حاسما ازاء كل من روسيا والدولة العثمانية . فكان سولزبرى يمقت الدولة العثمانية مقتا شديدا ،ويعتقد ان الاتراك لايصلحون للبقاء كدولة حديثة " فأفكارهم فى نظره غير معقولة ،وحكومتهم فوضى". لقد أدرك سولزبرى ان وجود الدولة العثمانية الضعيفة من شأنه ان يعرض مصالح بريطانيا الامبراطورية للخطر،و لذلك قرر استبعاد الدولة العثمانية من شرق اوروبا،و تقسيم ممتلكاتها وهكذا وضع سولزبرى " حدا نهائيا للسياسة الانجليزية التقليدية نحو الدولة العثمانية من الناحيتين العملية والنظرية .

وبدأت تظهر أطماع انجلترا فى ضم جزء من ممتلكات الدولة العثمانية مثل مصر أوكريت او قبرص . و فى حقيقة الامر كانت نفس انجلترا تهفو الى احتلال مصر،و طالما شجعها بسمارك على ذلك منذ عام ١٨٧٥ ولكنها خشيت الاقدام على هذه الخطوة حتى لاتسيء الى علاقاتها مع فرنسا. ولذا اتجه نظر انجلترا الى جزيرتى كريت وقبرص ،ولكن سولزبرى ورجال الحرب فضلوا احتلال قبرص لما لها من موقع ممتاز فى البحر المتوسط ،فهى " مفتاح غربى آسيا " وجبل طارق جديد" ومما رجح قبرص على غيرها اشرافها على السواحل المصرية الشمالية ،وقربها من ممتلكات الدولة العثمانية الآسيوية حيث تتركز اطماع روسيا . وبدأت المفاوضات السرية بين الدولة العثمانية وانجلترا ،واختارت انجلترا توقيتا مناسبا للدخول فى تلك المفاوضات ،وهو الوقت الذى أستعرت فيه الحرب بين روسيا والدولة العثمانية ،واندحرت قوات الاخيرة امام ضربات روسيا. وامام التهديد الانجليزى بالقضاء على الامبراطورية العثمانية اضطر السلطان الى توقيع اتفاقية ٢٦ مايو عام ١٨٧٨ ، التى قبلت الدولة العثمانية بمقتضاها احتلال الانجليز لجزيرة قبرص مقابل حماية انجلترا للدولة وعلى هذا النحو نفذت انجلترا من الناحية العملية فكرتها لنظرية تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ،ومغادرة السياسة التقليدية نهائيا.

أما عن الموقف فى البلقان ،فقد كانت روسيا تستعـــد للحرب ،ودخلت فى مفاوضات مع النمسا انتهت فى ١٥ ينايــر بتوقيع اتفاقية بودابست السرية (Budapest Convention) و تنص على وقوف النمسا على الحيـــاد فى حالة قيام حرب بين الدولة العثمانية وروسيا بشـــرط ان توافق روسيا على احتلال النمسا للبوسنة والهرسك فـــى معاهدة الصلح. وفى ٢٤ ابريل عام ١٨٧٧ أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية وأقدمت على الحرب لاعتقادها ان انجلترا لن تستطيع التدخل هذه المرة لتأييد الدولة العثمانية ،فالرأى العام الانجليزى كان قد انصرف كلية عن السياسة التقليديـة القديمة . وكانت خطة روسيا عند دخولها الحرب الاســـراع بعبور الدانوب ومهاجمة القوات العثمانية ثم اختراق جبـال البلقان ومهاجمة القسطنطينية نفسها،وبذا تضع حدا لمسألـة الدولة العثمانية ،كما تضع الدول أمام الامر الواقع.ودعـا انتصار الروس الى التفكير فى شروط الصلح التى تفرض علـــى الدولة العثمانية ،ولكن عندما بدا الخطر واضحا علــــى الاستانة والمضايق ،أرسلت انجلترا ببعض قطع من اسطولهــا الى البحر المتوسط للوقوف على مقربة من الدردنيـل وأدى ذلك الى توتر العلاقات بين روسيا و انجلترا ،و تدخلـــت المانيا للتوفيق بين الدولتيـن .

وفى تلك الاثناء فرضت روسيا فى ٣ مارس عام ١٨٧٨ معاهدة سان استفانو على الدولة العثمانية ،ونصت تلك المعاهدة على اعتراف الدولة العثمانية بحرية الملاحة فى المضايق ،وتعهدها باغلاق البحر الاسود فىوجه الدول المعادية لروسيا فى وقت الحرب . كذلك نصت على استقلال رومانيا بصفة نهائية عن الدولة العثمانية مع منحها جزءاً من دلتا نهر الدانوب . أما بلغاريا فتضم اليها اقليم دبروجة وبذلك تتسع رقعتها وتصبح ولاية كبيرة تتمتع بالاستقلال الذاتى مع الاعتراف بالسيادة الاسمية للباب العالى. و الى ان تصبح تلك الولاية قادرة على حماية نفسها تقوم القوات الروسية باحتلالها. كذلك تلحق أجزاء من الهرسك بالجبل الاسود . أما بخصوص روسيا فتضم اليها اقليم بسارابيا وأردهان وقارص وباطوم وجزء من أرمينية . هذا بالاضافة الى غرامة حربية فرضتها على الدولة العثمانية قدرها ٢٣٥ مليون جنيه .

هاجمت انجلترا والنمسا تلك المعاهدة لانها منحت روسيا امتيازات واسعة فى البلقان ،الى جانب سيطرتها على المضايق والملاحة فى البحر الاسود . فرأت انجلترا ان روسيا حصلت بمقتضى تلك المعاهدة على مركز متفوق فى شرقى البحر المتوسط يهدد مصالح انجلترا وسلامة مواصلاتها الى الهند و جنوب شرقى آسيا ،أما النمسا فلم تحصل على

نصيب من الغنيمة ،وكانت تطمع فى زيادة نفوذها فى غربي البلقان . وهنا اتجهت الانظار الى المانيا وانتقل مركز الثقل السياسى الى برلين ،و تدخل بسمارك لانقاذ السلام الاوروبى فتوسط بين النمسا وروسيا ،ووافقت الاخيرة على الاعتراف بحق النمسا فى البوسنة والهرسك . وبذلك تحقق النمسا السيطرة على غربى البلقان مقابل سيطرة الروس على شرقيه ،وتعادل بالتالى نفوذ الدولتين فى البلقان. أما فى انجلترا ،فقد جرت مفاوضات بين سولزبرى و شوفالوف Shuvalov السفير الروسى فى لندن ،وأوضحت انجلترا انها تعارض معاهدة سان استفانو للاسباب التالية :

أ) ان المعاهدة أوجدت دولة بحرية جديدة هى بلغاريا مما أخل بالتوازن بين دويلات البلقان.

ب) انها وضعت الباب العالى تحت رحمة روسيا .

ولم تمانع روسيا فى تعديل بنود معاهدة سان استفانو بمايتمشى مع مقترحات انجلترا ،ولكن انجلترا كانت وقد وقعت فى تلك الاثناء المعاهدة الدفاعية مع الدولة العثمانية التى احتلت بمقتضاها قبرص . ولما كانت هذه المعاهدة سرية ،فلم تعلم بها روسيا والدول الاوروبية الاخرى. وبذلك ضمنت انجلترا سلامة ممتلكات الدولة العثمانية الآسيوية وسلامة مصالحها الامبراطورية .

واتفقت الدول الاوروبية على ضرورة اعادة النظر في معاهدة سان استفانو في مؤتمر دولي عقد في برلين وكان انعقاد المؤتمر في برلين برئاسة بسمارك اعترافا من الدول الاوروبية بتفوق النفوذ الالماني . وفي الواقع لم يكن اجتماع الدول الاوروبية الكبرى لاعادة النظر في معاهدة سان استفانو بقدر ما كان للموافقة على الاتفاقات التي تمت بين روسيا والنمسا من ناحية ،وبين روسيا وانجلترا من ناحية اخرى . واجتمع المؤتمر في ١٣ يوليو عام ١٨٧٨. وثارت مناقشات عنيفة خلال الجلسات رغم ان كثيرا من المسائل قد سويت قبل عقد المؤتمر ،ولاسيما مايتعلق ببلغاريا وباطوم . وعلى اية حال ،توصل المندوبون الى الاتفاق فيما بينهم على بنود المعاهدة التي تكونت من اربع وستين مادة ،ونصت معاهدة برلين على مايلي :

١) تصبح بلغاريا ولاية لها استقلال داخلي ،و تدفع الجزية و تدين بالولاء للسلطان العثماني . وتكون لها حكومة مسيحية و قوة بوليس قومية .

٢) فصل ولاية الروملي الشرقية من بلغاريا الكبرى ووضعها تحت الحكم العثماني المباشر، وبذلك تكون بلغاريا قد تقلصت .

٣) توضع البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمسوي على ان تظل الادارة العثمانية في صنجق نوفي بازار.

٤) يعترف الباب العالى والدول باستقلال الجبل الاسود.

٥) اعتراف الدول باستقلال الصرب . (بهذا وضع الاساس الذى ستقوم عليه دولة يوغوسلافيا الحديثة) .

٦) اعتراف الدول باستقلال رومانيا التى حصلت على اقليم دبروجة ولكن فقدت بسارابيا التى حصلت عليها روسيا .

٧) تنازل الباب العالى لروسيا فى آسيا عن أراضى اردهان و قارص وباطوم .

٨) أعلن الباب العالى رغبته فى منح حرية الاعتقاد الدينى ،ولايجب ان يقف الاعتقاد الدينى عقبة فى سبيل الحقوق السياسية والدينية وتعترف بحق القناصل فى حماية رعاياهم .

وهكذا حاولت معاهدة برلين (١٨٧٨) التوفيق بين مصالح الدول الكبرى فى البلقان ،ونفذت الى حد كبير سياسة الاستصلاح و التعويض التى وضعها بسمارك بين روسيا وانجلترا والنمسا والمجر،فقوى النفوذ الروسى فى شرقى البلقان ونمى النفوذ النمسوى فى غربه ،ورضيت انجلترا حين وضع حد لاطماع روسيا فى الاشراف على القسطنطينية والمضايق. وذلك فى تقسيم بلغاريا الى قسمين أحدهما مستقل والآخر تحت حكم الدولة العثمانية . وبذلك قضت على اهداف روسيا فى

انشاء الدولة البلغارية الكبرى التى تتمتع بتأييدها. ولكن مع ذلك لم تستطع انجلترا القضاء كليه على اطماع روسيا ،فلقد اتاح لها الاستيلاء على القوقاز واردهان وباطون فرصة طيبة للتوسع فى آسيا من ناحية ،وفى متاخمة حدود الدولة العثمانية واقترابها من آسيا الصغرى والعراق، من ناحية اخرى . ولكن مما خفف على انجلترا استيلاؤها على جزيرة قبرص لايجاد نوع من توازن القوى فى شرقى البحر المتوسط . اما المانيا فقد بدت امام الدول الاوروبية الكبرى دولة منزهة من الاطماع ،كل همها هو استصلاح دول اوروبا و تحقيق السلام المنشود . ولكن خلال السنوات التى ستعقب مؤتمر برلين سيظهر التقارب الواضح بين المانيا و الدولة العثمانية ،اذ سيعتبر العثمانييون ان المانيا رغم قسوتها كانت آكرم من غيرها من الدول فلم تقتطع شيئا لنفسها فى المؤتمر.

وترتب على معاهدة برلين بعض النتائج الهامة نذكر منها مايلى :

١) وضعت المعاهدة حدا لاطماع روسيا فى تقدمها نحو الغرب ووجهتها بطريق غير مباشر الى التوسع فى آسيا حيث بدأت تصطدم بقوى آسيوية واوروبية مثل اليابان وانجلترا وفرنسا.

٢) كان استيلاء انجلترا على قبرص مقدمة منطقية لاحتلال مصر فى الوقت المناسب فجزيرة قبرص تواجه السواحل المصرية الشمالية ،وتمثل نقطة وثوب ومراقبة فى مواجهتها ،وتمنح انجلترا موقعا استراتيجيا هاما تستطيع منه الهيمنه على مصر،ومنع آية دولة اوروبية من الاقتراب منها .

٣) تزايد اهتمام العثمانيين و خاصة السلطان عبد الحميد الثانى بفكرة الجامعة الاسلامية وبالتقارب من المانيا لتستطيع الوقوف امام مطامع الفرنسيين فى تونس و مطامع الفرنسيين والانجليز فى مصر. فاستقدمت الحكومة العثمانية بعثة حربية المانية لتنظيم الجيش العثمانى ،وزاد النفوذ الالمانى فى ممتلكات الدولة العثمانية الى حد أخذت تستغله المطامع الاستعمارية الالمانية الناشئة ،فحاولت المانيا و خاصة بعد سقوط بسمارك ان تعمل على تفوق نفوذها فى آسيا الصغرى و الجزيرة العربية فوضعت مشروع سكة حديد بغداد لتربط بين برلين واستانبول وبغداد لتقاوم نفوذ انجلترا التجارى فى الشرق الاوسط . وأعلنت المانيا صداقتها للعثمانيين و تفوق نفوذها فى البلاط العثمانى ،الامر الذى دعا الى اشارة مخاوف انجلترا من الناحية السياسية و التجارية

مما سيكون له أثر كبير فى التقارب الانجليزى الروسى و تقسيم ايران الى منطقتى نفوذ شمالية لروسيا ،وجنوبية لانجلترا ،ودعا تفوق الالمان فى استانبول انجلترا الى ان تفكر جديا فى القضاء النهائى على الدولة العثمانية بتأييد الفريق الاكبر من سكان الدولة العثمانية وهم العرب ،اذا وقفوا الى جانب انجلترا .

٤) كان من آثر المعاهدة ايضا توجيه النشاط الاستعمارى نحو القارتين الآسيوية والافريقية ،وسينظم موتمر برلين الذى سيعقد فى عام ١٨٨٤ هذا النشاط فى المجال الافريقى ،ووضع مبادىء عامة للاستعمار. ونظم المؤتمر التسابق على مناطق النفوذ طبقا لقاعدة التراضى و التبادل . ووجهت فرنسا حملاتها الى شواطىء افريقيا الغربية من ناحية والى حوض النيجر من ناحية اخرى ،واستولت على ماعرف فيما بعد باسم غانا الفرنسية وعلى ساحل العاج وداهومى . كذلك اتسع نفوذها فى منطقة النيجر الاعلى حتى بلغت بحيرة تشاد وأنشات ماعرف باسم السودان الفرنسى . و هكذا انقسمت مناطق النفوذ الاوروبى فى افريقيا الغربية الى : المنطقة الفرنسية ،وقد ارتبطت بشمال افريقيا بعد الاستيلاء على الصحراء ،وتشمل افريقيا الغربية

الفرنسية والكونغو الفرنسى و ملحقاته و عرفت باسم افريقيا الفرنسية الاستوائية • و منطقة النفوذ الانجليزى و هى أوسع مدى و أعظم ثروة من المنطقة الفرنسية ،وتشمل جامبيا وسيراليون وساحل الذهب و نيجيريا ،ولا يحدها من الداخل سوى منطقة النفوذ الفرنسى • والكونغو البلجيكية و كانت من نصيب بلجيكا ،و كانت أرضها تفيض بالاخشاب الثمينة والمطاط و الجلود والاورانيوم • و كان يتلو هذه المناطق فى الاهمية والثروة منطقة النفوذ الالمانى فى توجو و الكاميرون ،الا ان هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى اضطرتها الى التنازل بمقتضى معاهدة فرساى عن كل حقوقها وامتيازاتها فيما وراء البحار،وتطبيقا لنظام الانتداب الذى وضع عقب الحرب ،ندبت فرنسا و انجلترا لادارة توجو والكاميرون • ولم يقتصر النفوذ الاوروبى على افريقيا الغربية بل امتد كذلك الى افريقيا الجنوبية والى شرقى افريقيا.

٥) اتخذت فرنسا من استيلاء انجلترا على قبرص موضوعا للمساومة ،واعتبرت هذا العمل من قبل انجلترا اخلالا بالتوازن الدولى فى شرقى البحرالمتوسط ،ولم تهدأ ثائرة فرنسا الا بعد أن أكدت لها انجلترا بأنها لن تغير شيئا فى الموقف السياسى فى منطقة الشرق الادنى

الا بموافقتها . كما أبدت انجلترا موافقتها على مطامع فرنسا فى تونس ،و تطلعاتها الى المساواة فى النفوذ مع انجلترا فى مصر .

٣) التحالفات الاوروبية ومعاهدات الضمان(١٨٧٩ – ١٨٩٠) :

لم يؤد مؤتمر برلين (١٨٧٨) الى اقرار الحالة فى اوروبا ،كما لم تعمل معاهدة برلين على حل الخلافات بين الدول الاوروبية الكبرى حلا حاسما . ولقد خرجت روسيا من برلين غاضبة . حقيقة انها اقتطعت من الدولة العثمانية بعض أجزائها الآسيوية ،و فرضت عليها غرامة كبيرة ،و أحلت نفوذها فى بلغاريا ،الا انها ستعمل هى و الدولة العثمانية على عرقلة تنفيذ معاهدة برلين . ولقد شعر بذلك ساسة اوروبا منذ اللحظة الاولى و خصوصا فى مسألة بلغاريا. كما ان روسيا كانت حانقة على المانيا لانها لم تؤيد روسيا التأييد الكافى الذى انتظرته منها عرفانا بالجميل لروسيا علاوة على ذلك ،لم تكن العلاقات الروسية ـ النمسوية جيدة اذ سيطر الشك المتبادل على العلاقات بين الدولتين كما ان اطماعهما فى البلقان كانت متنافسة و متضاربة . و كانت النمسا تشكو دائما من دعاية روسيا الصقلبية و آدركت ان تقدم روسيا فى البلقان من الامور الخطيرة على حياة الدولة النمسوية و انه يجب عليها مقاومتها . و هكذا لم

يكد مؤتمر برلين ينتهى حتى بدأت تظهر والصعوبات فى تنفيذ قراراته . ولكن رغم ذلك ساد السلام فى اوروبا فترة طويلة بفضل سياسة بسمارك القائمة على المحافظة على السلام و تفوق المانيا فى اوروبا .

التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا (١٨٧٩):

ساء الروسيا قبل مؤتمر برلين و أثناءه ان التأييد الالمانى لم يكن قويا فى جانبها ،بل أحست بأن بسمارك كان يعمل على الانتقاض من مركزها واستطلاع انجلترا على حسابها ومما أثار روسيا كذلك موقف بسمارك ازاء النمسا ،اذكانت تعمل على عرقلة نشاط الجامعة الصقلبية فى البلقان،ومساندة المعارضة ضد الروس فى رومانيا . و كان بسمارك يعضد النمسا فى هذه السياسة حتى يضمن اشغالها نهائيا عن مسائل المانيا ،ولكي يجعل مسألة التحالف بين النمسا وروسيا أمرا مستحيلا . ففى عام ١٨٧٩ و افق بسمارك على احتلال النمسا لضنجق نوفى بازار،ولم تستطع روسيا اخفاء غضبها لذلك فقامت بمناورات حربية فى بولونيا على حدود المانيا و عبر القيصر الروسى فى خطاب الى القيصر الالمانى فى اغسطس عام ١٨٧٩ عن ضيقه من موقف المانيا فى البلقان، و حذر القيصر الالمانى من العواقب الوخيمة التى سوف تترتب على سياسة بسمارك .

أما بسمارك فلم يفكر قط فى قطع علاقاته مع روسيـــا ، وكان يعمل دائما على المحافظة على العلاقات السلمية بيـــن المانيا وروسيا . ولكن موقف روسيا أثار مخاوفه ،ورأى نتيجة لذلك ضرورة توطيد علاقته مع النمسا حتى لايهدد مركـــز المانيا فى اوروبا و استفاد بسمارك من وجود عناصر مجريـــة لهانفوذ كبير فى فينا . فالكونت اندراشى وزير خارجيـــة النمسا كان قليل الثقة باتحاد القياصرة الثلاثة و أراد عقد تحالف ثنائى بين المانيا والنمسا ضد روسيا . ومما تجـــدر ملاحظته فى هذا المجال ان روسيا قد فاتحت هى الاخرى فرنســـا وايطاليا بخصوص عقد اتفاق فيما بينهما ،الامر الذى حـــدا ببسمارك الى الاسراع فى عقد التحالف الثنائى مع النمســـا، ولقد اتخذ بسمارك من موقف روسيا ذريعة لكى يثبت للقيصـــر الالمانى سوء نيات روسيا نحو المانيا . ولم تكن موافقـــة القيصر الالمانى سهلة ،فلقد كان حريصا على صداقة زميلـــه الروســـى .

ولكن بسمارك بدأ حملته المدروسة لاظهار الخطر الروسى فى ربيع عام ١٨٧٩ و كانت أول اشارة الى ذلك عندما نشرفـى ٤ فبراير اتفاقا مع النمسا والمجرتعفى المانيا بمقتضـاه من اجراء استفتاء فى شمال شازفيج ،و كان هذا تحديـــــا للقيصرالروسى الذى طالب مرارا بوجوب اجراء الاستفتـــاء. واستطاع بسمارك فى ١٧ اكتوبر عام ١٨٧٩ من توقيع معاهـدة

التحالف بين النمسا والمجر والمانيا ،و كانت هذه المعاهدة
هى أول خيط فى شبكة التحالفات التى قدر لها ان تغطـــى
اوروبا كلها. و كانت المعاهدة عبارة عن حلف دفاعى بسيـط
ضد هجوم روسى و نصت على مايلـى :

أولا : ان تبادر كل من الدولتين المتعاقدين (النمسـا
و المانيا) الى مساعدة الثانية بكامل قواتهـا
اذا ماهاجمتها روسيـا.

ثانيا: وفى حالة مهاجمة فرنسا وايطاليا لاحدى الحليفتيـن
فان الحليفة الثانية تلتزم جانب الحياد الـودى.
فاذا أيدت روسيا الدولة المهاجمة بادرت الدولـة
الحليفة الثانية المتعاقدة الى مساعدة حليفتهـا
بكامل قوتهـا.

و تعنى هذه المعاهدة الدفاعية السرية انه اذا هاجمت
روسيا النمسا فان المانيا تساعد الاخيرة ،واذا هاجمـت
فرنسا المانيا فتقف النمسا على الحياد الودى ،اما اذا
ساعدت روسيا فرنسا فان النمسا تساعد المانيا. وكانت مـدة
المعاهدة خمس سنوات ،وحددت فى عام ١٨٨٣ و ١٩٠٢ و استمرت
حتى عام ١٩١٨ عندما هزمت الدولتان فى الحرب العالميـة
الاولى . ولقد عملت تلك المعاهدة على تقوية السلم فـى
اوروبا لسنوات كثيرة ،كما انها على وجه اليقين ايضـا

آدخلت المانيا واوروبا كلها فى الحرب العالمية الاولى ٠

اتحاد القياصرة الثلاثة Dreikiaserbund (١٨٨١):

ولكن روسيا وجدت فى التحالف الالمانى ـ النمسوى خطرا جديدا موجها اليها ،وأخذت الصحف الروسية تندد بالسياسة الالمانية ٠ ومما ساعد روسيا على تفادى موقف العداء الفعلى من المانيا العلاقة بين قيصرى روسيا والمانيا واخبر القيصر الالمانى صديقه قيصر روسيا بأن هذه المعاهدة ليست الا أداة دفاعية لضمان السلام فى اوروبا ،ورأى القيصر ان من الخير قبول هذا التفسير بسبب المشاكل التى تعرض لها عرشه ،و لم يفكر فى يوم من الايام قطع علاقاته مع المانيا ،لانها دولة ملكية تعمل على صيانة حقوق الملوك ٠ ومن ناحية اخرى لم يكن بسمارك قد تخلى عن روسيا نهائيا ٠ بل كان يود تجديد عرى الصداقة معها على ان لايغضب ذلك حليفته النمسا ،و كان يعمل دائما على اعادة تدعيم اتحاد القياصرة الثلاثة ٠

و فى ٢٧ سبتمبر عام ١٨٧٩ و قبل التوقيع على التحالف الالمانى ـ النمسوى عين سابوروف Saburov سفيرا لروسيا فى برلين ٠ و كان سابوروف يحتقر الميل الى السلاف و يناصر السياسة الدفاعية القائمة على التحالف مع المانيا و كتب الى القيصر الروسى يقول : " ان بروسيا الحميمة

تضعنا فى الموقف الممتاز لنكون القوة الوحيدة فى اوروبا التى لاتخشى هجوما و التى يمكنها تقليل ميزانيتها دون ما مخاطرة كما فعل سيدنا أو غسطين بعد حرب القرم". وفى يناير عام ١٨٨٠، عرض سابوروف رسميا على بسمارك احياء اتحاد القياصرة الثلاثة، و لما كان بسمارك يخشى انتقام فرنسا رحب بتلك المبادرة، و بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين استطاع بسمارك ان يقنع النمسا بالاشتراك فى تحالف الاباطرة الثلاثة الذى وقع فى ١٨ يونيو عام ١٨٨١ .

و قد نص هذا التحالف على الشروط التالية :

أولا : فى حالة اشتباك احد الاطراف المتعاقدة السامية فى حرب مع دولة عظمى رابعة يلتزم الطرفان المتعاقدان الآخران الحياد الودى . (ومعنى هذا انه اذا دخلت المانيا فى حرب مع فرنسا فان النمسا وروسيا تبقيان على الحياد . و كذلك اذا دخلت النمسا فى حرب مع ايطاليا أو روسيا مع انجلترا فان كل من المانيا وروسيا ، او المانيا والنمسا تبقيان على الحياد) .

ثانيا : تحترم الدول المتعاقدة الثلاث حقوق النمسا فى مقاطعتى البوسنة و الهرسك كما نصت عليها معاهدة برلين (١٨٧٨).

ثالثا : تسلم الدول الثلاث بمبدأ اغلاق المضايق (البوسفور والدردنيل) ويجب على الدولة العثمانية الا تشذ من هذه القاعدة لمصلحة دولة ما . وعلى الدول الثلاث ان تخبر الدولة العثمانية بأنها (أى الدولة العثمانية) فى حالة حرب مع الدولة التى تمسها المحالفة فيما اذا أرادت الدولة العثمانية ان تسمح لدولة ما ان تستخدم المضايق فى حالة الحرب ضد دولة اخرى عضوة فى المحالفة (أى ان المضايق يجب ان تغلق فى وجه كل الدول و اذا أرادت الدولة العثمانية فتح المضايق لانجلترا ضد روسيا فان كل من المانيا والنمسا بالاضافة الى روسيا تكون فى حالة حرب ضد الدولة العثمانية) .

و هكذا نجح بسمارك فى التوفيق بين مصالح روسيا والنمسا وقسم البلقان الى منطقتى نفوذ : منطقة روسية فى الشمال ،و منطقة نمسوية فى الجنوب ،ولم تتشابه كثيرا العصبة الجديدة بعصبة عام ١٨٧٣ ،وكان ذلك اخر مظهر للمقاومة من جانب العناصر المحافظة فى اوروبا . وان اتحاد القياصرة الثلاثة نصرا للروس وربما لبسمارك ايضا ،فقد تحررت المانيا من اضطرارها للخيار بين الروسيا والنمسا والمجر فى البلقان . و حصلت روسيا على الامن فى البحر

الاسود فى مقابل وعد باتباع السلوك السلمى الذى دفعهما اليه ضعفها الداخلى لتحافظ عليه على اية حال . ولقد أدى اتحاد القياصرة الثلاثة ، الذى كان حلفا للصداقة مع روسيا بطريقة غير مباشرة الى التحالف الثلاثى الذى كان تحالفا ضدها بكل وضوح .

التحالف الثلاثى Triple Alliance (١٨٨٢) :

رمى بسمارك شباكه لاقتناص حليف آخر ،وتمكن بدهائه المنقطع النظير من ان يجمع شمل النمسا وايطاليا فى صعيد واحد ،رغم ماكان بينهما من تضارب كبير فى المصالح الحيوية . وعلى العموم كانت الرابطة بين ايطاليا واوروبا الوسطى أقدم الروابط فى التاريخ الاوروبى . و كانت ايطاليا القومية أساسا لانتصار المانيا القومية . وكان التحالف الايطالى حاسما فى حرب عام ١٨٦٦ ،و لولا ايطاليا لاتحدث فرنسا والنمسا والمجر ضد بسمارك عام ١٨٧٠ . ولكن فى مؤتمر برلين تجاهلت الدول الاوروبية مطالب ايطاليا و عوملت على نفس مستوى اليونان والدولة العثمانية . و حصلت النمسا و المجر على البوسنة والهرسك ،وانجلترا حصلت على قبرص ،وشجعوا فرنسا على أخذ تونس ،وعاد مندوبو ايطاليا بمفردهم من المؤتمر وأياديهم نظيفة . ودعا ذلك الموقف الى اتجاه نشاط ايطاليا الى الشاطئ الافريقى المواجه لها،و نازعت

ايطاليا كل خطوة او مشروع فرنسى فى تلك المناطق منازعة عنيفة . و كانت فرنسا على يقين بأن ايطاليا تسعى الى ان يكون لها مركز مساو لمركز فرنسا فى تونس ،واحتدم النزاع بين الدولتين ،وادعت ايطاليا ان وجود فرنسا فى تونس فيه تهديد خطير لأيطاليا ومستقبلها . ولكن فرنسا عزمت على ألا تتواجد دولة اوروبية بجوار الجزائر . ورأى الفرنسيون فى النهاية سرعة التدخل الحربى فى تونس ،و كان من اكبر العاملين على تنفيذ ذلك سان فالير سفير فرنسا فى برلين ، الذى بذل جهده لاقناع الحكومة الفرنسية بالتدخل قبل ان تقفز دولة اخرى فتحل محل الفرنسيين فى هذه البلاد. فاحتلت قوة فرنسية البلاد،و فى ١٢ مايو عام ١٨٨١ وقع الباى معاهدة باردو وقبل الحماية الفرنسية .

صارت ايطاليا لاحول لها ولاقوة ،ونظرت الى احتلال الفرنسيين لتونس كاذلال جديد لها . ووجدت ايطاليا ان كلا من انجلترا وفرنسا لايأبه كثيرا للمصالح الايطالية ،كما وجدت الملكية الايطالية ازاء الفوضويين والاشتراكيين والجمهوريين الايطاليين ان الملجأ الحقيقى هو ملكيات اوروبا الوسطى.

ورأت ايطاليا ضرورة التضامن مع المانيا ، لاسيما عندما آخذ بسمارك يستصلح البابوية ،فخشيت الحكومة الايطالية ان يقوم حلف بين المانيا والبابوية على حساب

الوحدة الايطالية الحديثة . و لما قصررت الانضمام الى المانيا ذكرها بسمارك ان الطريق الى برلين لابد ان يمر بفينا وعلى ايطاليا ان تحسن علاقاتها مع النمسا . وفى اكتوبر عام ١٨٨١ قام همبرت ملك ايطاليا بزيارة فينا ، وكان بطريقا طويلا منذ أيام كافور العظيمة . وعرض الايطاليون على النمسا و المجر أمنا متبادلا ،وأوضحوا ان فرنسا تهددهم، ولكن الهدف الحقيقى من الضمان هو داخليا لكى يصونوا الملكية من تغيير مفاجىء يقوم به الجمهوريون أو من تدخل الدول الاجنبية لاعادة سلطة البابا الزمنية . ولكن هذه الزيارة لم تؤد الى النتيجة المرجوة .

و فى فبراير عام ١٨٨٢ أحيا بسمارك المفاوضات مرة أخرى . والسبب فى ذلك ان جمبتا GEMBETTA الوطنى الراديكالى الكبير قد أصبح رئيسا للوزراء فى فرنسا للمرة الاخيرة (نوفمبر عام ١٨٨١) ،وود فى نهاية الامران يتحالف مع الروسيا وانجلترا ،كما ود أكثر ان يتصالح مع ايطاليا ، وانتوى ان تنهى هذه الامور ثقل وزن المانيا وتجعل تسوية مسألة الالزاس واللورين بالمفاوضات أمراميسورا. ولم ينزعج بسمارك من هذه البادرة ،فقد تمنى شخصيا بطريقةغامضة ان يتصالح مع فرنسا . بيد ان وصول جمبتا ان له تأثير ملحوظ على سياسة روسيا التى سعت فى هذا الوقت الى التحالف مع فرنسا . حقيقة ان جمبتا قد سقط ولم يتحقق آمل الروسيا

فى تنفيذ تلك السياسة ،ولكن موقف روسيا هذا هزايمـان بسمارك فى سياسة المحافظين الروس • وفى ٢٨ فبراير حث بسمارك النمسا على احياء المفاوضات مع ايطاليا،و آسفرت المفاوضات الثنائية بين النمسا وايطاليا عن مخالفة ثلاثية اشتركت فيها المانيا ووقعت فى ٢٠ مايو عام ١٨٨٢

وقد نصت معاهدة التحالف الثلاثى على المواد التالية:

المادة الاولى: تعد الاطراف المتعاقدة السامية بعضها البعض بالسلم والصداقة و بعدم الدخول و فى أى تحالف او التزام موجه ضد اى من هذه الدول • و تتعهد الدول المتحالفة بتبادل الاراء حول المسائل السياسية والاقتصادية ذات الصبغة العامة والتى تبرز ،كما تتعهد ايضا بتأييد بعضها البعض فى نطاق مصالحهم الخاصة •

المادة الثانية : فى حالة تعرض ايطاليا للهجوم لاى سبب كان من جانب فرنسا دون ان تثير (ايطاليا) أى استفزاز ،فان الطرفين الاخيرين المتعاقدين سيضطران الى تقديم العون والمساعدة بكل قواها للطرف الذى يهاجم • وينطبق هذا الالتزام نفسه على ايطاليا فى حالة هجوم من جانب فرنسا ضد المانيا دون ان تثير اى استفزاز مباشر•

المادة الثالثة : اذا ماحدث وهوجم طرف اوطرفان من الاطراف السامية المتعاقدة دون ما استفزاز مباشر من

جانبها واذا ماوجدت نفسها وقد انخرطت فى حرب مع دولة او اكثر من الدول العظمى لم توقع على المعاهدة الحالية فان هناك مايبرر قيام كل الاطراف المتعاقدة السامية بالحرب فى وقت واحد .

المادة الرابعة : اذا ماهددت دولة عظمى غير موقعة على المتعاهدة الحالية سلامة الدول الساميةالمتعاقدة ، واذا ماوجدت الدول المهددة نفسها على هذا النحو مدفوعة الى شن الحرب ضد تلك الدولة فان الطرفين الاخريين يلتزمان بالحياد المشوب بالعطف بجانب حليفتهما و تحتفظ كل منهما بحقها فى الاشتراك فى الحرب اذا مارأت أنه من المناسب جعلها قضية عامة مع حليفتهما .

المادة الخامسة : اذا مابرز أى تهديد لسلم أحد الاطراف المتعاقدة فى الاحوال المنصوص عليها فى المواد السالفة الذكر ،فان الاطراف المتعاقدة السامية تجتمع مع بعضها البعض فى الوقت المناسب حول موضوع الاجراءات العسكرية المطلوبة لاجل تعاونهما النهائى . و تتعهد انه من الآن فصاعدا وفى كافة الاحوال و فى حالة اشتراكهما فى الحرب معا بأنها لن تعقد هدنة او صلحا أو معاهدة الا بالاتفاق المتبادل .

و كانت مدة المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد،
وكانت معاهدة دفاعية بحتة غايتها المحافظة على السلم
فى اوروبا . وفى الظاهر ربط هذا التحالف وسط اوروبا معلنا
وأحيا الامبراطورية الرومانية المقدسة على اوسع نطاق يتمشى
مع السياسة الخارجية . أما من الناحية العملية ،فقد أيد
التحالف فقط الملكية الايطالية وضمن حياد ايطاليا فى حالة
نشوب حرب نمسوية مجرية ضد الروسيا . وقد وعدت المانيا
بالدفاع عن ايطاليا ضد فرنسا ،و لذا كانت المساعدة
الايطالية لا قيمة لها ،فلم تحصل المانيا اذا على المقابل
وفى الواقع كان بسمارك يعلم ان الفرنسيين لاينوون الهجوم
على ايطاليا ولهذا السبب فلم يعتبر أن الالتزام يشكل
عبئا ،كما علم بذلك الايطاليون ايضا . وكانت حاجتهم الحقيقية
هى الاعتراف بهم كدولة عظمى لاحمايتهم من فرنسا ،و لقد
أعطاهم التحالف الثلاثى هذا الامر .

و على آية حال تفوت المحالفات التى قام بها بسمارك
بالاتفاقيتين آخريين قامت بهما النمسا مع الصرب ورومانيا
ففى عام ١٨٨١ وقعت النمسا معاهدة مع الصرب ،و عهدت
بموجبها الصرب بمساعدة العائلة المالكة هناك وان تستخدم
نفوذها بين الدول الاخرى لتأييد مصالح الصرب . ومن ناحية
أخرى وعدت الصرب النمسا بعدم عقد معاهدة سياسية مع دولة
اخرى دون تفاهم سابق مع النمسا . وفى عام ١٨٨٣ عقدت

النمسا معاهدة مع رومانيا التى أجبرت على التنازل عن جزء من بسارابيا الى الروسيا فى معاهدة برلين . وتعهدت النمسا بمقتضى هذه المعاهدة بمساعدة رومانيا اذا هوجمت من قبل دولة ثالثة دون استفزاز من جانبها . كما يجب على رومانيا التفاهم مع النمسا اذا هوجمت الاخيرة فى جزء من آراضيها المتاخمة لرومانيا . وقد انضمت المانيا الى هذا التحالف . أما ايطاليا فقد انضمت اليه عام ١٨٨٨ .وجددت للمعاهدة الى عام ١٩١٣ وهكذا اصبحت النمسا فى مركز قوى فى البلقان .

تجديد التحالف الثلاثى (١٨٨٧) :

بعد مؤتمر برلين لم تستقر الاحوال فى البلقان ،وكانت الروسيا غير راضية عن تقسيم بلغاريا ،ولكنها حاولت على الرغم من ذلك الاستفادة من شروط معاهدة برلين التى تقضى باحتلال الروس لبلغاريا آشهرا معدودات . واختار القيصر بموافقة الدول أحد اقربائه وهو اسكندر امير باتنبرج الالمانى للعرش البلغارى .

ورغم اخلاء الروس لبلغاريا إلا انهم ظلوا يحتلون معظم الوظائف المهمة مؤملين ان يظلوا اصحاب النفوذ الاعلى فيها . وفى بلغاريا الجنوبية (الروملى الشرقية) التى تركت تحت اشراف الباب العالى ،عمل المندوب الروسى الذى

كان يحكمها على اثارة الشعور ضد الباب العالى ،و على ايجاد نظم مماثلة لنظم بلغاريا الشمالية لتوحيد بلغاريا ولكن البلغاريين كانوا يعملون على الاستقلال عن كل من الدولة العثمانية وروسيا . وحقد البلغاريون على الروس لاحتلالهم المناصب المهمة فى الدولة. وفى ذلك الوقت أعلن بسمارك انه ليس لالمانيا مصالح فى بلغاريا وان مصلحتها هى اقامة علاقات السلام مع روسيا ،وكان يرى ألا تقحم النمسا نفسها فى مسائل بلغاريا ،و ان تترك الروسيا تفعل ماتشاء فى بلغاريا وكان دائما قلقا لاضطراب العلاقات الروسية النمسوية ،لأن النمسا ربما كانت تطمع فى ان يحل نفوذها محل الروس فى بلغاريا .

أما الروسيا فكانت ترى أنه اذا انضمت البلغاريتان فينبغى ان يكون ذلك عن طريق الروسيا لا عن طريق باتنبرج. وفى عام ١٨٨٥ قامت الثورة فى بلغاريا الجنوبية (الروملى الشرقية) وطرد الحاكم العثمانى ،واضطر باتنبرج الى قبول التاج بعد تردد . وغضبت روسيا وطلبت من الدولة العثمانية عقد مؤتمر دولى فى الاستانة للنظر فى هذه المسألة ،ولكن الصرب استعدت لاحتلال مقدونيا واعادة التوازن فى البلقان ،وطلبت من النمسا تأييدها. وازاء تردد النمسا، أعلنت الصرب الحرب على بلغاريا ،و بعد هزيمة الصرب أرسلت النمسا الى بلغاريا تطلب وقف الحرب و الافانها

ستساعد الصرب . وفعلا عقدت الهدنة بين الطرفين فى ديسمبر عام ١٨٨٥ . أما بالنسبة لبلغاريا فقد اتفق امير باتنبرج مع العثمانيين على ضم الروملى على ان تعين الدولة " الامير البلغارى حاكما عاما على الروملى الشرقية " و تم تحقيق ذلك فى ٨ فبراير عام ١٨٨٦ لمدة خمس سنوات ، ولكن روسيا عملت على طرد آمير باتنبرج من العرش البلغارى، وأجبروه على التنازل عنه ،وفرض القيصر على بلغاريا أميرا يتوافق عليه هو . واختار البلغاريون آميرا دانمركيا فرفض القيصر ،وتقرر عقد مجلس وطنى فى بلغاريا لتقرير من يحكم البلاد ،غير ان روسيا أعلنت عدم استطاعتها الاعتراف بهذه الخطة و لا بقرارات المجلس . وعندما انتخب المجلس اميرا دانمركيا قطعت الروسيا علاقاتها السياسية ببلغاريا .

و آعلنت النمسا فى ذلك الوقت انها لاتسمح بتغيير الوضع الراهن فى البلقان مما آدى الى تكدير العلاقات الروسية ــ النمسوية بدرجة آعلن معها السفير الروس فى برلين " بأنه من الضرورى لنا آن نعمل على اختفاء النمسا من خريطة اوروبا" . وأصبح موقف بسمارك حرجا للغاية ، اذ قال الروس انه لولا تأييد المانيا لما استطاعت النمسا ان تتحدث بهذه اللغة . وكان بسمارك حريصا على عدم اصطدام المصالح النمسوية ــ الروسية فى البلقان ،و على المحافظة على اتحاد الاباطرة الثلاثة . وفى نفس الوقت أعلن

أنه سيقف بجانب النمسا اذا تهدد مركزها كقوة عالمية . لكنه من ناحية اخرى قال بأنه لايعارض أى خطوة تخطوها الروسيا فى بلغاريا ماعدا الاحتلال ،وانه لايعارض فى ان تشرف الروسيا على المضايق، . ومما دفع ببسمارك الى اتباع هذه السياسة هو علاقاته السيئة مع فرنسا فى عام ١٨٨٦ ،ففرنسا كانت مستعدة للحرب اذا ماقامت بين المانيا والروسيا فلقد قوى مركز الملكيين فى البرلمان الفرنسى و عين بولنجر وزيرا للحربية ،و أعلنت فرنسا ان سياستها ستتركز فى اوروبا .

و فى الواقع كانت الإوضاع فى فرنسا مثيرة للقلق، فلقد شعرت فرنسا بعزلتها السياسية منذ معاهدة فرانكفورت ونتيجة لمسألتى تونس و مصر ،وبعد توقيع التحالف الثلاثى. فبالنسبة لمصر أعلنت انجلترا انها لن تبقى فيها بعد استقرار النظام فى البلاد ،ولكن مرت سنوات ولم تنفذ انجلترا وعدها ،ورفضت مناقشة فرنسا فى موضوع الجلاء. كما ان العلاقات الفرنسية ـ الايطالية لم تكن أسعد حالا بسبب احتلال فرنسا لتونس . وعمل ساسة فرنسا حينئذ على ايجاد وفاق فرنسى ـ روسى . و منذ ان تولى بولنجر منصب وزير الحربية ، اصبح رمز المطالبة بالثأر والانتقام ومحرر الالزاس واللورين ،و مصدر فزع لالمانيا وأمل لفرنسا. ولم يشعر بسمارك بالارتياح ازاء موقف فرنسا ،خصوصا وأن بولنجر

اهتم بالجيش واصلاحه ،ولقد خشى بسمارك ان تغتر فرنسا فتعلن الحرب ، وازداد الموقف خطورة بعد التطورات السابقة التى حدثت فى بلغاريا ،واستياء الروس من سياسة النمسا واعتقادهم بأن المانيا تعضدها ،وهنا أصبح تحالف فرنسا مع روسيا أمرا محتمل الوقوع فى عام ١٨٨٦،

و على اثر ذلك تقدم بسمارك بلائحة الى الرايخ الالمانى فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٨٦ يذكر فيها نية الحكومة فى تقوية الجيش و تسليحه ،و خاصة لأن اتحاد القياصرة الثلاثة أصابه الفتور،وان روسيا تعطف على فرنسا التى ظهر فيها الجنرال بولنجر بطل الانتقام الفرنسى من المانيا ، وبدأ بسمارك يهتم بتجديد التحالف الثلاثى الذى كانت مدته على وشك الانتهاء ،وذلك لبناء سد منيع فى وجه التقارب الروسى ـ الفرنسى ، و كانت النتيجة المباشرة هى تجديد المحالفة التى كانت ستنتهى فى مايو عام ١٨٨٧، بين ايطاليا والنمسا ،ولكن ايطاليا لم ترغب فى تجديد المحالفة الاولى بحذافيرها ،وانما رغبت فى ادخال بعض التعديلات فى قسم من مواد المحالفة ، ولما كان الموقف الدولى حرجا ، اضطر بسمارك الى قبول التعديلات التى اشتملت على:تجديد المحالفة القديمة كما هى ،عقد معاهدة جديدة بين المانيا وايطاليا وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وايطاليا ووقعت المعاهدات فى برلين فى ٢٢ فبراير عام ١٨٨٧،

وقد نصت المادة الثالثة من المعاهدة الالمانيـــــــة الايطالية على انه " اذا حدث ان أرادت فرنسا بسط سيطرتهـا اوفرض حمايتها على الاراضى فى شمال افريقيا كطرابلـــــس او تونس اومراكش فان للحكومة الايطالية الحق كى تحافـــظ على وضعها فى البحر المتوسط ، ان تقوم بحركاتفى شمـــــال افريقيا ،او ان تتخذ اجراءات عسكرية فى الاراضى الفرنسية فى اوروبا . ان الحالة الحربية التى تنشأ من جراء ذلــك بين فرنسا وايطاليا تلزم الدولتين الحليفتين (المانيـــا وايطاليـــا) التشاور فيما بينهما بطلب من ايطاليا لاجــل اتخاذالمقاييس العسكريةكمالو كانت الدولتان فى تفاهم سابـــق بينهمـــا .

و جاء فى المادة الرابعة من نفس المعاهدة انـــــه " اذا دارت الدائرة على فرنسا من جراء الحرب التى تقـوم بها المانيا وايطاليا بصورة مشتركة ضدها ،وأرادت ايطاليا الضمان الاقليمى من فرنسا لأجل المحافظة على حدود المملكـة ولاجل جماية اقاليمها البحرية ،و للمحافظة على سلامـــــة البلاد واستقرارها والسلام الاوروبى ،فيجب على المانيـــــا ان لاتقدم عوائق بشأن هذه المطالب ،واذا اقتضت الحاجـــة ان تقدم المانيا التسهيلات اللازمة لاجل الحصول على هـــذه المطالب من فرنســـا ".

أما المادة الاولى من المعاهدة الايطالية- النمسوية فقد نصت على ربط الدولتين بالمحافظة على الوضع الراهن فى الشرق ،واضافت : " اذا كانت المحافظة على الوضع الراهن صعبة فى البلقان او فى بحر ايجة او فى سواحل الدولة العثمانية وجزر الادرياتيك ،واذا أرادت دولة ثالثة ، أو أن النمسا او ايطاليا وجدت انها مضطرة الى تعديل هذا الوضع باحتلال موقت او دائم يجب ان يكون هذا الاحتلال نتيجة لاتفاق سابق بين الدولتين على اساس التعويض المتبادل لكل فائدة تجنيها هاتين الدولتين ،سواء أكانت الفائدة اقليمية او غيرها.. وان ترضى كل منهما الاخرى من ناحية المصالح والمطالب التى تدعيها كل منهما " .

ولقد رفعت هذه المعاهدة من قيمة ايطاليا ومن مركزها فى البحر المتوسط وفى البلقان . وعلى العموم اصبح لهذا التحالف صبغة هجومية واعترف بحق ايطاليا فى تأسيس امبراطورية استعمارية .كما اعترف بحقها فى نيس وكورسيكا وتونس كضمانات فى حالة حرب ناجحة مع فرنسا . كذلك اعترف بحق ايطاليا فى تعويض أرضى فى حالة قيام حرب المانية فرنسية . ولقد وافق بسمارك على اعطاء كل تلك الامتيازات لايطاليا لانه كما قال : " اذا أرادت دولة التخلص من شرط معاهدة لن تجد صعوبة كبيرة فى تفسيره التفسير الملائم". ومما تجدر ملاحظته ان المادتين الاخيرتين فى المعاهدة غامضتان .

معاهدة الضمان الالمانى ـ الروسى Reinsurance Treaty (١٨٨٧):

فى اليوم الذى تم فيه تجديد التحالف الثلاثى كتبت صحيفة نورد Nord الروسية تقول ان روسيا سترقب الاحداث على الراين باهتمام وان مصلحتها تحتم عليها ألا تقف موقف الحياد كما حدث فى عام ١٨٧٠ عند وقوع الحرب الفرنسية البروسية ، وان روسيا لن تسمح بأن تصبح فرنسا دولة ضعيفة . وقد ساعد تسرب الاخبار عن تجديد التحالف الثلاثى على التقارب بين روسيا وفرنسا. وفى تلك الاثناء ايضا وقع حادث تافه على الحدود الفرنسية الالمانية مما دفع ببولنجر الى حشد قواته على الحدود والتهديد بالحرب ، ولكن الوزارة الفرنسية سقطت ، وسر بسمارك لخروج بولنجر، وبدأ يعمل على استصلاح روسيا وتوجيه اهتمامها الى الشرق والى المناطق التى تحتاج فيها الى تأييد المانيا .

وفى ذلك الوقت تغيرت وجهة نظر السياسة الروسية تجاه المانيا ،وأرسل القيصر الروسى شوفالوف الى برلين بعد ان عرضت فكرة عقد اتفاق روسى ـ المانى على سفير المانيا فى بطرسبرج ووجدت ترحيبا منه . واشتملت التعليمات التى اصدرها القيصر الى شافالوف على الموضوعات التالية :

آ ـ ضمان السلام اللازم لنمو قوى روسيا الحربية والبحرية ولحماية روسيا من المخالفات الاوروبية .

ب ـ العمل على ابقاء الوضع الراهن فى البلقان والاعتراف بتفوق النفوذ الروسى فى بلغاريا.

ج - اغلاق المضايق .

وروسيا كانت ترغب فى تحقيق ذلك عن طريق التأييد الالمانى.

وقد اعترضت فكرة التحالف الروسى - الالمانى مدة صعوبات فبسمارك لم يكن على استعداد لاخراج النمسا من التحالف وعلى الرغم من ذلك بدأت المفاوضات فى ١١ مايو عام ١٨٨٧، وانتهت فى ١٨ من نفس الشهر ،واتفقت الدولتان (المانيا وروسيا) على توقيع معاهدة سرية بينهما سميت بمعاهدة الضمان الروسى - الالمانى . وقد نصت المادة الاولى على انه " اذا هوجمت احدى الدولتان المتعاقدتان من قبل دولة ثالثة تلتزم الدولة الاخرى المتعاقدة جانب الحياد الودى . ان هذا النص غير نافذ المفعول فى حالة هجوم احدى الدولتين المتعاقدتين على النمسا او فرنسا". ونصت المواد الاخرى على مايلى :

أ - اعتراف المانيا بالحقوق التاريخية لروسيا فى البلقان ، وبحق الروس فى تفوق نفوذهم فى بلغاريا .

ب - تتعهد الدولتان بالعمل على المحافظة على الوضع الراهن فى البلقان .

ج - تتعهد الدولتان بفرض رغبتهما على الدولة العثمانية بضرورة اغلاق المضايق فى وجه أعدائهما .

وهكذا ضمنت المانيا حياد روسيا فى حالة اعتداء فرنسا عليها كما أن روسيا ضمنت حياد المانيا اذا ما هاجمتها النمسا .ولم يكن بسمارك مضطرا لمساعدة النمسا فى حالة

اعتدائها على روسيا • كما انه لم يكن ينوى الهجوم على فرنسا لأن المانيا لا تنوي الحرب مع فرنسا • ولقد اعترف بسمارك بمصالح روسيا فى البلقان ، وأيد روسيا في الاجراءات التى تتخذها بشأن المضايق (البوسفور والدردنيل) وذلك بوقوف المانيا على الحياد وتأييد روسيا دبلوماسيا ،ولكن بسمارك كان يعلم أن بنود معاهدة التحالف الثلاثى بخصوص البحر المتوسط والبلقان كانت قوية الى درجة تمنع روسيا من تحقيق ما تريده بشأن المضايق حتى اذا وقفت المانيا على الحياد • وكانت مدة المعاهدة ثلاث سنوات وقد وقعت هذه المعاهدة فى عام ١٨٩٦ ،واتهم بسمارك بأنه خان النمسا فى هذه المعاهدة ،ولكن الامر غير ذلك فلقد أعلن بسمارك بأنه غير ميال لتأييد سياسة النمسا البلقانية أو الدخول فى حرب من أجلها • ولقد كانت هذه المعاهدة وفقا لرغبته فى تقسيم البلقان الى منطقتى نفوذ شرقية فى بلغاريا والاستانة والمضايق لروسيا وغربية للنمسا • وبتوقيع معاهدة الضمان أتم بسمارك سياسة التحالفات ،وبذلك ضمن سلامة المانيا نظريا على الاقل • وعمل بسمارك على عدم معارضة السياسة الروسية فى بلغاريا ،وأيد اتحاد دول البحر المتوسط ليضع حدا لمطامع الروسيا ،ولكى يمنع تحالفها (أى الروسيا) مع فرنسا •

ثانيا - التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠-١٩١٤):

في عام ١٨٨٨ توفى الامبراطور الالمانى وليم الاول وخلفه حفيده وليم الثانى على العرش ،ومنذ ذلك الوقت بدأ الخلاف بين الامبراطور وبسمارك . وكان وليم الثانى رجلا ذكيا ونشيطا ،وعلى الرغم من اعجابه ببسمارك الا أنه لم يرغب ان يقف مكتوف الايدى بينما يحكم بسمارك حكما مطلقا . وكان بسمارك قد بلغ سن الشيخوخة واصبح متمسكا بآرائه الامر الذى أدى الى الصدام بين الطرفين . وانتهز أعداء بسمارك الفرصة لتوسيع الخلاف بينهما ،فعندما حل موعد انتهاء معاهدة الضمان الالمانى - الروسى فى عام ١٨٩٠ والتى كان بسمارك قد وعد القيصر الروسى بتجديدها ، رفض وليم الثانى ذلك واقتنع بآراء خصومه بأن مواد معاهدة الضمان تخالف مواد المعاهدة الثنائية بين النمسا والمانيا فى عام ١٨٧٩ ، وحينئذ استقال بسمارك ، ولم تجدد المانيا المعاهدة على الرغم من رغبة روسيا فى ذلك ولذلك اضطرت روسيا الى البحث عن حليفة أخرى ،وارتمت فى احضان فرنسا.

وترجع اهمية عام ١٨٩٠ فى التاريخ الاوروبى الى انها سنة فاصلة فى الفترة ما بين ١٨٧٠ و ١٩١٤. فلقد تخلى بسمارك فى تلك السنة ،كما رأينا ،عن ادارة أمور السياسة الاوروبية ولقد أعلن سولزبرى ان سقوط بسمارك " مصيبة هائلة". وكانت

برلين مركز السياسة الدولية الاوروبية .وفى الواقع ان بسمارك دعامة السلام الاوروبى ،ولكن سقوطه كان يعنى تغيير السياسة الخارجية الالمانية ، فرفضت المانيا تجديد معاهدة الضمان مع روسيا ،بينما كانت سياسة بسمارك بناء التحالف الثلاثى وتجديده وحفظ العلاقات الودية مع روسيا ،والعمل على كسب صداقة انجلترا ،وابقاء فرنسا فى عزلة سياسية حتى لاتفكر جديا فى حرب مع المانيا .

التحالف الثنائى بين فرنسا وروسيا (١٨٩١ - ١٨٩٤):

كان عدم تجديد معاهدة الضمان ورفض المانيا اعطاء روسيا وعدا مكتوبا ببقاء المانيا على سياستها القديمة ازاء روسيا، أعطى الدولة الاخيرة جرية فى العمل . فلقد شعرت روسيا بعزلتها ،وعرفت ان المانيا تريد ان تستبدل بالتحالف الروسى التحالف الانجليزى ، فأخذت روسيا تبحث من حلفاءها ولذلك تعاونت مع فرنسا فى المسألة المصرية ،و تأكدت روسيا نهائيا من موقف المانيا التى حاولت تقوية التحالف الثلاثى و تأييد النمسا ،بل واطلعت النمسا على معاهدة الضمان التى عقدها بسمارك معها ،وأيدت نهائيا و جهة النظر النمسوية فى البلقان .

و من ناحية آخرى آخذت فرنسا بعد سقوط بسمارك تلعب دورا ايجابيا فى السياسة الاوروبية فحاولت ابعاد ايطاليا

من التحالف الثلاثى و من تحالف البحر المتوسط،و تدخلت فى امور الفاتيكان و ضد مصالح ايطاليا الاستعمارية . وتعاونت فرنسا مع الروسيا فى خلق المشاكل لانجلترا فى مصر ،كما احتجتا على المعاهدة الانجليزية الالمانية التى أعطت الانجليز الحق فى فرض الحماية على زنزبار، و شعرت انجلترا بالقلق ازاء موقف الروسيا وفرنسا من السياسة الانجليزية فى مصر ،و لذلك عمل سولزبرى على توشيق ملاقاته مع النمسا وايطاليا ،وفى نفس الوقت دارت محادثات بينه وبين مارشال (Marshall) وزير خارجية المانيا أظهرت اتفاق آراء الدولتين . وكان لذلك وقع سيىء فى كل من فرنسا و الروسيا ،لاسيما بعد أن أعلنت الحكومة الانجليزية فى البرلمان عن وجود اتفاق بينها وبين ايطاليا منذ عام ١٨٨٧.

و كان الرد الطبيعى على ذلك هو التقارب بين فرنسا وروسيا ،واظهرت فرنسا انها لاتستطيع اقراض الروسيا الا اذا عملت الاخيرة على زيادة التقارب منها . وكانت الروسيا فى أشد الحاجة الى مساعدة فرنسا المالية لتنظيم ماليتها ولاستكمال بناء خطوطها الحديدية . وكان الراى العام الروسى والصحافة الروسية مؤيدة للتحالف ،وهكذا بدأت المفاوضات بين الدولتين وانتهت بعقد التحالف بينهما عام ١٨٩١.

وقد نصت الاتفاقية على مايلـــي :

١) تتعهد الدولتان المتعاقدتان التفاوض فى كل مسألــة من شأنها تهديد السلام العام.

٢) اذا حدث تهديد السلم فعلا ،و خاصة فى حالة تهديــد أحد الطرفين المتعاقدين من قبل الاعداء ،فانهمـــا يتفقان على الخطط التى تتطلبها أهدافهــما.

و هكذا اتفقت الدولتان على ان تساعد كل منهمـــا الاخرى حربيا اذا اعتدت دولة من دول التحالف الثلاثى علـى احداهما ،و أن يتناقش أركان حرب الدولتين فى وقت السلـم، وألا تعقد فرنسا أى معاهدة منفردة مع دول التحالف الثلاثـى، وان تكون المعاهدة سرية . غير ان هذا التحالف كان غامضـا وكان الوضع الدولى قلقا خلال عام ١٨٩٣. فطلب الفرنسيـون اكمال الحلف بميثاق عسكرى ،وقد تم ذلك فى عام ١٨٩٤ ، وبموجبه تعهدت روسيا بمساعدة فرنسا بمليون و نصف جنـدى اذا ماهاجمتها المانيا. كما وعدت فرنسا روسيا بنفس العدد اذا ماهاجمتها النمسا تساعدها المانيا. وبذلك تكـون مايسمى بالتحالف الثنائى . ووطدت دعائم الحلف زيـارة القيصر نقولا الثانى لفرنسا عام ١٨٩٤ حيث استقبل بحفـاوة بالغة ،ورد مسيو فور رئيس الجمهورية الفرنسية ،له الزيارة فى العام التالـي .

٣) ظلت انجلترا منعزلة عن التحالفات الاوروبية ،وقد شعرت بمنافسة المانيا لها لاسيما فى مجال الاستعمار، ولذلك بدأت تتفاوض مع روسيا والمانيا لاقامة تقارب معهما .

و من العوامل التى شجعت على التقارب الانجليزى الالمانى مضايقات فرنسا المتتالية للاحتلال الانجليزى لمصر، مما جعل انجلترا فى حاجة الى تأييد قناصل دول التحالف الثلاثى لمشروعاتها فى توطيد الاحتلال واستمراره . ولما شعرت انجلترا بخطورة عزلتها ،فاتح جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ، السفير الالمانى فى لندن فى عام ١٨٩٨ فى موضوع اقامة تحالف انجليزى - المانى . ولكن بيلوف Bulov مستشار المانيا لم يكن متحمسا لذلك التحالف خوفا من ان تستخدمه انجلترا لاغراضها الخاصة دفاعا عن مصالحها . وفى عام ١٨٩٩ ،زار القيصر الالمانى انجلترا وفاوض تشمبرلين بيلوف فى الموضوع . غير ان قيام حرب البوير[١] (١٨٩٩-١٩٠٩)

---

(١) قامت هذه الحرب بسبب الخلاف القديم بين الانجليز والهولنديين (البوير) فى جنوب افريقيا . وكان الهولنديون قد استعمروا رأس الرجاء الصالح،واستولت انجلترا على هذا الميناء أثناء الحروب النابليونية ولم يستطع المستعمرون الهولنديون البقاء تحت الحكم الانجليزى ،فهاجرت الغالبية العظمى منهم شمالا وكونت جمهوريتين هما: الترنسفال والاورنج. وعندما اكتشف

التحالف الانجليزى ـ اليابانى (١٩٠٢):

تم التوازن بين دول الوفاق الثنائى (فرنسا وروسيا) و التحالف الثلاثى (المانيا و النمسا وايطاليا) بعد عام ١٨٩١ ،واستمر هذا التوازن حتى عام ١٩٠٤، اذا انصرفت الدول الاوروبية الكبرى الى التوسع الاستعمارى خارج القارة الاوروبية وقد سبقت انجلترا غيرها فى هذا المضمار واتبعت سياسة الانعزال عن الشؤون الاوروبية ،وقد تميزت الفترة الواقعة فيما بين عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٤ بثلاثة اتجاهات هامة :

١) تخلى روسيا عن الشؤون الاوروبية واتجاهها الى الشرق الاقصى بهدف التوسع وبسط النفوذ . ولم تهتم بالشؤون الاوروبية مرة أخرى الا بعد هزيمتها أمام اليابان عام ١٩٠٥.

٢) اتسع المجال امام المانيا للتحكم فى الشؤون الاوروبية و الدولية واستغلت فى معظم الاحيان التنافس الاستعمارى بين انجلترا وفرنسا وروسيا للحصول على الاراضى، وانتهزت الفرص لمنافسة انجلترا بشتى الطرق او الاشتراك فى التنافس الاستعمارى و الاستيلاء على بعض الممتلكات الافريقية .

وعطف المانيا على البوير زاد من حدة الخلاف بين انجلترا والمانيا. وعندما زار القيصر انجلترا للمرة الثانية في عام ١٩٠١ استؤنفت المفاوضات ،وكانت المانيا راغبة في الحلف ،ولكنها ارادت ضم انجلترا الى التحالف الثلاثي. ولم توافق انجلترا لان ذلك قد يخرجها الى الحرب ضد روسيا بسبب اختلاف المصالح بين روسيا والنمسا. وانتهت المفاوضات بالفشل وبدأت انجلترا تبحث عن حليف ضد الدول الاستعمارية التى كانت تنافسها فى الاسواق ألمانيا وفرنسا وروسيا. وكانت أولى هذه الدول هى اليابان .

وشعرت انجلترا بأهمية هذا الحليف بسبب الدور الذى لعبته روسيا بعد الحرب الصينية ــ اليابانية عام ١٨٩٥.فقد نصت معاهدة شيمونسكي التى وقعت بين اليابان والصين عام ١٨٩٥ على تنازل الصين لليابان عن كوريا و فورموزا وشبه جزيرة لياوتنج بما فيها ميناء بورت آرثر. وقد أغضب روسيا والمانيا وفرنسا استيلاء اليابان على هذا الميناء،وأرسلت

= فيهما الذهب والالماس توافد عليهما عدد كبيرمن الانجليز للبحث عن الثروة ،ونجحوا فى وضع الجمهوريتين تحت الحماية البريطانية. ولكن نشأ خلاف بين البوير وحكومة الراس وبالتالى الحكومة الانجليزية حول معاملة المهاجرين البريطانيين فى الترنسفال وخاصة فيما يتعلق بما يدفعونه من الضرائب. وتطور الخلاف الى نزاع عنيف بين الفريقين ،وعقد كروجر زعيم الترنسفال حلفا مع جمهورية

مذكرة شديدة اللهجة تطلب فيها من اليابان ردها.واضطرت اليابان الى الموافقة على مذكرة الدول وسحبت قواتها من شبه جزيرة لياوتنج و هى ناقمة لاسيما من روسيا خصمها المباشر التى احتلت ميناء بورت آرثر . وكان استيلاء روسيا على هذا الميناء من وجهه النظر الانجليزية - تغييرا لتوازن القوى ويهدد الامبراطورية البريطانية . ولما كان الخطر الاكبر الذى يهدد انجلترا يكمن فى النشاط الروسى فى الشرق الاقصى ،اتجه الانجليز الى التفاهم مع اليابان على مواجهة هذا الخطر الروسى المشترك. وكانت اليابان فى حاجة الى كسب انجلترا بالذات حتى تعد نفسها لضرب روسيا و هى مطمئنة الى أن أكبر دولة بحرية أوروبية لاتعرقل مشروعاتها العسكرية والى ان أية دولة اخرى لن تدخل الحرب الى جانب روسيا . ولذلك لم تكن المفاوضات بين الطرفين معقدة ،وتوصلا الى ماعرف بالوفاق الودى الذى وقع فى ٣٠ يناير عام ١٩٠٢،ويعتبر هذا الوفاق النهاية الفعلية لعزلة انجلترا.

= الاورنج الحرة ،و أعلن تخليه عن السيادة البريطانية و كان هذا الاعلان بمثابة اعلان الحرب بين البوير والانجليز عام ١٨٩٩.

وقد نص هذا الاتفاق على :

١) اعتراف انجلترا بمصالح اليابان فى كوريا

٢) اعتراف اليابان بمصالح انجلترا فى الهند

٣) اتفقت الدولتان على انه اذا حدثت حرب بين احداهما و دولة ثالثة فان الاخرى تلزم جانب الحياد، أما اذا دخلت الحرب ضدها دولة رابعة فان الدولة المتعاقدة الاخرى تبادر الى مساعدة حليفتها .

و معنى هذا التحالف انه اذا وقعت الحرب بين اليابان وروسيا فان انجلترا تلزم جانب الحياد ، أما اذا دخلت فرنسا الى جانب حليفتها الروسيا ضد اليابان ،فان انجلترا تساعد اليابان . واذا نشبت حرب بين انجلترا وروسيا فان اليابان تساعد انجلترا . وعلى هذا الاساس سحبت انجلترا اسطولها فى الشرق الاقصى الى بحر الشمال للدفاع عن سواحلها . والواقع ان الحالة الاولى هى التى حدثت عندما اندلعت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) حيث انحصرت الحرب بين اليابان وروسيا ولزمت انجلترا و فرنسا جانب الحياد ولم تتسع الحرب . وكانت مدة هذا التحالف خمس سنوات . وفى الحرب الروسية - اليابانية استولت اليابان على بورت آرثر،و في معاهدة بورتسموث التى أعقبت الحرب (١٩٠٦) حصلت اليابان على تفوق كبير فى الشرق الاقصى ،واعترفت روسيا بتفوق المصالح الاقتصادية والعسكرية اليابانية فى كل من كوريا

و منشوريا ،كما وافقت على نقل حقوق روسيا فى شبه جزيـــرة ليـاوتنج وبورت آرثر الى اليابـــان •

الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا (١٩٠٤): •

رأت انجلترا جليا خطر سياسة العزلة على مركزهــــا • وأثار النمو السريع للاسطول الالمانى قلقها ومخاوفهـــا • فان المانيا لم تكتف بمزاحمتها فى الاسواق الاجنبية ،و فـــى تملك المستعمرات فى مختلف ارجاء العالم ،بل صـــــرح الامبراطور وليم الثانى عام ١٨٩٧ بأن مستقبل بلاده مرهـــون بسيطرتها على امواج البحار ،وأظهر تصميمه القاطع على خلق اسطول عظيم لالمانيا يعزز مكانتها الاولى بين الدول العظمى، وعاونه فى تحقيق مشروعه وزير بحريته الشهير الاميـــرال تربتـــز(Tirpitz) الذى قال عنه المؤرخ لانجـــر (Langer) : " ربما كان أكفأ شخص ظهر فى أية دولة مـــن دول العصر الحديث "• وقام تربتز بوضع مشروع هدفه احتـــرام مركز المانيا التجارى والاقتصادى ،كما عمل على استكمـــال أسلحة الحرب البحرية وخاصة الطوربيد وأجاز الرايخشتـــاغ فى عام ١٨٩٧ قانونا بتعزيز الاسطول الالمانى وزيادة وحداته وبحارته زيادة كبيـــرة •

ولقد أعلن بيلوف ان المانيا لاتفكر فى الاعتداء علـــى انجلترا • ولكن تاكيدات المانيا لم تساعد على محو مخـاوف

انجلترا ،وذلك للاهتمام الكبير الذى أظهره الامبراطور بالمسائل البحرية ،ولأن تربتز اهتم بألا يكون لالمانيابحرية دفاعية فحسب بل هجومية ايضا . وبدأت انجلترا تزيد من اهتمامها بالمسائل البحرية وذلك بانشاء قاعدة بحرية كبيرة وبناء أربع سفن حربية كل عام ،والاهتمام بتركيز الاسطول فى المياه الانجليزية . وهكذا زاد القلق فى كل من الدولتين بسبب المشروعات البحرية التى تضعها الدولة الاخرى . وحاولت انجلترا تهدئة خواطر المانيا بأن أعلنت بأنها ستخفف قليلا الاهتمام بانشاء سفن حربية ،و كانت تنتظر ان تقوم الحكومة الالمانية بخطوة مماثلة . ولكن المانيا لم تفعل .

وهكذا قربت العداوة المشتركة لالمانيا بين انجلترا وفرنسا. فألمانيا أصبحت الدولة الصناعية الفتية التى تنافس انجلترا فى الاستعمار،وهى عدوة فرنسا منذ عام ١٨٧٠. وأرادت كل من الدولتين (انجلترا وفرنسا) تصفية مصالحها الاستعمارية لمواجهة العدو المشترك . ووجد الساسة البريطانيون فى مليكهم ادوارد السابع وسيلة صالحة للتقرب الى فرنسا ،فقد كان هذا العاهل يكن حبا شديدا لتلك البلاد التى قضى فى ربوعها زمنا من أمتع أيام شبابه ،وبادله الفرنسيون هذا الحب فاغتنم فرصة زيارته لوحدات الاسطول الانجليزى فى مياة البحر المتوسط ،وقام فى أثناء عودته

بزيارة رسمية لباريس عام ١٩٠٣ ،واستقبله الفرنسيون بأعظم مظاهر الترحيب ،ورد رئيس الجمهورية الفرنسية له الزيارة بلندن فى العام نفسه ،واستغل ساسة الدولتين هذا التقارب بين شعبيهما للسعي الى تسوية الخلافات التى تحول دون حسن تفاهمهما .

و فى ٨ ابريل عام ١٩٠٤ تمكنت الدولتان من عقد الاتفاق الودى Entente Cordiale و تضمن هذا الاتفاق مواد علنية وآخرى سرية ،و نص على مايلى :

١) تسوية المشاكل المتعلقة بمصائد الاسماك فى نيوفوندلاند بين انجلترا وفرنسا وتعديل الحدود بين المستعمرات الفرنسية الانجليزية فى افريقيا .
٢) تسوية بعض المشاكل فى سيام ومدغشقر وافريقيا الغربية .
٣) اعتراف انجلترا بمصالح فرنسا فى مراكش ،واعتراف فرنسا بمصالح انجلترا فى مصر .

و أعلنت انجلترا بمقتضى الاتفاق انها لن تعمل على تغيير مركز مصر السياسى ،و آعلنت فرنسا من جانبها انها لن تعرقل عمل انجلترا فى مصر ولن تطلب تحديد آمد الاحتلال الانجليزى . وبهذا الاتفاق ثبت الاحتلال الانجليزى آقدامه فى مصر من الناحية الفعلية ،ولم يعد هناك مايحول دون فرض السيادة البريطانية العاملة على البلاد سوى ذلك الخيط

الشرعى الرفيع الذى كان يربط مصر بالدولة العثمانية . ولكن لم تمر عشر سنوات اخرى حتى أعلنت انجلترا حمايتها على مصر وأصبح مركزها مضمونا من الناحيتين الفعلية والشرعية . وأنهت هذه التسوية عوامل التنافس بين انجلترا وفرنسا ،ولكنها تختلف عن معاهدات التحالف التى سبقتها من حيث انها لم تشر الى التعاون فى حالة الحرب ،وانما هى اتفاقية لتسوية المشاكل المعلقة ،ولذلك سميت " بالاتفاق" ولم تسمى " بالتحالف " .

الاتفاق الانجليزى ـ الروسى (١٩٠٧):

شعرت روسيا بعد هزيمتها امام اليابان فى عام ١٩٠٥ انها بحاجة الى أصدقاء بدلا من اثارة العداوات .وأدركت روسيا أيضا ان الدول التى حالت دون توسعها هى انجلترا والنمسا والمجر والمانيا. و أصبح مجال التوسع الروسى بعد عام ١٩٠٥ منحصرا فى الدولة العثمانية (فى اتجاه الاناضول و العراق او فى اتجاه البلقان) و فى ايران. وكانت روسيا تدرك تماما ان انجلترا تعارض فكرة توسعها على حساب الدولة العثمانية خوفا من سيطرتها على المضايق (البوسفور و الدردنيل) . كما وقفت النمسا والمجر أمام أى توسع روسى فى البلقان ،وبدأ التنافس يتصاعد بينهما هناك منذ عام ١٩٠٣ ،وهكذا لم يبق امام روسيا سوى ايران لكى تعمل فيها وتثبت للعالم ان روسيا لاتزال دولة كبرى. ولكن منذ قرن تقريبا وروسيا تواجه مقاومه انجليزية علنية

وسرية لمشروعاتها التوسعية فى ايران . ولذلك رأتان الوسيلة الوحيدة لفتح الطريق امام مشروعاتها هو التوصل الى تفاهم مع دول الحلف الثلاثى أو انجلترا . ولما كان أى تفاهم مع المانيا يهدد التحالف الروسى - الفرنسى ،أصبح التفاهم مع انجلترا أكثر واقعية .

و بعد نكبة روسيا فى عام ١٩٠٥ أخذت انجلترا تقلل من تعنتها ضدها . وفى الواقع لعبت فرنسا دورا مهما فى فتح الطريق امام التقارب الانجليزى - الروسى لقد كادت الحرب الروسية - اليابانية ان تجر كل من انجلترا وفرنسا الى حرب لا مصلحة لهما فيها ،فكانت فرنسا حليفة لروسيا منذ عام ١٨٩٤ ،وانجلترا حليفة لليابان منذ عام ١٩٠٢،ولدفع خطر حرب كهذه حرصت فرنسا على اتمام سلسلة المحالفات بعقد اتفاقية انجليزية - روسية . وبعد هزيمة روسيا فى عام ١٩٠٥ كان من السهل التقرب منها لعقد اتفاقية مع انجلترا، وفعلا وقعت الاتفاقية فى ٣٠ اغسطس عام ١٩٠٧ وقد نصت بالاضافة الى التحالف على تسوية المشاكل الاستعمارية خارج القارة الاوروبية ولكن بشكل اوسع من تلك التى عقدت بين فرنسا و انجلترا .كماقسمت ايران الى منطقتى نفوذ روسية فى الشمال ،وانجليزية فى الجنوب . وبقى قسم مستقل فى الوسط ،واعترفت روسيا بمصالح انجلترا فى الخليج العربى و فى التبت ووعدت انجلترا بعد عقد الاتفاقية بتسهيل السبل

لفتح المضايق امام السفن الحربية الروسية . كما أصبحت افغانستان تحت حماية انجلترا . ومع ان هذه الاتفاقية قد ضمنت مصالح انجلترا اكثر مما ضمنت مصالح روسيا ،فان الاخيرة علقت عليها الآمال لبلوغ مآربها فى البلقان والدولة العثمانية فى المستقبل . وقد تم فى الوقت نفسه عقد اتفاقية بين روسياو اليابان اعترفت فيها كل من الدولتين بمصالح الاخرى فى الصين و منشوريا . و كذلك عقدت فرنسا و اليابان اتفاقية تعترف فيها بأن الصين وحدة لاتتجزأ وباقرار سياسة الباب المفتوح . وأذاعت كل من انجلترا واسبانيا وفرنسا وروسيا معا تصريحات بالمحافظة على الوضع الراهن فى البحر المتوسط . وبهذا تمت سلسلة متواصلة من المحالفات والاتفاقيات السياسية التى آلفت جبهة خطيرة ضد دول التحالف الثلاثى .

و هكذا أحكم الوفاق الثلاثى Triple Entente بين فرنسا وانجلترا وروسيا الطوق حول المانيا. وقد زادت الازمات الدولية التى حدثت بعد عقد هذا الوفاق من توثيق عراه . واهم هذه الازمات ضم البوسنة والهرسك (فى يوغوسلافيا الحالية) الى النمسا وحادثة أغادير،و الحروب البلقانية (١٩١٢ – ١٩١٣). وقد أدت هذه الازمات الى مفاوضات بين أركان حرب انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٦ و الى الاتفاق بينهما فى عام ١٩١٢ على ان تسحب انجلترا اسطولها

من البحر المتوسط . و بذلك يكون قد تم التعاون البحـــرى بأن تحافظ انجلترا على سواحل فرنسا بحرا اذا هوجمت مـــن الشمال ،وان يكون الاسطول الفرنسى مقابل الاسطول النمسوى فى البحر المتوسط . وقد حاولت المانيا فى عام ١٩١٢ الاتفاق مع انجلترا بخصوص القوة البحرية للدولتين ،ولكن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة . وهكذا انقسمت اوروبا الى معسكريـــن كبيرين قبل عام ١٩١٤ ،فبينما كان الهدف الاساسى مـــن التحالفات تجنب الحروب والمحافظة على السلام أصبحت باعثة على التصادم والتنازع و أنذرت بوقوع الحـــرب .

* * *

الفصل التاسع

الحرب العالمية الأولى

(١) أسباب الحرب العالمية الأولى .

(٢) مراحل الحرب .

(٣) التسوية ونتائج الحرب .

الفصل التاسع

الحرب العالمية الاولى

(١٩١٤ – ١٩١٨)

كان هدف بسمارك الدائم بعد هزيمة فرنسا فى عام ١٨٧٠ هو ابقاء فرنسا معزولة فى اوروبا والحيلولة دون فرض أى حصار دبلوماسى على المانيا . و كانت النتيجة فى الواقع، كما اوضحنا فى الفصل السابق ،وهو خلق نظامين متنافسين من المحالفات واقامة توازن هش للقوى آمان على صيانة السلام فى اوروبا جيلا من الزمن . وطالما كان وجود تكتل مادافعا من تلقاء نفسه الى التعجيل باقامة تكتل منافس له ،بحيث يظل توازن القوى مصونا فى النهاية ،كان كلا الطرفين يخشى نقض السلام ،ولكن ترادف حالات التوتر والتنافس المتصلة من هذا النوع أنتج فى حد ذاته تسابقا فى التسلح و أشاع خوفا متسع النطاق بحيث جر جميع الدول فى النهاية الى حرب عظمى . وبدلا من ان يهدئ الشركاء الاقل اهتماما والاكثر اتزانا حلفاءهم ، اصبح الخوف شائعا فى اوروبا ،بحيث كان الشركاء الاشد انفعالا والاكثر ميلا للحرب هم الذين سيطروا على توجيه خطوات حلفائهم . ولم يكن مستطاعا انهاء أى خلاف او حصره فى موضعه ،لان كل طرف فيه جر الى جانبه الآخرين جميعا . وهذا هو السبب فى ان مصير الارشيدوق النمسوى بيد فتى صربى متحمس فى مدينة سراجيفو البلقانية الصغيرة أهاج روسيا فرنسا الى حرب مع النمسا و المجر والمانيا ،و فى ان غزو

المانيا لبلجيكا جر بريطانيا والممتلكات البريطانية الى حلبة النزاع العامة . وقد لخص سبندر (J.A. Spender) فى كتابه " Fifty Years of Europe" الموقف الاوروبى فقال :

" كانت المرحلة التى بلغتها اوربا هى شبه الدولية التى قسمت الامم الى كتلتين، لكنها لم تنشىء بينهما معبرا. وكان عسيرا ان تقوم ظروف سلم او حرب آسوآ من هذه كان التوازن بينهما واعيا لدرجة ان نفشه ريح قد تودى به - كما حتم تكافو قواهما الضخمة ان يكون النضال بينهما طويلا مريرا. فكان نجاح توازن القوى لعنة فى حد ذاته . " .

كانت الحرب العالمية الاولى فى نواحى كثيرة ،جديدة تماما على التاريخ البشرى . حقيقة ان الحروب السابقة ، حروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية ، استمرت زمنا أطول وعمت نفس الكثرة من الشعوب . ولكن هذه كانت أول حرب للجماهير التى ازداد عددها تكاثرا منذ عام ١٨١٥،وكانت أول صراع قام بين دول القرن التاسع عشر القومية الرفيعة التنظيم ،القديرة على التصرف فى طاقات كل مواطنيها أو رعاياها وعلى تعبئة القدرة الانتاجية لصناعاتها الثقيلة

و على الافادة من كل مالديها من علوم فنية حديثة فى ايجاد طرق للتدمير مستحدثه . كانت ايضا اول حرب واسعة النطاق بدرجة تكفى لقلقلة اقتصاد العالم الذى اشتد تداخله فى خلال القرن السابق . وكان من المحتمل منذ البداية ان تبين مثل هذه الحرب انها لن تكون اكثر تدميرا للحياة البشرية وللثروة المادية فحسب ،بل ان عواقبها ستكون كذلك أبعد مرمى تقديرا وضبطا . وهى الحرب الكبرى فى التاريخ التى وجد فيها مثل هذا الفارق الكبير بين نتائجها وعواقبها من جهة ،و بين صريح نوايا وأغراض من بدأوا باشعالها . وضرورى لهذا السبب أن نخص المسائل التى كانت صراحة موضوع النزاع عندما بدأت الحرب وبين المشاكل التى أصبحت موضوع النزاع فيها قبل ان تنتهى، و بين النتائج الاخرى التى نعرف الآن انها انبثقت منها وتميزت بدرجة متكافئة عن كلا النوعين السابقين .

(١) أسباب الحرب العالمية الاولى :

اذا ألقينا نظرة سريعة على مصالح الدول الاوروبية الكبرى ،يمكننا تفهم طبيعة الخلاف الذى وجد فى مطلع القرن العشرين . و كان الخلاف ينحصر فى المسائل التالية :.

أ) التنافس النمسوى ـ الروسى فى البلقان .

ب) ـ التنافس البحرى بين انجلترا والمانيا. كما ان التنافس التجارى آثار حفيظة انجلترا وأفسد العلاقات بين الدولتين .

ج) التنافس الفرنسى ـ الالمانى فى مراكش منذ عام ١٩٠٤ ، و قد ساعد على استمراره هذه الفترة الطويلة مسألة الالزاس واللورين .

و من ذلك يتضح أن الاسباب التى أدت الى قيام الحرب العالمية الاولى انما ترجع فى الواقع الى الفترة الممتدة من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩١٣،و تنقسم هذه الاسباب الى اسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة .

الاسباب غير المباشرة للحرب :

نشبت فيما بين عامى ١٩٠٤ و ١٩١٣ عدة أزمات خطيرة أدت الى التهديد بالحرب ،ويمكن ان نجمل هذه الازمات على النحو التالى :-

أولا : المشكلة المراكشية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) :

آثار الاتفاق الودى بين انجلترا و فرنسا عام ١٩٠٤ حنق المانيا[1] و سعت الى اظهاره بمظهر العقم فى مجال السياسة

(١) نص الاتفاق الودى على ان تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر مقابل اطلاق حرية فرنسا فى العمل فى مراكش ،على ان تحتفظ الدولتان بالساحل الشمالى الغربى لمراكش لاسبانيا . ووقعت فى اكتوبر عام ١٩٠٤ معاهدة بين اسبانيا وفرنسا بهذا الخصوص ،تعترف فيها اسبانيا بمركز فرنسا الخاص فى مراكش ،فى نظير وضع يدها على شمال غربى مراكش او مايسمى بمنطقة الريف .

الدولية . فأشارت الحكومة الالمانية على الامبراطور وليم الثانى ،و كان يقوم بنزهة بحرية فى البحر المتوسط عام ١٩٠٥ ،ان يزور مدينة طنجة ،واستجاب الامبراطور لطلب حكومته و انتهز فرصة زيارته فألقى خطابا سياسيا كان له دوى عظيم فى دوائر اوروبا السياسية . فقد أعلن فيه ان سلطان مراكش عاهل مستقل ذو سيادة ،و أعرب عن أمنيته بأن تظل مراكش مفتوحة فى وجه تجارة جميع الدول على قدم المساواة ،وصرح بأنه عزم على حماية المصالح الالمانية الكبرى بكل ماملكت بلاده من قوة .

و طالبت الحكومة الالمانية بعقد موتمر من الدول التى يهمها الامر لبحث هذه المسألة ،وأيدتها النمسا فى مطلبها. وأذعنت الحكومة الفرنسية ،وعقد الموتمر فى الجزيرة (Algeciras) و هى بلدة اسبانية صغيرة على مقربة من جبل طارق فى عام ١٩٠٦ ،وقرر الموتمر ضمان استقلال بلاد المغرب و المحافظة على سياسة الباب المفتوح بالنسبة لتجارتها ،و لكن أخضع رجال الشرطة فى بلاد المغرب لاشراف فرنسا . وقد أيدت بريطانيا وروسيا الحكومة الفرنسية تأييدا قويا خلال المفاوضات مما أفضى الى احكام أواصر الاتفاق وتوثيق الصداقة بينهما. ورخصت الحكومتان البريطانية والفرنسية لرياستى أركان حيشيهما بالاتصال احداهما بالاخرى لرسم الخطط الحربية ،على اعتبار ان قيام حرب بين فرنسا

والمانيا أمر محتمل الحدوث . ونتيجة لتلك الازمة ايضا انضمت روسيا الى الوفاق الثنائى فى عام ١٩٠٧ ،و كونت الدول الثلاث (انجلترا وفرنسا وروسيا) الوفاق الثلاثى .

ثانيا : أزمة ضم البوسنة (١٩٠٨ - ١٩٠٩) :

ضمت النمسا الى امبراطوريتها نهائيا ولايتى البوسنة والهرسك ،وهما الولايتان العقلبيتان اللتان وكل اليها موتمر برلين عام ١٨٧٨ آمر ادارتهما . وكانتا ذات آهمية خاصة للنمسا،فقد كانتا حلقة اتصال بين ممتلكاتها فى دالماشيا وموانيها على البحر الادرياتى . وشرعت مسرعة فى طبعهما بالطابع الجرمانى و عملت على قمع الميول التى قد يبديها أهلهما للانضمام الى اقربائهم الصربيين . ولم يكن هذا الضم ضربة موجهة ضد الدولة العثمانية بقدرها اعتبر ضربة قاسية لمملكه الصرب الفتية فى حركتها القومية ،وضربة غادرة لروسيا اذا حصلت النمسا على هدفها بينما أصبح على روسيا المطالبة بتنفيذ فكرة التعويض ولجأت روسيا الى فرنسا وبريطانيا ،ولكن فرنسا رفضت ان تقف الى جانب روسيا لانها (آى روسيا) كانت تدبر مع النمسا من وراء ظهرها أمورا كان يجب ان يوخذ رايها فيها . أما بريطانيا فقد تمسكت

بموقفها التقليدى وهو استمرار اغلاق المضائق في وجه السفن الروسية الحربية . ورغم ذلك أثبت الاجزاء الذى اتخذته النمسا ان دول التحالف الثلاثى هى القوة الحقيقية المهددة لروسيا ، الامر الذى زاد من ارتباط روسيا بحليفتهافرنسا .

ثالثا : أزمة أغادير (١٩١١) :-

حاولت المانيا فصم عرى التطويق التى أحكمتها دول الوفاق الثلاثى فاتهمت المانيا الحكومة الفرنسية بأنها تسعى الى اعلان الحماية على بلاد المغرب ،وأرسلت فى يوليو عام ١٩١١ طرادا الى أغادير و هى قرية صغيرة على ساحل بلاد المغرب على المحيط الاطلسى ،وذلك بحجة حماية مصالح الرعايا الالمان . ووقفت انجلترا من وراء فرنسا تؤيدها ووافقت فرنسا على عقد مؤتمر دولى فى أغادير . واتفقت الدولتان (فرنسا والمانيا) فى ١١ اكتوبر على حماية فرنسية على مراكش و تعويض المانيا فى الكونغو الفرنسى . و فى ٤ نوفمبر وقعت المعاهدة ،و كانت فى صالح فرنسا الى حد كبير ، اذ حصلت على كل ماتريد فى مراكش، و لكن هذه المعاهدة لم تلق قبولا حسنا فى برلين،

فقد استقال وزير المستعمرات الالماني احتجاجا ازاء سخط الرأى العام على الحكومة لجبنها ، وعلى انجلترا لمساندتها لفرنسا • ورأى ان اساس الازمة اتفاق انجلترا وفرنسا فى عام ١٩٠٤ دون اشتراك المانيا • وهكذا أدت تلك الازمة الى نتيجة هامة ، وهى ان بريطانيا تعدت فى علاقتها مع فرنسا مجال الوفاق الى مجال التحالف دون النص على ذلك في معاهدة او اتفاقية •

رابعا : الحروب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣) :

فى عام ١٩١٢ أعلن حلف بلقانى مكون من اليونان و الصرب وبلغاريا والجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية • فقد تمكن فينيزيلوس داهية اليونان الاكبر من تكوين هذا الحلف ،وساعده فى ذلك روح القومية المتطرف الذى ساد شعوبه • كما شجعت الحكومة الانجليزية سرا على تأليفه ،كى تعمل على اذلال الدولة العثمانية التى كان ساستها قد ارتموا فى أحضان المانيا • وقد تمكنت الجيوش البلقانية المتحالفة من هزيمة الدولة العثمانية واستطاعت العصبة البلقانية فى حملة لم تدم أكثر من ستة أسابيع انتزاع جميع اراضى الدولة

العثمانية فى اوروبا ،ماعدا رقعة صغيرة من الارض تضم استانبول وأدرنة • وفى ٣٠ مايو عام ١٩١٣ أكره ممثلو الباب العالى على ان يوقعوا معاهدة لندن، وبمقتضاها لم يبق للدولة العثمانية من أملاكها الاوروبية سوى عاصمتها استانبول وشبه جزيرة غاليبولى.

ولكن سرعان مادب الخلاف بين الحلفاء لتقسيم أسلاب الحرب فأعلنت بلغاريا الحرب فى ٣٠ يونيو عام ١٩١٣ على اليونان والصرب لامتلاك مقدونيا ،وانتهزت الدولة العثمانية ورومانيا الفرصة فأعلنتا الحرب على بلغاريا التى هزمت واضطرت الى طلب الصلح • واجتمع ممثلو الدول المتحاربة فى بوخارست عام ١٩١٣ ، حيث وقعوا على معاهدة قضت باستحواذ اليونان على جزء من مقدونيا وميناء سالونيكا وجزيرة كريت ، واتفق على جعل البانيا دولة مستقلة واستولت رومانيا على اقليم دوبرجة الجنوبى ،واستردت الدولة العثمانية أدرنة ، وتضاعفت رقعة كل من الصرب والجبل الاسود • أما بلغاريا فقد خرجت من الحرب صفر اليدين •

وقد أدت الحروب البلقانية الى نتائج مهدت لقيام الحرب العالمية الاولى • فبلغاريا خرجت من الحرب مهيضة الجناح ولم تسرع روسيا الى انقاذها ، فى حين ان النمسا هى التى وقفت الى جانبها ،ولذلك توترت العلاقات الروسية ــ البلغارية ، كما

ان التقارب العثمانى ــ الالمانى قد تزايد بعد الحرب ، فطلبت الدولة العثمانية قائدا المانيا لقيادة الجيش العثمانـــى مما أثار مخاوف روسيا من ان تتحكم المانيا بالتدريج فـــى المضايق . ومن ناحية آخرى أدت هزيمة الدولة العثمانية وهياج الشعور القومى فى البلقان الى تشتيت قوات النمسا والمجـــر التى رأت الاحتفاظ بقوات كبيرة ترقب الموقف فى البلقـــان ، مما حال دون ان تلقى بجيوشها ضد روسيا فى حالة وقوع حـــرب معها . وقد حدث هذا فى نفس الوقت الذى زاد فيه التقارب بين دول الوفاق الثلاثى .

خامسا : سباق التسلح : أدت أزمة أغادير والحروب البلقانية الى توتر فى العلاقات بين الدول مما أدى الى التسابق على التسلح . وظهر ذلك واضحا فى القانون العسكرى الالمانى الصادر فى عام ١٩١٣،وفى القانون الفرنسى فى نفـــس الوقت ايضا . وقد شملت مشاريع التسليح ، خصوصا فـــى بريطانيا والمانيا ،السلاحين البرى والبحرى . وفيمـــا بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٠٩ قامت بريطانيا بمحاولات لاقنـــاع المانيا بتحديد قوتها البحرية حتى لا تضطر الـــى مجارأتهـا ،مما يستلزم زيادة النفقات ،ووقوع عبء ذلـك على دافعى الضرائب من الانجليز. ولما فشلت بريطانيـــا فى اقناع المانيا ،قررت زيادة قوتها البحرية ولكنهـــا قامت بمحاولة اخرى فى عام ١٩١٢ فأرسلت هالـــــدن

(Haldane) وزير الحربية الى برليـــــن ،
ووافقت المانيا على الابطاء فى مشروعاتها الحربيـــة
بشرطين ،الاول ان تقف بريطانيا موقف الحياد فى حالة
حدوث حرب بين المانيا ودولة اخرى ،والثانى ان تعد
بريطانيا بعدم مهاجمة المانيا . وقبلت بريطانيـــا
الشرط الثانى ورفضت الالتزام بالشرط الاول لما فيـــه
من تشجيع لالمانيا على العدوان ،ولذلك فشلـــــت
المفاوضات .

وفى يوليو عام ١٩١٢ ،أصدرت المانيا القانون العسكرى
الالمانى الذى زاد من قواتها وقت السلم من ٦٢٣٫٠٠٠ الـــى
٨٨٠٫٠٠٠ جندى . وفى ٧ أغسطس قابلت فرنسا هذا القانون بالمثل
لمدت الخدمة العسكرية من سنتين الى ثلاث سنوات ، وبذلك توفـر
لها عدد كبير من الجنود تحت السلاح . ولم يحدث شئ مماثل فـى
كل من النمسا وروسيا وايطاليا وحتى بريطانيا (لم تشـــأ
بريطانيا قبول الخدمة العسكرية الالزامية) . وعلى العمـــوم
أدى السباق على التسلح الى حدوث توتر فى العلاقات الدوليـــة ،
لهيأ الاذهان لتقبل فكرة الحرب ، وأدى ذلك بالتالى الى محاولـة
كل حكومة ان تستكمل استعداداتها الحربية قبل غيرها ،وانتستفيد
من هذا السبق فى العدوان على عدوتها قبل ان تتم تسليحهـــا .
وأيدت التطورات الى حد كبير صحة النظرية القائلة بأن التسابق
على التسلح يؤدى الى الحرب .

سادسا : التنافس على المصالح الاقتصادية : يعتبر التنافس الاقتصادى بين الدول الصناعية الكبرى من أهم أسباب قيام الحرب . يفسر لنا هذا ، الكثير من الازمات الدولية السابقة . فيوضح لنا هولشتين(Hölstein) مدير الشؤون السياسية بوزارة الخارجية الالمانية أسباب تدخل المانيا فى أزمة مراكش عام ١٩٠٤ فيقول: " يجب على المانيا ان تتدخل فى القضية المراكشية لأسباب اقتصادية وللدفاع عن جاهها ونفوذها . ويجب الا تترك قضية كبرى تسوى خارجا عنها مهما كانت ، وفى أى جزء من العالم " وبهذه النظرة وافقت المانيا فى عام ١٩٠٩ ان تتفق مع فرنسا بشأن مراكش على ان تقتسم معها الارباح الاقتصادية . ومن المؤكد ايضا ان التنافس التجارى بين المانيا وبريطانيا ،وقلق بريطانيا من نمو التجارة الخارجية الالمانية فى كثير من أسواق العالم (فى بلجيكا وهولندا وأمريكا اللاتينية والدولة العثمانية) قد أدى الى زيادة التنافس البحرى بين الدولتين .ويقال بأن السبب الذى دفع المانيا الى مغامرتها فى عام ١٩١٤ أزمة اقتصادية كانت تجتازها ،بالاضافة الى حاجتها فى استغلال مشروع افريقيا الوسطى كسوق جديدة لمنتجاتها ،وكذلك تحقيق مشروع الاتحاد الجمركى الذى يضم دول وسط أووبا (Mitteleuropa) وجزء من البلقان .

سابعا : نمو الروح القومية : أدى نمو الروح القومية بلا شك الى دفع الدول الى أتون الحرب • فظهور المانيا كدولة قومية موحدة في عام ١٨٧٠ كان له أثر في محاولة المانيا تحقيق امانيها بقوة السلاح لفرض وجودها كدولة قوية يجب ان يكون لها مستعمرات أسوة بالدول الاوروبية الاخرى مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والبرتغال • كما ان اشتداد الحركة القومية الصربية بعد الحروب البلقانية سواء داخل الصرب أو بين الاقلية الصربية الكبيرة تحت حكم امبراطورية النمسا والمجر ،كان من أهم العوامل التى أدت في النهاية الى وقوع الحرب العالمية الاولى •

الاسباب المباشرة :

تتمثل الاسباب المباشرة التى أدت الى اندلاع شرارة الحرب العالمية الاولى في التطورات التالية • ففى ٢٨ يونيو عام ١٩١٤ قام طالب من أبناء البوسنة يدعى جفريلو برنسيب (Gavrilo Princip) باطلاق الرصاص على الارشيدوق فرديناند ،وارث عرش الامبراطورية النمسوية وزوجته في سراجيفو عاصمة النمسا ،بينما كان ولى العهد يقوم بزيارة رسمية فأرداه وزوجته قتيلين • وعرف من التحقيق ان الطالب ينتمى الى جمعية " اليد السوداء " الصربية التى ارتكبت من قبل عدة اغتيالات سياسية ،واتهمت النمسا حكومة الصرب بأن هذه الجمعية تلقى

تشجيعا من جانب بعض كبار موظفيها ، وان تلك الحكومة متواطئة مع بعض الجمعيات السرية بها للقيام بعمليات ارهابية بغية القضاء على النفوذ النمسوى فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وان الجريمة لم تكن لترتكب الا باغماض كبار حفظة الأمن فى الصرب أعينهم ، ان لم يكن بتواطئهم الخفى مع مدبريها .

وكتب الامبراطور النمسوى خطابا الى امبراطور المانيا أوضح له فيه خطر الجامعة الصقلبية وخطر حركات الروس فى البلقان . وقد اوضح امبراطور المانيا لسفير النمسا فى برلين ان النمسا يمكنها الاعتماد على تأييد المانيا ، وانه اذا قامت حرب بين النمسا والروسيا فانها (أى المانيا) ستقف بجانب حليفتها . وسلمت النمسا حكومة الصرب انذارا طالبتها فيه بحل الجمعيات الصربية التى تنشر الدعاية ضد النمسا والبحث عن المشتركين فى جريمة الاغتيال والقبض عليهم . وردت الصرب بأنها مستعدة للموافقة على اجابة بعض هذه المطالب ، غيرانها رفضت رفضا قاطعا المطالب النمسوية التى تمس مظاهر استقلالها وفى ٢٣ يوليو أرسلت النمسا انذارا نهائيا الى حكومة الصرب تطلب منها الموافقة على جميع المطالب خلال ثمان وأربعين ساعة ، ومن أهم هذه المطالب ان تتعهد الصرب بالتحقيق تحقيقا نزيها عاجلا فى الجريمة ، وان تنزل بمقترفيها والمتواطئين عليها عقابا رادعا . وان تعمل على كبح الدعاية العنيفة القائمة ضد النمسا فى الصحف ودور العلم ، وحل الجمعيات السرية ، وطرد

الموظفين الصربيين الذين يناصرون تلك الدعاية ،وطلبت النمسا ان يسمح لموظيفها بمساعدة الحكومة الصربية فى القضاء على هذه الحركات المعادية لها ولبعض القضاة النمسويين ان يجلسوا مع القضاة الصربيين خلال محاكمات المتواطئين والشركاء فى الجريمة .

قبلت حكومة الصرب الانذار باستثناء مطالب اشتراك النمسويين فى الاجراءات القضائية بحجة انه يمس مظهرا هاما من مظاهر استقلال الصرب . وردت النمسا فى ٢٥ يوليو بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الصرب ،وبعد ثلاثة أيام أعلنت الحرب على الصرب وكان هذا فى نظر الصرب عملية سحق لها ،وتطلعت بسرعة الى منقذ لها ،وكانت روسيا مستعدة للقيام بهذا الدور لانها كانت لا تقبل بأى حال من الاحوال سحق الصرب على يد النمسا لما سيترتب عن ذلك من تسلط نمسوى على البلقان ،وأعلنت روسيا تحريك جيوشها وحاولت بريطانيا ان تنصح روسيا بالاعتدال ،ولكن الاعتدال لم يكن من سياسة روسيا فى ذلك الوقت . واضطرت المانيا الى ارسال انذار حربى الى روسيا ، لاسيما أن حركة تحريك الجنود كانت ضد النمسا والمانيا . ولم تحاول فرنسا الضغط على روسيا،وكانت ترى انه اذا أعلنت بريطانيا انها ستقف بجانب فرنسا لن تكون هناك حرب، ومن ناحية اخرى ، أرسلت بريطانيا تطلب من المانيا وفرنسا ضمانا باحترام حياد بلجيكا ،فأعطت فرنسا ذلك الضمان ورفضت المانيا . ولما طلبت المانيا من بريطانيا اعطاء شروطها للحياد رفضت بريطانيا .

وهكذا اتسع الخلاف وأصبح اوروبيا . فلم ترد روسيا على انذار المانيا ، واوضحت فرنسا لالمانيا موقفها وهو انها ستعمل بما تمليه عليها مصالحها ، وحركت جيوشها عندما هاجمت القوات الروسية الحدود الالمانية فى أول اغسطس . وفى ٢ اغسطس أعلنت بريطانيا انها ستؤيد فرنسا بحريا اذا حاول الاسطول الالمانى دخول القنال الانجليزى ومهاجمة فرنسا" أو الاعتداء على سفنها . وفى ٣ أغسطس أوضح ادوارد جراى (Grey) وزير خارجية بريطانيا سياسة بلاده بقوله :

" لعدة سنوات كانت تربطنا بفرنسا أواصر الصداقة ،ولكن اذا اردنا ان نعرف مدى ما يترتب على هذه الصداقة من التزامات ، فلينظر كل منا فى قرارة نفسه ومشاعره ليتوصل بنفسه الى مدى هذه الالتزامات . ان الاسطول الفرنسى موجود الآن بالبحر المتوسط ،والسواحل الشمالية والغربية لفرنسا بدون حماية على الاطلاق بسبب شعور الثقة والصداقة بين الدولتين . وان شعورى الخاص انه اذا اشتبك أسطول اجنبى مع فرنسا فى حرب لم تسع اليها ، ودخل هذا الاسطول القنال الانجليزى وضرب السواحل الفرنسية غير المحمية فاننا لن نقف مكتوفى اليدين . لقد كان من حق فرنسا ان تعرف بشكل فورى ما اذا كان بامكانها ان تعتمد على مساعدة بريطانيا لها فى حالة ما اذا تعرضت للهجوم سواحلها غير المحمية فى الشمال والغرب . ونتيجة لذلك فقد أعطيت

وعدا بالأمس للسفير الفرنسى ولم يكن هذا اعلان للحرب " .

وعن حياد بلجيكا قال الوزير البريطانى :

" لقد وصلتنا أخبار انذار المانى ، اذا كان هذا حقيقا ، واذا كانت قد قبلت ،فان استقلالها يكون قد انتهى بصرف النظر عما تمنحه لها المانيا فى مقابل ذلك فاذا هزمت فرنسا ،واذا وقعت بلجيكلستنا تحت نفس السيطرة ، ثم بعد ذلك هولندا وبعدها الدانمرك ،فلنا ان نتصور مقدار الخطر الذى تتعرض له المصالح الانجليزية. فاذا تنصلنا من التزاماتنا التى يفرضها الشرف والمصلحة فى أزمة كهذه فيما يخص المعاهدة البلجيكية ،فانى أشك فى قيمة أية قوة مادية وقد تكون لدينا فى النهاية اذا ما قورنت بما تكون قد فقدناه من احترام ، رغم ان الاسطول على استعداد الآن وان الجيش فى سبيل استكمال استعداداته فاننا لم نعد حتى الآن بارسال حملة خارج البلاد. ولكن اذا اضطررنا ان نتخذ موقفا محددا فى هذه القضايا ، فاعتقادى هو ان البلاد حين تدرك انه الخطر الذى تتعرض له ، فاننا سنحصل ، لا علىمساندة مجلس العموم فحسب ، ولكن سيدعمنا فى موقفنا كذلك تصميم الأمة بأكملها وشجاعتها واحتمالها".

وفى نفس اليوم (٣ أغسطس) أعلنت المانيا الحرب على فرنسا لانها ردت عليها ردا لم تطمئن الى جانبه وقالت بأنها

ستعمل بما تمليه عليها مصالحها . وفى اليوم التالى زحفت المانيا على بلجيكا واحتلت دوقية لكسمبرج المحايدة .وفى نفس اليوم ارسلت الحكومة الالمانية انذارا نهائيا الى بلجيكا أمهلتها فيه اثنتى عشرة ساعة ،وطلبت منها السماح للجيوش الالمانية بعبور اراضيها فى طريقها الى فرنسا . فرفضت الحكومة البلجيكية هذا المطلب ، واستصرخ مليكها جورج الخامس البريطاني فطلبت الحكومة البريطانية مشددة من المانيا احترام حياد بلجيكا بمقتضى معاهدة لندن عام ١٨٣٩م التى وقعت عليها بروسيا نفسها ، والتى ضمنت فيها حياد تلك المملكة الصغيرة . ولكن القوات الالمانية شرعت تشق طريقها فى اراضى بلجيكا على اثر انتهاء موعد الانذار النهائى. فأعلنت الحكومة البريطانية فى ٤ اغسطس الحرب على المانيا.
أما ايطاليا فى عام ١٩١٤ فكانت مقيدة باتفاقات مع دول الاتفاق الودى ، ولو ان علاقاتها مع المانيا كانت جيدة الا ان مطامعها فى الترنتينو وجزءا من ساحل دالماشيا لا يمكن تحقيقها الا على حساب النمسا . ثم ان ايطاليا لن تستطيع ان تساعد المطامع النمسوية فى البلقان . ولذلك رفضت فى عام ١٩١٤ دخول الحرب فى جانب حليفتيها ،غير انها ما لبثت ان اعلنت عليهما الحرب فى مايو عام ١٩١٥ بمقتضى معاهدة سرية آبرمت بلندن فى ٢٨ ابريل ١٩١٥ وتعهدت فيها بريطانيا وفرنسا باعطائها عند انتهاء الحرب نهاية مظفرة ،تريستا والترنتينو وجزءا من ساحل دالماشيا ، علاوة على قسم مناسب من المستعمرات الالمانية .

وفى نفس اليوم الذى أعلنت فيه المانيا الحرب على روسيا (اول اغسطس ١٩١٤) عقدت الحكومة العثمانية معاهدة سرية مع المانيا تعهدت فيها بمساعدتها ضد روسيا وتظاهرت الدولة العثمانية بالحيدة فترة من الزمن . ولكن عندما بدا لها ان استعداداتها الحربية قد اكتملت بدرجة كافية أرسلت اسطولها فضرب فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩١٤ الموانىء الروسية على البحر الاسود ،فردت روسيا على هذا الاعتداء باعلان الحرب عليها . وفى ٥ نوفمبر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، وقطعت علاقاتها بها . وفى ٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وقطعت بذلك أى ارتباط بينها وبين الدولة العثمانية .

وبذلك غدا القتال عالميا فى فترة لم تزد على ثلاثة اشهر من ٢٨ يوليو الى اكتوبر ، وشمل خمسا من قارات العالم الست . ووقفت الامبراطوريات الالمانية والنمسوية والعثمانية فى جانب ، وروسيا وفرنسا وبريطانيا ومستعمراتها واليابان وبلجيكا والصرب ، والجبل الاسود فى الجانب الآخر . ودامت الحرب اثنين وخمسين شهرا ، طويلة اذا قورنت بالغارات البسماركية الخاطفة لكنها قصيرة اذا قورنت بغيرها من الحروب الاوروبية العامة .ولم يكن الجديد فيها هو طول المدة بل الشدة العنيفة المركزة : أى السرعة التى أثبتت بها الدول الصناعية الكبرى قدرتها

على تحريك جيوش ومؤن ونقلها مئات الاميال ، وقذف كل دولة الاخرى بها فى انتحار مرير . كما اضطرت كل حكومة الى ان تعتصر جهد قومها بشدة ثم تزيد اعتصاره طلبا للمزيد ،لا من القوات المسلحة فحسب ،بل من الجبهة المدنية وفى الانتاج الصناعى كذلك . لم تطبق بريطانيا نظام التجنيد الاجبارى حتى عام ١٩١٦ولم تفرض فرنسا حتى عام ١٩١٧ ضريبة الدخل لتمويل الحرب ،لكن كلتيهما اضطرت فى النهاية الى الالتجاء الى هذه الاجراءات الضرورية للحرب الشاملة .

و هكذا كان دخول كل من الدول المتحاربة الى الحرب مقررا باعتبارات الأمن والقوة القومية . و كان للمشاكل والمنازعات صلة كبيرة بتبادل المخاوف وفقدان الثقة فى قارة اوروبا . فحينما دخلت امبراطورية النمسا والمجر فى حرب مع الصرب فى عام ١٩١٤ ،وحينما انحازت الروسيا الى جانب الصرب ،بلغت المسألة الشرقية للقرن التاسع عشر ذروتها . ولم يكن بوسع امبراطورية النمسا والمجر الوراثية والعديدة القوميات ان تتسامح فى نمو دولة الصرب دون المجازفة بزيادة تفككها هى الى اقسامها القومية .ولم يكن بوسع امبراطورية روسيا القيصرية الوراثية ان تتسامح فى التوسع النمسوى فى البلقان دون ان تضيع دعوتها لشعوب شرق اوروبا

الصليبية وحين تعبأت المانيا بجانب النمسا والمجر، وفرنسا بجانب روسيا والصرب فلانه لم يكن بوسع أيهما أن تضيع عند حسابها لمقتضيات سلامتها وأمنها معونة حليفتها لها ضد الاخرى • وحين أعلنت بريطانيا الحرب على المانيا، كان السبب هو ان المانيا قد انتهكت تعهدا مشتركا باحترام الحياد البلجيكى من جهة ولان الاتفاقات البحرية المعقودة مع فرنسا والخوف من القوة البحرية الالمانية أوجبا على بريطانيا أن تقف فرنسا فى جه هذا الهجوم • ولما أعلنت اليابان فيما بعد الحرب على المانيا كانت تقصد الاستيلاء على ما للاخيرة من امتيازات فى الصين ومن جزر فى المحيط الهادى • ولما انضمت الدولة العثمانية وبلغاريا الى المانيا بعد تمهل قليل كان ذلك لان احداهما كانت خصما لروسيا ولأن الاخرى كانت تكن بعض الشكاوى ضد الصرب • ولما انضمت ايطاليا فى عام ١٩١٥ الى بريطانيا وفرنسا والروسيا، كان ذلك لانها كانت قد نالت بموجب معاهدة لندن السرية المعقودة فى ذلك العام وعدا بمغانم اقليمية على حساب الدولة العثمانية والنمسا، كما منيت بمغانم استعمارية •

(٢) مراحل الحرب :

كانت خطة الالمان ترمى الى انقضاض جحافلهم على فرنسا، فتحطم جيوشها فى الغرب فى مدى اسبوعين او ثلاثة، ثم

ينقضون على روسيا بعد ذلك فى الشرق . وتنفيذا لهذه الخطة جرد الالمان اكثر قواتهم على فرنسا،فاخترق أحد جيوشهم بلجيكا وسار آخر الى لكسمبرج ،وهاجم جيش ثالث فرنسا من متز الى نانسى . وفى ٢٠ أغسطس احتل الالمان بروكسل وسقط فى ايديهم حصنا لييج ونامور المنيعان ،وشق الجيش الالمانى الزاحف على فرنسا طريقه دون ان يستطيع الفرنسيون والبريطانيون وقفه ،حتى سار فى اول سبتمبر على بعد أربعين كيلو مترا من باريس ،واضطرت الحكومة الفرنسية الى الانتقال الى بوردو ،واستعدت العاصمة الفرنسية لحصار مرير ،ولكن الجيش الفرنسى بقيادة المارشال جوفر أحرز نصرا فاصلا على الالمان فى معركة المارون التاريخية (٦ ـ ٩ سبتمبر) فاضطر الجيش الالمانى الى التقهقر سريعا الى نهر الاين L'Aisne وبذلك طاش آمل قواده فى احراز الانتصارات فى حرب خاطفة . ومالبث القتال ان تحول الى حرب خنادق ،تحصن فى داخلها المقاتلون من كلاالفريقين، وامتدت المتاريس والخنادق من بحر الشمال الى سويسرا جنوبا ،وحصنت بالاسلاك الشائكة .

و فى بداية الحرب قامت روسيا بهجوم كبير على ولاية بروسيا الشرقية الالمانية وتقدم جيشها الكبير سريعا، غير ان القائد الالمانى الكبير هزمهم هزيمة فادحة عند تاننبرج فى ٢٧ أغسطس ،وتمكن من القضاء على الجيش الروسى

وقائده سامسونوف فى معركة تشبه موقعة سيدان ،ولذا اطلق عليها اسم سيدان الروسية . وبذلك لم يكن للروس خطر كبير على المانيا بعد ذلك ،ولو ان الروس تمكنوا بعد ذلك من غزو بعض أجزاء بروسيا الشرقية . ومن ناحية اخرى ،كانت مقاومة النمسا ضعيفة ،وتمكن الروس من غزو غاليسيا ، وهددوا سيليزيا. كما انهزمت النمسا أمام الصرب الى طردت جنودها من بلجراد ،وقامت الصرب بغزو البوسنة .

وكان لانضمام اليابان الى فرنسا وانجلترا وروسيا ان قامت الحرب ضد المانيا فى الشرق الاقصى ،ففى ١٥ اغسطس وجهت اليابان انذارا الى المانيا تطالبها بتسليم كياوشاو، كما أمدت روسيا بالذخائر والمؤن وحمت سفن الحلفاء فى الشرق الاقصى . ومن ناحية آخرى ،سرت روسيا بدخول الدولة العثمانية الحرب بجانب المانيا حتى تتمكن من تنفيذ مطامعها ،كما أعلنت انجلترا ان استانبول و المضايق ستكون من نصيب روسيا . وبدأت روسيا تتصل بحلفائها بخصوص تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية . وعلى العموم وازن انضمام الدولة العثمانية الى المانيا انضمام ايطاليا الى الحلفاء بعد ذلك بستة أشهر ،ولكن ايطاليا لم تسهم بشيء يذكر فى حملة الدردنيل او فى القتال فى البلقان. ولقد زاد من حرج الموقف العسكرى العام لدول الوفاق، و خاصة روسيا فشل الحملة الانجليزية الى الدردنيل فى

سبتمبر عام ١٩١٥ ،واضطرت الحملة الانجليزية الى الانسحاب وضاع أمل روسيا فى فتح الطريق لتوصيل المواد العسكرية اللازمة لها • وفى ٢٤ أكتوبر عام ١٩١٧ أنزلت حملة نمسوية ـ المانية هزيمة قاسية بالجيش الايطالى فى موقعة كابوريتو (Caporetto)•

و على آية حال انتهت الحرب فى عام ١٩١٥ فى صالح الدول الوسطى ،فلم ينجح الحلفاء فى الغرب وانهزمت الروسيا فى الشرق ،ولم تفلح ايطاليا فى هجماتها ودخلت بلغاريا الحرب فى صالح الدول الوسطى ،وسقطت الصرب وفشلت حملة الدردنيل • ولكن فى عام ١٩١٦ ،بدأت كفه الحلفاء ترجح ،فقد انكسرت حدة الهجوم الالمانى نتيجة موقعتين فاصلتين فى تاريخ الحرب العالمية الاولى • ففى معركة فردان Verdun استطاع الفرنسيون بعد تضحيات جسيمة ان يوقفوا الزحف الالمانى وان يستعيدوا الاراضى التى فقدوها فى الهجوم الالمانى الاول ،وبذلك استطاع الفرنسيون ان يوقفوا الغزو الالمانى لاول مرة منذ بداية الحرب• و خسر الجيش الفرنسى فى هذه المعركة نحو نصف مليون مقاتل ،وبلغت خسائر الالمان نحو ستمائة ألف رجل•

وقبل ان تنتهى معركة فردان ،رد الفرنسيون والبريطانيون فى اول يوليو على هجوم الالمان بخوض غمار معركة السوم الكبرى (La Somme) • ولقد بلغ من شدة التناحر

ان فقد البريطانيون فى اليوم الاول من هذا الهجوم نحو ستين ألفا بين قتيل وجريح • وظل هذا الصراع الهائل محتدما الى نوفمبر • وظهر فى ١٥ سبتمبر خلال هذه الموقعة سلاح حربى اخترعه البريطانيون : هو سلاح الدبابات الذى أدى استخدامه بالتدريج الى انهاء حرب الخنادق فى الميدان الغربى • ولم يتقهقر الالمان سوى أميال قلائل • وبينما كانت معركتا فردان والسوم دائرتين ،انقض جيش روسي بقيادة الجنرال بروسيلوف على قوات النمسا والمجر،واستحوذ على رقعة كبيرة من الارض على حدود المجر • وشجع هذا الانتصار الباهر رومانيا على الانضمام الى جانب الحلفاء فأعلنت الحرب فى ٢٧ أغسطس عام ١٩١٦ على النمسا والمجر، فردت المانيا فى اليوم التالى باعلان الحرب عليها• وكان انضمام رومانيا الى جانب الحلفاء قد أتاح للالمان فرصة الهجوم عليها واكتساح اراضيها ،اذ استطاعت القوات الالمانية تحت قيادة المارشالين فلكنهاين وماكنزن من اكتساح الاراضى الرومانية والاستيلاء على العاصمة بوخارست فى ٦ ديسمبر عام ١٩١٦ ،وبذلك استطاع الالمان أن يستولوا على دولة غنية بثروتها الطبيعية ولاسيما البترول عصب الحرب •

و مما ضاعف من متاعب الالمان الحصار البحرى الشديد الذى فرضه الانجليز على الالمان مما أدى الى قلة المواد

الغذائية لدى الشعب الالماني . ونظرا لتفوق بريطانيا البحرى تمكنت من القيام بعمليات بحرية فى البحر المتوسط دون ان تخشى شيئا من قوة المانيا البحرية ،فتمكنت من انزال قواتها فى الدردنيل ،وكذلك فى سالونيك ،كما انها قطعت كل صلة تربط المانيا بمستعمراتها ،بحيث أصبحت تلك المستعمرات مهددة بالسقوط فى ايدى الحلفاء دون ان تستطيع المانيا أن تفعل شيئا من اجل انقاذها . كما ان قوة البحرية الانجليزية قد قللت الى حد كبير خطر الحصار الالمانى الذى فرض على الجزر البريطانية عن طريق الغواصات التى قامت بحرب لاهوادة فيها فى اغراق السفن المتجهة الى بريطانيا مهما كانت جنسيتها . ورغم تفوق بريطانيا البحرى الا ان الاسطول الانجليزى قد أصيب بخسائر كبيرة نتيجة لحرب الالغام والغواصات والطوربيدات . وفى ٢١ مايو عام ١٩١٦ دارت معركة جوتلند (Jutland) بين الاسطولين البريطانى والالمانى ولكن بريطانيا لم تحرز نصرا حاسما على العدو .

و بعد مرور حوالى عامين على اندلاع الحرب ، لم يحقق الجانبان المتحاربان نصرا حاسما يرجح كفة احدهما على الآخر ،ويرجع ذلك فى الواقع الى عدة عوامل هى :

أولا : ظهر خلاف بين رغبات الشعوب ومشيئة الحكومات فبينما أرادت الشعوب الوصول بالحرب الى نهايتها عن طريق حل وسط يرضاه الطرفان بسبب الخسائر الكبيرة التى نزلت بتلك الشعوب ،لم توافق الحكومات على هذا الحل وفضلت الاستمرار فى الحرب حتى نهايتها الفاصلة . ولقد تكبدت الشعوب فى عام ١٩١٦ بالذات تضحيات جسيمة فى كلا المعسكرين المتحاربين ،هذا بالاضافة الى تدهور الاحوال الاقتصادية بسبب موجه الغلاء وقلة الاجور ففى فرنسا ثار الرأى العام ضد وزارة بريان Briand لانها لم تتخذ خطوة ايجابية لانهاء الحرب . وفى نفس الوقت سقطت حكومة اسكويث Asquith فى انجلترا وحلت محلها وزارة لويد جورج . بل ان مستشار المانيا واجه صعوبات داخلية كثيرة ،وقامت ايضا صعوبات فى النمسا ضد الحكومة وخصوصا من القوميات غير الالمانية الخاضعة لحكمها ،وقتل رئيس الوزارةفى ٢١ اكتوبر عام ١٩١٦ .

ثانيا : نمت الحركة الاشتراكية الدولية فى اوروبا فى ذلك الوقت فى مختلف الدول الاوروبية . والتقت آراء الاشتراكيين الحياديين فى سويسرا بزعامة

جريم(Grimm) وحاولوا منذ عام ١٩١٤ احياء مذهب " الدولية " من جديد مع الاشتراكيين الايطاليين والروس البلاشفة تحت زعامة لينين، الذى كان لاجئا فى سويسرا . ونتيجة لذلك عقد أول مؤتمر اشتراكى دولى فى سبتمبر عام ١٩١٥ فى زيمرفالد(Zimmerwald) بالقرب من برن ،وضم اعضاء من جميع الدول المحايدة و الاشتراكية فى الحرب على السواء. وقد ناشد المؤتمر فى قراراته الشعوب الكادحة فى أوروبا بأن يطلبوا من حكوماتهم ابرام الصلح . وفى العام التالى تجدد هذا اللقاء فى كنتهال (kienthal) وكان هذا النداء الذى تجدد مرة آخرى يعبر عن رأى كثير من الشعوب فى انهاء الحرب واقرار السلام .

و على الرغم من كل الصعوبات ،حاولت الحكومات ان تدفع بالحرب حتى النصر ،ففى ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٦ وجه الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية مذكرة الى الدول المتحاربة طلب فيها ان يوضحوا وجهات نظرهم فى شروط الصلح ولكن دول الوفاق اظهرت اصرارها على الاستمرار فى الحرب ،وصرحت بأن غايتها من الحرب هى تحرير الالزاس واللورين و تحرير الايطاليين والسلافيين والرومانيين

والتشيكوسلوفاكيين الخاضعين للنفوذ الاجنبى • بل ان هذه الدول قد ارتبطت فيما بينها باتفاقات سرية توضح أهدافها من الحرب • ففى مارس عام ١٩١٥ عقدت بريطانيا وفرنسا وروسيا اتفاقا سريا يمنح الروسيا الاستانة ومضيقى البوسفور والدردنيل بعد الانتصار فى الحرب ،وكذلك عقد اتفاق سرى آخر فى مارس عام ١٩١٦ بين نفس الدول المذكورة وهى اتفاقية سايكس ـ بيكو لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها• وفى فبراير عام ١٩١٧ ،عقد اتفاق سرى ثالث بين فرنسا وروسيا تعد فيه الاخيرة بمساعدة الاولى فى استرجاع الالزاس واللورين والاستيلاء على اراض السار• ومن ناحية اخرى لم تكن المانيا اقل رغبة فى كسب الحرب من دول الوفاق ،ففى يناير عام ١٩١٧ أوضحت فى ردها على المذكرة الامريكية قبولها استقلال بلجيكا بشروط خاصة وضمانات معينة تتلخص فى تجريد بلجيكا من قواتها الحربية ،ومنح المانيا حق الاشراف على الخطوط الحديدية البلجيكية وتسليم حصون لييج ونامور لاحتلالها بقوات المانية • وآشار الرد كذلك الى رغبة المانيا فى توسيع رقعة آراضيها من جهة الشرق • و هكذا كانت الاطراف المتحاربة مصمة على المضى فى الحرب حتى النصر •

ولكن عام ١٩١٧ يعتبر أهم أعوام الحرب ،بسبب حدثين هامين وقعا فيه وغيرا التوازن فى القوى العالمية المتصارعة وهما: دخول الولايات المتحدة الامريكية

الحرب فى ٢ ابريل عام ١٩١٧ ،وقيام الثورة الروسيـــــة .

أما بالنسبة للتطور الاول ،وهو تدخل الولايات المتحدة فى الحرب ،فلقد ظلت الولايات المتحدة تعتنق مبدأ الحيـــاد المشوب بالعطف على قضية الحلفاء ،ونصح الرئيس ولســـــن شعبه باتباع سياسة الحياد بكل دقة وقال : " يجب الانحيز لاحد من الفريقين تفكيرا وعملا " . ولكن ولسن أعلـــــن الحرب على المانيا فى رسالته المشهورة بتاريخ ٣ ابريـــل عام ١٩١٧ ،وأعلن أن غرض الولايات المتحدة من الحرب جعـــل العالم مكانا آمنا للديمقراطية بالقضاء على الـــــرق الحربى الالمانى ،وانشاء نظام لاقرار السلام فى العالـــم . ولذلك لم تطلق الولايات المتحدة على بريطانيا وفرنســـا وروسيا اسم الحلفاء وانما كانت تذكر اسم " الاصدقـــاء" أو " الشركاء " للدلالة عليهم . وعلى العموم أعطى دخـــول الولايات المتحدة الحرب قوة لها ،فهى لم تتورط فـــى الاتفاقات السرية التى عقدت بين الحلفاء من قبل ،كمـــا انها لم تشأ ان تكون طرفا فيها ،وقد منحها ذلك حريـــة العمل غير المقيد ،فمن حقها ان تخرج من الحرب فـــى أى وقت تشاء بعد ان تطمئن الى القضاء على الروح العسكريـــة الالمانيـــة .

وقد يبدو من الغريب ان تقدم الولايات المتحدة علـــى هذه الخطوة ،خصوصا ان مبدأ منرو قد رسم لها سيـــاســـة

واضحة المعالم فيما يتعلق بالمشكلات الاوروبية ـ فقبد نص على ابتعاد الولايات المتحدة عن المنازعات الاوروبية ومن شؤون اوروبا ،فسياسة الحياد هى خير وسيلة لضمان سلامة الولايات المتحدة . ولكن ماهى الدوافع التى دفعت الولايات المتحدة الى اتخاذ قرار الدخول فى الحرب ؟ يمكننا ان نلخص هذه الدوافع فى النقاط الرئيسية التالية:

أولا : آثار اطلاق حرب الغواصات الالمانية غضب الولايات المتحدة . فتكرر اعتداء الغواصات الالمانية على سفنها التجارية عبر البحار،ورغم الانذارات المتتالية من جانب الولايات المتحدة ،لم تهتم المانيا بتلك الانذارات لانها كانت تؤمن بأن كسب الحرب يتطلب فرض حصار بحرى على الجزر البريطانية لاماتتها جوعا . وفى عام ١٩١٥ نسفت الغواصات الالمانية عابرة المحيطات الانجليزية لوزيتانيا (Lusitania) وكانت تقل ١١٨ راكبا امريكيا واحتجت الولايات المتحدة ،الا ان المانيا استمرت فى سياستها . وقد استاء الرأى العام الامريكى من حرب الغواصات ومهاجمة السفن التجارية ، وقامت الولايات المتحدة بتسليح بواخرها التجارية لمقاومة حرب الغواصات الالمانية ،وكان ذلك بطبيعة الحال مقدمة منطقية لدخول الولايات المتحدة

الحرب بسبب الخسائر المادية التى لحقت بهـــــا والشلل الذى أصاب تجارتها عبر المحيط .

ثانيا : اما الدافع الثانى فهو " قضية برقية زيمرمــان" ويتلخص هذا الحادث فى ان زيمرمان(Zimmer mann) مساعد وزير الخارجية الالمانيـــــة ، أرسل الى ممثل المانيا فى المكسيك برقية يقتـــرح فيها على الحكومة المكسيكية الدخول فى حلـــف مع المانيا فى حالة دخول الاخيرة الحرب ضـــد الولايات المتحدة فى مقابل استرجاع المكسيـــك للاراضى التى استولت عليها الولايات المتحدة فـــى عام ١٨٤٨ ،وهى كاليفورنيا ونيو مكسيكو . وقـــد تمكنت مخابرات بريطانيا الاستيلاء على تلك البرقية ، و ان تعرف مضمونها وتبلغها الى الولايات المتحدة التى بدورها أعلنتها على الراى العام الامريكـــى الذى أثاره هذا العمل أيما اثارة .

ثالثا : أقرضت المصارف الامريكية بريطانيا وفرنسا قروضـا كبيرة لتمويل عملياتها الحربية ،وقد دفع ذلـــك الولايات المتحدة الى دخول الحرب الى جانـــب هاتين الدولتين ضمانا لاموالها وحفاظا علــــى مصالحهـــا .

لقد أفاد دخول الولايات المتحدة الحرب قضية الحلفاء، اذ ساعد فى ترجيح كفة الحلفاء على كفة دول وسط اوروبا ومن الناحية العسكرية انقلب ميزان القوى الى صالح الحلفاء وظهرت نتائج ذلك فى ربيع عام ١٩١٨ ،لان الولايات المتحدة ألقت فى اوروبا بمئات الآلاف من الجنود المزودين بأحدث الاسلحة • كما ان دخول الولايات المتحدة الحرب أحكم الحصار حول المانيا ،وأنقذ بريطانيا من التسليم بعد ان خسرت عددا كبيرا من سفنها وأصبحت عاجزة عن نقل المواد الضرورية اللازمة للحرب • وعلاوة على ذلك شجع دخول الولايات المتحدة الحرب اشتراك بعض دول امريكا اللاتينية مثل البرازيل وبيرو وأورجواى وجمهوريات امريكا الوسطى فى الحرب بجانب الحلفاء • ومن ناحية اخرى استطاعت بريطانيا وفرنسا الحصول على ماتحتاجانه من أموال مباشرة من الحكومة الامريكية بعد ان كانت كل منهما تلجأ الى المصارف الامريكية •

أما التطور الثانى وهو القيام الثورة الروسية فى مارس عام ١٩١٧ ،فان الاحوال السائدة فى روسيا القيصرية كانت تنذر بالخطر منذ الهزيمة التى تلقتها روسيا على يد اليابان فى عام ١٩٠٥ • فقدقامت فى تلك السنة ثورة تهدف الى القضاء على الحكم القيصرى الفاسد، ولم تكن الحكومة الروسية على وفاق مع الدوما (البرلمان

الروسى) منذ انشائه فى عام ١٩٠٦،واستمرت الازمات بين الحكومة و الدوما منذ عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩١٤. وفى الوقت الذى وقع فيه وزير الداخلية الروسى قرار اعلان التعبئة العامة فى يوليو عام ١٩١٤ قال : " ان الشعب الروسى أنضج للقيام بالثورة اكثر من قيامه بالحرب ضد المانيا ولكن لامفر من القضاء " . ولقد تحقق هذا التنبؤ ،وفيما يلى أسباب ذلك :-

أولا : سوء الادارة وانتشار الرشوة واسناد الوظائف الى اشخاص ليسوا فوق مستوى الشبهات . وقد انعكس ذلك بشكل واضح على ادارة الجيش ،وعلى تموين المدن الكبرى نظرا لسوء اجراءات النقل.

ثانيا : ضعف القيصر نيقولا الثانى وبعده عن الحياة العامة فى بلاده ،لم يشعر بما يدور فى نفوس الشعب من الثورة على الاوضاع الفاسدة فى الدولة وعلى رأسها القيصر وأفراد حاشيته ،وخصوصا راسبوتين الذى كان يتستر خلف مسوح رجال الكنيسة لتنفيذ أغراضه الشريرة . واستطاع راسبوتين عن طريق صلته بالامبراطورة التى كان له عليها تأثير لايقاوم من التدخل فى كل شؤون الدولة صغيرها و كبيرها حتى المسائل العسكرية . وقد أدت هذه الفضائح الى احتقار الشعب للقيصر و الى تطلعه للاطاحة بأسرة رومانوف .

ثالثا: ظهرت قوة المعارضة فى روسيا داخل الدوما وخارجه ،ففى داخله تكونت كتلة تقدمية طالبت بتشكيل وزارة يرضى عنها الدوما ،وتحكم وفق مصالح الشعب . أما فى خارج الدوما فقد تمثلت المعارضة فى ثلاث كتل اشتراكية هى : الاشتراكية الثورية والمانشفيك[1] و البولشفيك[2]. و كان اكثرها تطرفا كتلة البولشفيك بزعامة لينين، و كانت تؤمن بالقوة كوسيلة للوصول الى الحكم. و تلتها كتلة المانشفيك و هى ماركسية أيضا، شأنها فى ذلك شأن الكتلة البلشفية ،و لكنها أقل منها تطرفا . أما الكتلة الثالثة و هى " الاشتراكية الثورية " فكانت اكثر الكتل الثلاث اعتدالا .

وقامت الثورة فى ٨ مارس عام ١٩١٨ بمظاهرة قام بها العمال فى مدينة بتروجراد لعدم توفر المواد التموينية. وتكونت منظمة تضم العمال والجنود أطلق عليها اسم " سوفيت بتروجراد " وأسفرت الاحداث عن قيام حكومة مؤقته من الاحرار البورجوازيين والاشتراكيين فى ١٤ مارس ١٩١٧ ،

---

(١) حزب الاقلية .
(٢) حزب الاغلبية .

ورفض الجيش تنفيذ أوامر القيصر باخماد الثورة ،ولذلك آثر التنازل عن العرش فى ١٥ مارس عام ١٩١٥ لاخيه الـدوق ميخائيل الذى لم يلبث ان تنازل بدوره عن العرش بعد ذلك بيومين بعد ان أدرك ان بقاء الاسرة الحاكمة الروسية أمرا مستحيلا . فتولت الحكومة المؤقتة كل الصلاحيات فى البلاد برئاسة كيرنسكى حتى يتم تشكيل " الجمعية التأسيسية " التى ستقوم بوضع نظام الحكم الجديد .

أرادت الحكومة المؤقتة برئاسة كيرنسكى الاستمرار فى الحرب ،ولكن الانقلاب الذى قاده لينين زعيم البلشفيك، فى ٦ نوفمبر عام ١٩١٧ وضع الحكم فى يد هؤلاء وتشكلت حكومة جديدة برئاسة لينين ،وتولى تروتسكى منصب وزير الخارجية ، و جوزيف ستالين شؤون القوميات . ولقد آثر هذا الانقلاب البلشفى على روسيا تأثيرا خطيرا داخليا و خارجيا . ففى الداخل استطاع هذا الانقلاب ان يغير نظام المجتمع الروسى تغييرا جذريا ،وان يقيم الدولة الاشتراكية عن طريق تأميم كل الاراضى الزراعية ،وحق العمال فى الاشراف على مصانعهم ثم تأميمها بعد ذلك . و أقام لينين اشتراكيه روسيا على اساس توطيد دكتاتورية الطبقة الكادحة فحل الجمعية التأسيسية فى يناير عام ١٩١٨ ،ودعم دستور يوليو من نفس العام سلطة الطبقة الكادحة عندما حدد مؤتمر السوفييت من له حق الانتخاب من المواطنين بالذين يشتغلون

بأنفسهم ،وبذلك حرمت الطبقة البورجوازية من هذا الحق.
وفى الخارج أعلن لينين عزمه على عقد صلح مباشر مع
المانيا ،وأبلغ هذا القرار الى حلفاء روسيا ،وفى ٣ مارس
عام ١٩١٨ وقع مع المانيا معاهدة برست ليتوفسك
(Brest - Litovsk) وقد نصت على مايلى:

١) تنازل البلاشفة عن دويلات البلطيق (استونيا وليفونيا وكورلند ولتوانيا) وفنلندا وبولندا ،على ان تعطى شعوبها حق اختيار الحكومات التى تروق لها.

٢) تنازلت روسيا للدولة العثمانية عن باطون وقارص وأردهان .

٣) الجلاء عن اوكرانيا والاعتراف بمعاهدتها مع المانيا.

وهكذا خرجت روسيا من الحرب بعد ان خسرت مساحات شاسعة من اراضيها ومن الاراضى التى تسيطر عليها.

و كان لتوقيع هذه المعاهدة أثر سيء على الحلفاء، ففى الوقت الذى لاحت فيه بوادر النصر بدخول الولايات المتحدة الحرب بجانبهم ،أعاد خروج الروسيا من صفوفهم التوازن الذى اختل لغير صالح المانيا. فقد خفف خروج روسيا من الحرب عبئا ثقيلا عن كاهل المانيا،مما يتيح لها فرصة توجيه ضرباتها القوية الى الميدان الاوروبى الغربى.

وأخذت المانيا تعد العدة للقضاء على أعدائها قبل وصول القوات الامريكية . واذا كانت المانيا مصممة على النصر بأى ثمن مهما كانت التضحيات ،فان بريطانيا وفرنسا كانتا لاتقلان عنها تصميما ،فقد ساعدت الظروف هاتين الدولتين على ان يتولى الحكومة فيهما رجال وصفوا بقوة الاحتمال على النضال ففى فرنسا وصل كليمنصو الى الحكم فى ١٣ نوفمبر عام ١٩١٧ ،وأصر على ان يجمع فى يديه كل السلطة لمواصلة الحرب . وفى انجلترا لم يأبه لويد جورج بصيحات المعارضة داخل البرلمان ،وكان يؤمن بأن من حقه ان يتخذ مايشاء من الاجراءات فى سبيل كسب الحرب . وفى ايطاليا رغم موقعة كابوريتو ـ حصل اورلاندو رئيس الوزراء على تأييد العناصر المنادية بالحرب . أما الرئيس ولسن فقد عمل على انقاذ الحلفاء وتسخير جهود الولايات المتحدة لنصرة الديمقراطيات فى العالم .

ورأت دول الوفاق والولايات المتحدة ضرورة توضيح أهداف الحرب لتعرقل بها أهداف المانيا التى بدأت بتحقيق برنامج الضم فى صلح برست ـ ليتوفسك . وفى ١٨ يناير عام ١٩١٨ حدد الرئيس ولسن فى رسالته الى مجلس الشيوخ الامريكى اهداف الولايات المتحدة لاقرار السلام فى المستقبل ـ وهى ماأطلق عليها اسم " المبادىء الاربعة عشر " . وقد تضمنت هذه المبادىء أسسا عامة أهمها : حرية الملاحة فى البحار ،

و تخفيض السلاح على ان يحل محل ذلك اقامة عصبة الأمم لتأمين السلم العالمى ،وكذلك القضاء او التخفيف من القيود الاقتصادية ،وكذلك القضاء علي المعاهدات السرية بين الدول • وهناك مبادىء خاصة تتعلق بتسوية المشاكل التى سببتها الحرب وهى : اعادة الالزاس واللورين الى فرنسا ، وتسوية قضايا دول البلقان بالطرق الودية مع مراعاة المصالح القومية كأساس لتلك التسوية ،وكذلك الاعتراف باستقلال بلجيكا ،وتكوين الدولة البولونية المستقلة على ان يراعى فى تشكيلها ايجاد منفذ لها على بحر البلطيق • و كذلك الاعتراف بالقوميات التى كانت تتكون منها الامبراطورية النمسوية المجرية ككيانات لها حق النمو • ومعنى هذا ان المبادىء الاربعة عشر قد تضمنت حق تقرير المصير كأساس عادل لصلح دائم •

و فى ١٠ مارس عام ١٩١٨ قام الالمان بهجوم هائل كانوا قد أعدوا له العدة فى غضون الاشهر الاربعة الماضية، فجمعوا خمسين فرقة من خيرة جنودهم وأربعة آلالف مدفع وأطلقوا كمية هائلة من النيران امتدت على جبهة طولها سبعون كيلو مترا • وأمل لودندورف من وراء هذه المغامرة الكبرى ان يحرز نصرا حاسما يكره الحلفاء على طلب الصلح، فقد شعر الالمان ان الوقت قد اصبح فى جانب الحلفاء بعد ان آخفقت حرب الغواصات المطلقة ،وتدفق الجنود الامريكيون على فرنسا ،وتناقصت المواد الغذائية فى دولتى الوسط

تقدما كبيرا ينذر بأشد المخاطر . وأحرز الالمان انتصارات أولية ،فحطم الجيش البريطانى الخامس و أرغم البريطانيون على التراجع حتى آميان تقريبا ،وكانت مركزا هاما لمواصلات الحلفاء ،وبدا كأن لودندورف يوشك ان يدرك هدفه فى فصل جيوش الحلفاء ،ولكن الفرنسيون جاءوا لغوث حليفتهم ،وصد التقدم وأنقذت آميان .

ورأى الحلفاء لتنسيق جهودهم وعملياتهم الحربية ان يوحدوا قيادتهم العليا . فعين فى ٢٨ مارس المارشال فوش (Foch) الفرنسى قائدا أعلى لجميع قوات الحلفاء البرية ،وأمكن ان يصد فى براعة كبيرة هجوما ثانيا قام به الالمان فى ٢٩ ابريل بين آراس ويبرس (Ypres) ضد الخطوط البريطانية التى اضطرت الى الارتداد اثنى عشر ميلا . وهجم الالمان هجمة ثالثة فى ٢٧ مايو فى ساحة شمان دى دام فى اتجاه باريس ،وقاموا فى ١٥ يوليو بجهد عظيم آخر للاستيلاء على ريمس ،وشق طريقهم الى باريس ،ولكن تمكنت جيوش الحلفاء من صدهم . وفى ٨ أغسطس قام البريطانيون بهجوم كبير مفاجىء بالقرب من آميان فانهارت خطوط الالمان ،وارتدوا تدريجيا خلال شهر سبتمبر الى خط سيجفريد (أطلق عليه الحلفاء خط هندنبرج) وهو الخط الذى بدأ منه الالمان هجومهم الكبير فى مارس . ولقد أطلق لودندورف على هجوم يوم ٨ أغسطس " اليوم الاسود"

و منذ تلك المعركة أحس لودندورف ان أمل المانيا في الانتصار قد ضاع الى الابد . وقد صرح بذلك الى الامبراطور الالماني الذى أبدى رغبته في انهاء الحرب والمانيا مازالت تقف على أقدامها ،قبل ان تخر صريعة .

وفي سبتمبر عام ١٩١٨ شن فوش هجومه العام في الوقت الذى تحركت فيه الجيوش المتحالفة على طول الجبهات الاخرى في اليونان وبلغاريا والشام والعراق وتهاوت المقاومة في الجبهات البلغارية والعثمانية والنمسوية والالمانية واتجهت دول الوسط الى طلب الهدنة . ففي ٢٩ سبتمبر عام ١٩١٨ طلب فرديناند ملك بلغاريا عقد هدنة نصت على الشروط التالية :

١) تسريح الجيش البلغاري في الحال وتسليم أسلحته وعتاده .

٢) تحتل قوات الحلفاء مراكز استراتيجية معينة داخل بلغاريا فيما عدا العاصمة .

٣) طرد جميع الالمان من أراضيها .

و في ١٣ اكتوبر قبلت الدولة العثمانية الشروط التي فرضها عليها الحلفاء لوقف القتال بعد الضربات القاسية التي كالها لها الحلفاء في سورية والعراق ،وبعد احتلال دمشق وبيروت وحلب . وانهارت قوى امبراطورية النمسا و المجر قبل خوض المعركة الفاصلة وذلك بسبب تصريحات

الرئيس ولسن التى أبدى فيها عطف الولايات المتحدة على تحقيق الامانى القومية للاقليات الخاضعة لحكمها . وبناء على ذلك لم تحد العناصر السلافية واليوغوسلافية والتشيكية التى كانت ممثلة فى الجيش النمسوى مصلحة فى الدفاع عن كيان الامبراطورية . وامام هذا الموقف الخطير لم تجد النمسا مفرا من طلب الهدنة والتوقيع عليها فى فيلاجويستى Villa Guisti فى ٣ نوفمبر عام ١٩١٨.

واقتنعت المانيا الآن ان مواصلة القتال أمر بعيد الاحتمال . فلقد أسر الحلفاء من الجيش الالمانى مايقرب من ربع مليون جندى ،وخشى القواد الالمان وعلى رأسهم لودندورف ان ينقلب تقهقرهم المستمر الى غزو الحلفاء لالمانيا ذاتها . ولذلك تقدمت الحكومة الالمانية فى اول اكتوبر عام ١٩١٨ الى الرئيس ولسن تطلب اليه السعى لعقد مؤتمر للصلح على اساس النقاط الاربع عشرة التى سبق له ان أعلنها فى خطابه لمجلس الشيوخ فى يناير من العام نفسه ورأت الحكومة الالمانية فيها منفذا للخلاص من مأزقها الحرج ،وأظهر الرئيس ولسن ترددا فى التفاوض لعقد الهدنة مع حكومة المانيا طالما ظل القيصر ولهم الثانى جالسا على العرش . فأبدى الالمان استعدادهم لعزله ،وانتشرت الثورة فى مختلف المدن الالمانية وقام الشعب الذى أضناه الجوع واسقمه الشتاء وأفزعته هزيمة جيوشه وكثرة أسراه ، وانسحاب اصدقائه بمطالبة [illegible] الصلح فورا . فاكره القيصر

وولى عهده على ان يلوذا بالفرار الى هولندا في ٩ نوفمبر عام ١٩١٨ . ونودى بالجمهورية فى اليوم نفسه فى برلين واختير زعيم الاشتراكيين فردريك ايبرت وكان يعمل فى بادىء حياته سروجيا ،رئيسا للحكومة الجديدة .

و فى الساعة الحادية عشرة من صباح ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ وقعت المانيا الهدنة مع ممثلى الحلفاء بغابة كومبيين (Compiegne Forest) ومن أهم شروطها جلاء الجنود الالمان خلال خمسة عشر يوما عن جميع الاراضى التى يحتلونها فى بلجيكا وفرنسا ولكسمبرج و كذلك من الالزاس ،والانسحاب الى ماوراء الضفة الشرقية لنهر الراين ،على ان يحتل جنود الحلفاء تلك الرقعة من الاراضى الالمانية كما اشترط الحلفاء ان تسلمهم المانيا الجانب الاكبر من أسطولها الحربى و جميع غواصاتها ،والقدر الاكبر من أسلحتها ومهماتها الحربية ،وأن تطلق سراح جميع الاسرى من جنود الحلفاء الذين وقعوا فى قبضتها ،وان تضع جميع خطوط سككها الحديدية الواقعة على الضفة اليسرى للراين تحت تصرف الحلفاء ،والغاء معاهدتى برست ـ ليتوفسك بوخارست اللتين عقدتهما المانيا مع روسيا ورومانيا .

(٣) التسوية ونتائج الحرب :

اختار الحلفاء المنتصرون باريس و ضاحيتها فرساى

مكانا لعقد مؤتمر الصلح بهدف الوصول الى تسوية تسرآب الصدوع المتداعية ،وتضمد الجروح الدامية وتوطد دعائم الرخاء والاستقرار فى ربوع العالم .واجتمع ممثلو الدول فى ١٨ يناير عام ١٩١٩ لوضع شروط الصلح وكان بينهم متحدثون رسميون لا للحلفاء والكبار وللدول التى انضمت اليهم فيما بعد فحسب ،بل لتلك الدول التى قطعت فى المراحل المتأخرة علاقاتها الدبلوماسية مع دول الاعداء كذلك ،وهى بوليفيا وأكوادور وبيرو واورجواى . اما الصين وسيام فقد دخلتا ضمن دول الحلفاء المحاربة نظرا لاعلانهما الحرب فى آخر لحظة . واستبعدت دول الاعداء التى خرجت من النزاع ،ولذلك أمليت كل المعاهدات عدا معاهدة لوزان مع تركيا فى عام ١٩٢٣ ،ولم يتفاوض فيها .

واختار المؤتمر رئيسا له وهو كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ،وكان من المتعذر على المؤتمرين جميعا الوصول الى قرارات سريعة لكثرة عددهم وتضارب مصالح دولهم . ولذلك سرعان ما انتهى الامر الى تركيز العمل فى آيدى " الثلاثة الكبار" وهكذا كان توجيه التسوية وخطوطها الرئيسية من وضع الثلاثة الكبار : ولسن رئيس الولايات المتحدة ، وجورج كليمنصو ،ودافيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا . وكانت اليابان وايطاليا فى البداية ضمن الدائرة الداخلية للدول الرئيسية ،ولكن سرعان ماتغيبتا عن الاجتماعات

أولا : خسرت المانيا جزءا من سكانها ومساحة واسعة من الارض كانت من نصيب أعدائها أو لخلق دول أوروبية جديدة .وانتزعت فرنسا منها الالزاس و اللورين ،وبلجيكا ،اوبن ومالميدى ،و أخذت بولونيا بوسنانيا وبوميرانيا لتظل على بحر البلطيق ،ومنحت كذلك مدينة دانتزج على هذا البحر لتكون منفذا لها ،واعتبرت مدينة حرة. و أخذت الدانمرك ايضا شمال شلزفيج . وخسرت المانيا جزءا من سيليزيا بناء على استفتاء سكانها .

ثانيا : فرض على المانيا دفع تعويضات عن الخسائر التى منى بها الحلفاء ولكن معاهدة الصلح لم تحدد مقدارها بسبب اختلاف وجهات نظر الدول المتحالفة بشأنها . ولما لم تصل الاطراف المعنية بالامر الى حل لهذا الموضوع لم تحدد قيمة التعويضات فى معاهدة فرساى و تركت هذه المسألة الى مفاوضات مقبلة ،وانعقدت مؤتمرات متعددة للوصول الى مبلغ معين تستطيع المانيا دفعه دون ارهاق ويتفق فى نفس الوقت مع مصالح الحلفاء و فى ١٦ يونية عام ١٩٢٣ قرر مؤتمر عقد فى لوزان ان تدفع المانيا مبلغ ألف مليون جنيه دفعة أولى،

وان تبنى لحلفائها سفنا بدل سفنها التـى
أغرقت زمن الحرب ،وان تسلم لفرنسا مقاديـــر
كبيرة من الفحم لتعويضها عن التخريب الـــذى
لحق بمناجم فحمهـــا .

ثالثا : تولى الحلفاء احتلال منطقة الراين لمدة ١٥ سنة،
ضمانا لتنفيذ المانيا مافرض عليها من شـــروط،
مثل دفع التعويضات ونزع السلاح ،على ان تنسحب
قوات الحلفاء تدريجيا ،وبصورة جزئية كل خمســة
أعـــوام .

رابعا: تحديد قوة المانيا بما لايزيد من ١٠٠٫٠٠٠ جنـدى
يتم جمعهم عن طريق التطوع بعد الغاء التجنيـد
الاجبارى ،على ألا يزود هذا الجيش بأسلحـــــة
ثقيلة او بسلاح للطيـران .

خامسا : نزع سلاح الضفة اليسرى لنهر الراين ،وكذلـــك
منطقة اخرى تمتد على الضفة اليمنى لهذا النهـــر
بطول ٥٠ كيلو مترا ،تأمينا لسلامة فرنســـا
و بلجيكـــا .

هذا بالنسبة لالمانيا ،أما بالنسبة لامراطوريـــة
النمسا والمجر فقد خسرت اجزاء واسعة من أراضيها ،فانسلخت
عنها بولونيا النمسوية وضمت الى الدولة البولونيـــة
الحديده . كما انتزعت منها سلوفينيا أقاليم ترانسلفانيا

وكانت اهداف ولسن الرئيسية هي ضمان تطبيق المبادىء العامة التى أعلن ضرورتها لاقامة صلح عادل وانشاء عصبة الامم. ولبلوغ اتفاق عام بشأن العصبة اضطر ولسن الى قبول انصاف الحلول فى تطبيق المبادىء العامة بشأن التسوية الاقليمية، وعزى نفسه بفكرة ان الاجزاء التى لم يرض عنها فى التسوية الاقليمية و السياسية كان من الممكن تحسينها فى الوقت المناسب على غير عجلة، بواسطة عمل العصبة كأداة للتوفيق و التعديل السلمى. فكانت التسوية الفعلية نتيجة سلسلة من المساومات والتوفيقات بين رغبات ولسن الخيالية الغايات وان تكن عميقة الفكرة فى كثير من الاحيان وبين مطالب كليمنصو الوطنية العنيفة الواقعية، وبين اهداف لويد جورج غير المستقرة والنهازة للفرص نوعا.

وقدم فى ٥ مايو ١٩١٩ فى اجتماع عام حضره ممثلو الدول المتحالفة مشروع تحضيرى لمعاهدة الصلح قبله المؤتمر فى جلسته بعد مناقشات كثيرة. وفى اليوم التالى قدم هذا المشروع للوفد الالمانى. ولكن لم يسمح له بالمناقشة وانما أذن له بأن يقدم مذكرة واحدة مكتوبة يدلى فيها برأية فى ذلك المشروع. وحينما اطلع الالمان على المعاهدة ارتفعت اصواتهم الى عنان السماء استنكارا لقسوتها البالغة واحتجوا بأنها ستقضى على كل امل لهم فى مستقبل كريم، وانها تنطوى على استعبادهم ردحا طويلا

من الدهر . بيد انهم اضطروا فى النهاية الى قبولهـا صاغرين . ففى الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٩ ذكرى مرور خمس سنوات على حادث سراجيفو ،وقع مندوباهم معاهدة الصلح فى بهو المرايا التاريخى بقصر فرساى و هو نفس البهو الذى شهد فى ١٨ يناير عام ١٨٧١ مولد الامبراطورية الالمانية . وشرب الالمان كأس الذل والهوان حتى الثمالة " فلم يسمح لمندوبيهم حتى بالجلوس على مائدة الصلح ،بل دخلا القاعة وخرجا منها محروسين كما يحرس المجرمون المقدمون للمحاكمة . وقد ولدت هذه المعاملة غير الكريمة مرارة فى نفوس الالمان بعيدة الغور شديدة الاخطار،واعتقدوا بأن هذا " الصلح المفروض " الذى آكره مندوباهم على مهره بتوقيعهما ليس بملزم لالمانيا من الوجهه الادبية .

و لقد تمت تسوية مشكلات الحرب فى معاهدات عدة هى: معاهدة فرساى (٢٨ يونيو ١٩١٩) مع المانيا ،ومعاهدة سان جرمان (١٠ سبتمبر ١٩١٩) مع النمسا ،و معاهدة نويى (٢٧ نوفمبر ١٩١٩) مع بلغاريا ،ومعاهدة تريانون (٤ يونيو ١٩٢٠) مع المجر ،و معاهدة سفر (اغسطس ١٩٢٠) مع تركيا . ووقعت معاهدة الصلح الاخيرة مع تركيا فى ٢٣ يوليو عام ١٩٢٣ فى لوزان . وببدء تنفيذ هذه المعاهدة فى ٦ اغسطس عام ١٩٢٤ تقرر السلام من الوجهه الرسمية فى مشارق الارض ومغاربها . وينبغى علينا فى هذا المجال ان نبين آثر تلك المعاهدات وآهم مانصت عليه على النحو التالى:

و البركوفين . وكذلك ضمت يوغوسلافيا أجزاء أخرى . وبذلك تضاءل حجم النمسا وقل عدد سكانها بحيث اصبح لايزيد عن ستة ملايين نسمة . وفقد المجريون ثلثى أراضيهم . وكان اختفاء الامبراطورية النمسوية من أبرز نتائج الحرب العالمية الاولى . وهكذا عجلت الدعوة باستقلال القوميات الى تفكك امبراطورية النمسا والمجر . فظهرت دولة يوغوسلافيا التى تكونت من الصرب والبوسنة والهرسك ودالماشيا والجبل الاسود وكرواتيا . وظهرت كذلك تشيكوسلوفاكيا عن طريق سلخ بوهيميا ومورافيا وسيليزيا النمسوية واجزاء من النمسا السفلى ،ولكنها لم تكن دولة متجانسة العنصر . وعلاوة على ذلك تنازلت النمسا لايطاليا عن تريستا واستريا والتيرول وممر برنار الاستراتيجى .

أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد حددت معاهدة سفر مصيرها وجعلتها دولة آسيوية فحسب ،وليس لها فى الشاطىء الاوروبى سوى القسطنطينية و مايحيط بها من أراضى. أما شبه جزيرة الاناضول فلم تصبح خالصة للاتراك ،فأعلن الحلفاء استقلال آرمينيا دون بيان لحدودها ، وكذلك وضعت ايطاليا يدها على منطقة فى جنوب شبه جزيرة الاناضول فى اضاليا . كما وضعت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسى و العراق وفلسطين و شرق الاردن تحت الانتداب البريطانى وذلك بمقتضى اتفاقية سان ريمو ،ووقع معاهدة سفر السلطان العثمانى ،ولكن الحكومة القومية بزعامة مصطفى كمال

أتاتورك رفضت التفريط فى أى جزء من الاراضى التركية ، وأعاد بناء الجيش التركى وهزم اليونان ،واتجه الجيش التركى بعد هذا النصر تجاه القسطنطينية التى كان الجنود الانجليز يحتلونها . ولكن مصطفى كمال أصدر أوامره بوقف الزحف ثم أبرمت هدنة بين الدولتين مهدت الطريق لعقد مؤتمر صلح عام فى لوزان . وفى يوليو عام ١٩٢٣وقعت معاهدة الصلح فى لوزان بين دول الحلفاء وتركيا ،وبمقتضاها مدت حدود تركيا الاوروبية الى مابعد ادرنة بقليل. واعترف الحلفاء بملكية الاتراك للقسطنطينية و تراقيا الشرقية ، وألغيت احكام معاهدة سفر المتعلقة بفرض غرامة حربية ونزع سلاح الجيش التركى . ولكن قبلت الحكومة التركية تجريد المضايق من أية تحصينات ،وجعلها مفتوحة فى وجه جميع السفن . وكانت الحركة الكمالية قد تخلت عن فكرة الامبراطورية الاسلامية ،و أخذت بالمبدأ الحديث الذى ينادى بحق كل شعب فى تقرير مصيره ،واقامة نظام الحكم الذى يراه صالحا . فقبلت تركيا التنازل عن كل دعوى لها فى السيطرة على الاراضى التى تقطنها الشعوب العربية .

ومعاهدة لوزان هذه ،هى الاتفاقية الوحيدة – من بين جميع معاهدات الصلح – التى قبلها جميع الاطراف معاهدة صحيحة ملزمة لهم ،والتى لم تعدل الا بعد ثلاث عشرة عاما ،وبعد ان وافقت الدول المبرمة لها عن رضا واختيار على تعديلها .

أما بلغاريا ، فلم تفقد الكثير من اراضيها حيث أعيدت الى حدودها التى كانت عليها فى عام ١٩١٤ ،على اساس انها خسرت الكثير من الاراضى فى الحرب البلقانية الثانية عام ١٩١٣ . وكانت الخسارة الوحيدة التى نزلت بها هى تنازلها من تراقيا الغربية لليونان . وقد أصبح توسع اليونان حائلا بينها وبين الوصول الى بحر ايجة ،لايجاد منفذ لها على البحـــر .

ولقد انتقدت هذه التسوية ،خصوصا ذلك الجزء منهـــا المتضمن فى معاهدة فرساى ، المعقودة مع المانيا لكونهـــا مجموعة موقعة من الاغراض المتضاربة ،ولكن لم يكن هـــذا بالضرورة هو أسوأ مافيها . لاى غرض آخر كان عقد مثل هـــذا المؤتمر الدولى العظيم ان لم يكن لايجاد أعلى قدر مشتـــرك من الاتفاق بين الدول التى تضاربت أهدافها ومصالحها مـــن نواح كثيرة لا لو أن مبادىء ولسن العامة طبقت دائما لكـــان لها نتائج مهلكة وسخيفة فى كثير من الحالات ،ولكن مكانتـــه الشخصية العظيمة ومثابرته أفلحتا فى بث نظرة أوســـــع واكثر دواما فى التدابير ،ولو لم تعتدل المطالب المتطرفـة لكليمنصو ولويد جورج لانتجت صلحا مؤديا الى حرب أخـــرى بعد فترة قصيرة ،لكنها أفلحت فى تذكير ولسن بحقائـــق السياسية الاوروبية المتضاربـــة .

ومن ناحية أخرى كانت محاولات اجبار المانيا على قبول ماسمى " مادة مجرمى الحرب " هى محاولات غير واقعية بالمرة . فلا يمكن خلق الشعور بالمسؤولية الادبية بمجرد تضمين نص عنها فى وثيقة كان ممثلو المانيا مرغمين على توقيعها . وأما طلب تعويضات من خسائر الحرب التى ألحقتها الجيوش الالمانية ،وهو الطلب الذى ارتكز على ذلك النص ،فقد حدد بأرقام من محض الخيال دون اعتبار جدى لطرق تمكين المانيا اقتصاديا من سداد هذا المال،وتمكين الحلفاء من استلامه لم يحدد فى المعاهدة رقم للتعويضات رغم ان فرنسا وبلجيكا وبريطانيا تقدمت بمطالب ضخمة وتكونت لجنة للتعويضات لتحديد المبلغ المطلوب ولترتيب وسائل الدفع ومواعيده ،وبهذه الطريقة أرجىء النظر فى المصاعب التى لم يمكن تجنبها ،فأصبحت فى العقد الثانى منبعا متجددا للكراهية الراسخة . وأيا كان الامر فان صورا أخرى من التعويضات انتزعت فى الحال ،فحرمت المانيا من كل ممتلكاتها الاستعمارية ومن معظم أسطولها،و من الجزء الاكبر من بحريتها التجارية ،ومن ممتلكات المواطنين الالمان فى الخارج . فثقب الملاحون الالمان معظم سفن الاسطول الراسية فى سكابا فلو لاغراقها . وحرم التجنيد الاجبارى فى المانيا ،وحدد جيشها بمائة ألف جندى ،و حرم عليها تملك مدفعية ثقيلة ،أو طيارات ،أو غواصات . ولم يكن بوسعها لعدة سنوات بعد الحرب ان تبنى مثل هذه

الاسلحة بأى كيفية ،ولما جاء الوقت الذى استطاعت فيه ذلك، كانت هناك طرق كثيرة لتفادى رقابة لجان نزع السلاح، وفى الوقت ذاته ،لما كان قد فرض عليها أن يكون جيشها الصغير مكونا بالتطوع ،وان يكون جيشا محترفا ،ظلت طائفة الضباط ذات قوة مصونة وأبيح لها ان تضع الخطط لتحقيق النمو السريع للقوة الالمانية المحاربة بأسرع مايمكن. فكانت هذه المجموعة الكاملة من الاجراءات التأديبية والتعويضية سيئة الوضع و غير ممكنة التنفيذ . فقد أفادت فى تكتل السخط الالمانى القومى دون اتخاذ ضمانات محكمة ضد قدرته على التعبير العملى عن السخط .

ومن بين الانتقادات الاخرى ان التسوية التى اتخذت المبادىء الاربعة عشر أساسا لحلول عادلة ،والتى اعترفت بحق تقرير المصير لكل الشعوب ،والتى نجحت فى تخليص عدد كبير منها من نير الحكم الاجنبى ،مثل البولونيين الذين تحرروا من سيطرة روسيا وبروسيا والنمسا ،والتشيكيين واليوغوسلافيين من النمسا ،والالزاسيين واللورينيين والدانمركيين من المانيا ،وقد وضعت شعوبا آخرى كاقليات قومية جديدة . أى أنها قد تخلصت من مشكلة قديمة بخلق مشكلة جديدة من نفس النوع . ومثال ذلك تشيكوسلوفاكيا التى ضمت أقليات المانية بلغ عددها ثلاثة ملايين نسمة ، وأقلية مجرية وصل تعدادها الى ٧٠٠,٠٠٠ مجرى . و كذلك

الحال فى بولندا التى اشتملت على مليونين من الالمان وثلاثة ملايين من الروتينيين . كما ضمت ايطاليا عناصر من السلوفيين . ونلحظ فى يوغوسلافيا كذلك أقليات مجرية وأقليات بلغارية . وهكذا نجد ان تسوية عام ١٩١٩ كانت بعيدة عن الكمال ،ولكننا نرى انه كان للضرورات السياسية أهمية فى بعض الاحيان تفوق حقوق القوميات ،فاذا سمح، مثلا ،للالمان الذين يعيشون فى السوفييت ،والالمان الموجودين فى النمسا بالانضمام الى المانيا لاصبحت بعد الحرب أقوى منها قبلها .

ولكن اذا كانت هناك ضرورات دعت الى تجاهل حقوق بعض القوميات فى أوروبا تدعيما للسلام والامن فى أرووبا فما هى الضرورات التى حتمت على هذه الدول تجاهل القومية العربية تجاهلا يكاد يكون تاما . فلم يكن تجاهلها بطبيعة الحال راجع الى دوافع تتعلق بالسلام والامن أو أى شىء آخر سوى تحقيق المطامع الاستعمارية على حساب العرب الذين كانوا بالامس القريب حلفاء بريطانيا لقد حملت كل الدول المنتصرة الكبرى ومن يدور فى فلكها من الدول الصغرى على ماأسمته حقوقا ،فيما عدا العرب ،فقد مزقوا شر ممزق . فلقد ابتدع ميثاق عصبة الامم نظاما أطلق عليه نظام الانتداب ويقضى بأن الاقطار التى سلخت من المانيا وتركيا ،و التى لاتستطيع شعوبها حكم نفسها بنفسها يجب " ان توضع تحت ادارة بعض الدول العريقة فى مضمار المدنية "

و الحقيقة ان دول الحلفاء اتخذت من هذا النظام الجديد ستارا لتخفى وراءه مطامعها الاستعمارية القديمة ،وقسمت الانتدابات الى ثلاثة انواع رتبت تبعا لمرحلة رقى السكان درجة حضارتهم فى البلاد التى أخضعت للانتداب ،فوضعت فى القسم الاول البلاد العربية التي كانت تكون جزءا من الدولة العثمانية . وحددت وظيفة الدولة المنتدبة لادارة كل منطقة من هذه المناطق " بأن تقدم له المشورة والمساعدة الادارية ... الى ان يحين الوقت الذى يمكن فيه ذلك القطر ادارة شؤونه بنفسه ،بحيث ينبغى ان يكون لرغبات الشعب لاعتبار الاول فى اختيار الدولة المنتدبة . ولم تكن بريطانيا وفرنسا أمينتين فى تنفيذهما لهذا النظام على البلاد العربية ،واندلعت ثورات عديدة فى فلسطين وفى سوريةوفى العراق أبانت عن كراهية العرب العميقة لهذا النظام الاستعمارى الجديد ،وللدولتين المنتدبتين.

و لكن أفضل ما اشتملت عليه تسويات مابعد الحرب هو ميثاق عصبة الامم الذى بذل الرئيس ولسن جهدا كبيرا لاخراجه الى حيز الوجود . لقد بذل ولسن كل نشاطه لانشاء سلم جديد ،وقرر الذهاب الى مؤتمر السلام بنفسه كصديق للانسانية كبير الامل فى اقناع اوروبا بصلح عادل قائم على اساس عصبة من الشعوب الديمقراطية المحبة للسلام. وفى الواقع كانت نكرة عصبة الامم ممتلكة زمام الرئيس الامريكى ،وكلف مساعده هاوس بوضع ميثاق أو عهد لها ،

ولقد تجلت فى الميثاق الذى وضعه هاوس المثل العليا الاخلاقية . وتوضح مقدمة المشروع الذى وضعه هاوس " ان الحضارة الحالية قد فشلت لعدم وجود نظام تخضع له الشعوب جميعا . ولان الرأى العام فى العالم قد وافق على كثير من المسائل غير الاخلاقية ولذا فغاية الشعوب التى توافق على هذا الميثاق تكوين عصبة أمم فى العالم مرملها السلام والطمأنينة والتقدم والحكومة المنظمة ،وعلى ممثلى الدول من رجال السياسة ،ألايقوموا بعمل سياسى يخالف الصدق و الشرف ،وألا يؤيدوا من أعمال الماضى ماخلا من الاخلاق الفاضلة " .

ولقد أصر لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا على ألاتضع دستور عصبة الامم الا لجنة عالمية ،وبذا استبعد مشروع العصبة من مؤتمر السلام الذى يضم الدول الكبرى ،و أصر لويد جورج و كليمنصو على ضرورة اشراك الدول الصغرى فى وضع ذلك المشروع ،هذا فى الوقت الذى رفضا فيه بقوة اشراك الدول الصغرى فى مؤتمر السلام . واضطر ولسن فى النهاية الى ان يوافق على ان تتكون اللجنة التى تضع المشروع من ممثلين اثنين لكل من الدول الكبرى ،وممثل واحد لكل من خمس دول صغرى زيدوا فيما بعد الى تسع ، وطلب ولسن ان ينضم هو ومساعده هاوس الى هذه اللجنة كممثلين للولايات المتحدة . وراس ولسن هذه اللجنة ،ولكن

رئيسي حكومتي بريطانيا وفرنسا لم يشتركا فيها إشتراكيا فعليا . وأوضحت المناقشات التي دارت بين أعضاء اللجنة على اختلاف الدول في فهمها للعصبة ،ومايجب ان تكون وظائفها ،وكيف يكون تشكيلها ،ومدى صلتها بضمان السلام الذي سينشئه مؤتمر فرساي .

و نظرا لحرص ولسن الشديد على الحصول على موافقة الدول الاعضاء في مؤتمر السلام على ضم ميثاق العصبة الى معاهدة فرساي ،بينما كانت تلك الدول تصر على فصل الاثنين عن بعضهما ،اكثر من استرضاء المنتصرين الى درجة تنافت مع بعض المبادئ والنقط التي نادى بها من قبل. ولذا لم يرض اوروبا ولاامريكا بل أصبح مكروها في كثير من دول اوروبا . ولكن بالرغم من ذلك نجح ولسن في انشاء عصبة الامم ،وفي اقناع دول اوروبا الكبرى بالاعتراف بمبدا منرو ،وكان هذا المبدا قبل ذلك الوقت مجرد تعبير عن سياسة أعلنتها الولايات المتحدة من جانبها وحدها . وكان ولسن يرى ان العصبة ماهي الانظرية منرو مكبرة فالعصبة ستؤدي الى العالم كله خدمات كبيرة مثلما تؤدي نظرية منرو للولايات المتحدة وخصص القسم الاول من معاهدة فرساي لميثاق عصبة الامم .

ورغم الآمال الكبيرة التي علقت على قيام عصبة الامم فانها بحكم تكوينها لم تكن قادرة على حفظ السلام.

فالولايات المتحدة صاحبة فكرة انشاء العصبة لم تشترك في عضويتها . وفيما يلى بعض الاسباب التى منعت الولايات المتحدة من الاشتراك فى العصبة وهى :

١) ان العصبة كانت تمثل مجموعة الدول المنتصرة ومن يدور فى فلكها ،كما أنها كانت اوروبية الصبغة، ولم تكن تمثل دول العالم تمثيلا حقيقيا .

٢) اعترض الشيوخ الامريكيون الذين ينتسبون الى أصل ايرلندى اوالمانى على نص المادة العاشرة من الميثاق و كانت تتضمن سلامة أراضى أعضاء العصبة ورفضوا الابقاء على مادة تضمن تفوق بريطانيا ، فالامبراطورية البريطانية لها خمسة أصوات ،وللولايات المتحدة صوت واحد ،وماكان هذا يرضى شيوخ الولايات المتحدة ،لانه مهما قيل عن استقلال كندا و جنوب افريقيا واستراليا ونيوزيلندا فهى جميعا أعضاء فى الامبراطورية البريطانية لاحدال فى ذلك . وعلاوة على ذلك كان الامريكيون يميلون الى اتباع سياسة العزلة من جديد والاهتمام بشؤونهم الخاصة .

٣) لم تمثل العصبة سوى أربع وأربعين دولة معظمها اوروبية وظلت روسيا بعيدة عنها رغم أنها لم تكن من الدول الاعداء . كذلك أبعدت المانيا وتركيا و حلفائهما بحجة أنهم لم يبلغوا بعد مرتبة النضوج السياسى من الناحية الدولية .

و هكذا نفذت المعاهدة والعصبة دون اشتراك الولايات المتحدة • ولقد اتصل اسم عصبة الامم باسم الرئيس ولسن، فجاء امتناع الولايات المتحدة عن الانضمام اليها ضربة كبيرة لنفوذ العصبة ومستقبلها • والمسؤول عن قتل العصبة ولسن نفسه الى حد ما ،لانه لم يتصرف التصرف المناسب لانجاح المشروع ،ولعدم اعتداله ولعدم مرونته فى قبول بعض التعديلات التى أشير بها عليه • و جانب من المسؤولية يقع على مجلس الشيوخ الذى طالب بادخال تعديلات كبيرة أفقدت مشروع العصبة قيمته • وربما كان من أسباب فشل ولسن انه لم يبين للشعب الامريكى حقيقة الدوافع التى جعلت الولايات المتحدة تدخل الحرب ،وهى ان للولايات المتحدة مصالح حيوية فى منع المانيا من قهر اوروبا والسيطرة على الاطلنطى و الاتحاد مع اليابان فى المحيط الهادى،ولكن ولسن جعل لاسباب دخول الولايات المتحدة صفة شرعية أخلاقية، وقال ان امريكا دخلت الحرب لجعل العالم مكانا آمنا للديمقراطية • وهكذا اصبحت العصبة لاتضم كل الدول الكبرى، فلم تنعم بنفوذ سياسى كبير ،وفقدت مظهر العالمية أهم مظهر لها • واذا كانت الولايات المتحدة لم توافق على العصبة ،فانها لم تقبل ايضا معاهدة فرساى ،واضطرت الى عقد معاهدة منفردة مع المانيا فى ٢٥ اغسطس عام١٩٢١•

وقد تضمن ميثاق عصبة الامم بعض الاهداف التالية :

١) الامتناع عن اللجوء الى استخدام القوة لتسويةالمشاكل القائمة بين الدول .

٢) عدم عقد اتفاقات سرية .

٣) تأمين حرية النقل والتجارة بين الدول.

٤) تعمل الدول الكبرى المنتدبة (طبقا لنظام الانتداب) على رقى مجتمعات الدول المتخلفة

٥) الدعوة الى رفع مستوى العامل ورفع الاستبداد عنه و اعطائه حدا أدنى من الاجور يجعله قادرا على الحياة الكريمة .

كما نص الميثاق على ان تتألف العصبة من الدول المستقلة استقلالا تاما ،والتى تستطيع ان تقدم ضمانات وافية على نواياها السلمية وقدرتها على الوفاء بالتزاماتها . وكذلك قرر الايسمح للروسيا والمكسيك بدخول العصبة الا بعد اقامتهما نظم حكم مستقرة . وقرر الميثاق تشكيل العصبة من هيئتين رئيسيتين الى جانب السكرتارية هما : الجمعية العمومية ومجلس العصبة [1]. وأقام الميثاق أيضا المحكمة الدائمة للعدل الدولى "،ويطلق عليها عادة " محكمة العدل الدولية " للنظر والفصل فى أى نزاع ذى صبغة

---

(١) انظر الملحق الخاص ببعض نصوص ميثاق عصبة الامم .

دولية يروم طرفاه عرضه عليها ،ولتقديم آراء استشارية في الشؤون التي يحيلها اليها مجلس العصبة او الجمعية العمومية . وكانت هذه المحكمة الدولية تتألف من خمسة عشر قاضيا تختارهم عصبة الامم من بين قائمة مرشحين تقدم الدول الاعضاء اسماءهم . وأنشأت معاهدة فرساي أيضا منظمة دوليه للعمل ألحقت بالعصبة واستهدفت هذه المنظمة العمل على تحسين احوال العمال في جميع أنحاء العالم والظفر لهم بشروط عادلة .

وعقدت عصبة الامم اجتماعها الاول بجنيف في نوفمبر ١٩٢٠، وحضر هذا الاجتماع ممثلو اثنين وأربعين دولة . ولكن اطرد عدد الدول الاعضاء ازديادا حتى بلغ ستين دولة عام ١٩٣٤ ، وسمح لالمانيا وحليفاتها السابقات بالانضمام الى العصبة، وأعطيت المانيا عند انضمامها عام ١٩٢٦ كرسيا دائما في مجلس العصبة ،وهو الكرسي الذي ظل شاغرا لعدم انضمام الولايات المتحدة للعصبة . وفي عام ١٩٢٢ زيد عدد الكراسي غير الدائمة من أربعة الى ستة نتيجة لضغط الدول الاعضاء الصغرى ،ثم زيد هذا العدد الى تسعة كراسي دائمة في عام ١٩٢٦ . ولقد تمكنت العصبة في بدء حياتها من حل بعض المشكلات التي هددت السلام بين بعض الدول الصغرى ، ولكن لوحظ ان نفوذ العصبة كان ضئيلا في الخلافات التي نشبت بين بعض الدول الكبرى . وفي حقيقة الامر ان ضعف العصبة لم يكن ناجما عن نقص تنظيمها ،أو خلل في صرحها ،

وانما رجع الى حد كبير الى عدم ولاء الدول الكبرى لتعهداتها ورغبتها فى اتخاذ عصبة الامم وسيلة لتحقيق مراميهـــــا السياسيـــة ٠

و بعد ان استعرضنا جوانب التسوية وماوجه اليهـــا من نقد ،ننتقل الى مناقشة النتائج والتغيرات الهامة التى نتجت عن الحرب العالمية الاولى ٠ ومما لاشك فيه ان الحرب قد غيرت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى اوروبا بصفة خاصة وفى العالم بصفة عامة ٠ فبالنسبة للتغييـــرات الاجتماعية ،كانت آهم نتيجة للحرب على المجتمع هى قـــوة العاطفة والانفعالات الوطنية التى لم تكن مبادىء تقريـــر المصير القومى المطبقة فى التسوية سوى صدى لها ٠ تكاتفت التعبئات والخسائر الضخمة والانفعالات الشديدة ،والضغـــط المتواصل للمجهود الحربى الثقيل الحمل ،ومشاطرة آحـــزان الهزيمة و آفراح النصر ،على حصر آذهـان البشر فى مسائـل العزة القومية والحمية الوطنية ٠ كان العدو فى كل بلـــد يوصف بالوحشية والاستهتار واستحقاق الكراهية التامـــة ٠ وثبت منذ البداية ان الحركة القومية كانت عاملا آقـــوى بكثير من الحركة الاشتراكية ،ولقد آزرت الاحزاب الاشتراكيـة حكوماتها البرلمانية فى كل بلد فى عام ١٩١٤ وصوتت مؤيـدة التعبئة و اعتمادات الحرب ٠ آما حركات الاضطراب والتخريب طلبا للسلم فلم تشل الحرب الا فى روسيا مؤخرا ٠ فانحصرت مقاومة مجهود الحرب فى آفراد قلائل من الاشتراكييـــن

أو أنصار السلام ،ولكن أصبحت الاشتراكية اشتراكية وطنية اساسا وبقى دائما طوال السنوات التالية بأشكال أخرى عدة تحالف أقوى حركتين فى العالم الحديث . فان انتصار الجماعة المتطرفة فى روسيا عام ١٩١٧ وسع الانفصال فى صفوف الاشتراكيين وأدامه ،ولم يكن الاشتراكيون البرلمانيون اكثر قدرة على قبول أساليب البلشفية منهم على قبول دعاوى الماركسية عن حرب الطبقات ،والحفاظ عليها . ومن هنا افترقت الشيوعية والاشتراكية ،ولو ان توضيح هذا الخلاف وزيادته استغرقا أحداث العقد التالى .

واقترن تعزيز الوطنية واللون الوطنى من الاشتراكية بما يمكن تسميته " تأميم رأس المال " . فقد اصبح من واجب كل حكومة ان تمارس قدرا عظيما من التوجيه والرقابة على مجموع الحياة الاقتصادية فى بلدها . فأصبح من الواجب مراقبة التجارة الخارجية والاستثمار الاجنبى ،وتخطيط الانتاج الزراعى و الصناعى أو توجيههما لسد مطالب التعبئة والامداد الحربى . وكان لابد من ضغط انتاج السلع المدنية والكمالية ،ومن توفير الخامات ،وتوجيه القوى العاملة فى كل أمة من الرجال (من النساء كذلك بدرجة متزايدة) وأصبح الراسماليون الذين أثروا من أزمات قلة المواد و الذين كسبوا الكثير من الحرب مكروهين كراهية مرة لكونهم " مستغلين " ،و عملت الزيادة المستمرة فى أعباء الضرائب على تقريب مستويات الدخول وعلى وضع سلطة ضخمة

جديدة فى أيدى الحكومات . لتحقيق هذه الاغراض جميعا ولتوزيع المواد الغذائية بالبطاقات ومراقبة الاسعار أقامت كل حكومة أجهزة جلبت عليها مزيدا من المشاكل الادارية والسلطات المكتبية وادارة الاعمال . ونظرا لان الولايات المتحدة دخلت الحرب فى وقت متأخر ،ولان اقتصادها المتوسع قلل من ضرورة الاخذ بهذه الاجراءات ،كانت هذه العملية أقصر مدى مما كانت عليه فى البلاد الاوروبية ،ولو أنها سارت هناك بدرجة ما . وأحدثت الحرب ثورة فى صلتها بأوروبا . كذلك كان لمواطنين ولشركات بريطانية وفرنسية كما كان لغيرهم من الاوروبيين استثمارات ضخمة فى الولايات المتحدة بلغت فى عام ١٩١٤ حوالى ٨٠٠ مليون جنيه استرلينى . وقد استولت حكوماتهم على هذه الاستثمارات أثناء الحرب وباعتها فى امريكا لتشترى مهمات ،معوضة أصحابها بالجنيهات او بالفرنكات . وفضلا عن هذا أصدرت الحكومات الاوروبية قروض حرب كبيرة الى امريكا . لهذا خرجت الولايات المتحدة من الحرب أعظم دولة دائنة فى العالم ،و كانت البلاد الاوروبية مدينة لها بحوالى آلف مليون جنيه استرلينى ،وظل سداد قروض الحرب هذه مشكلة شائكة فى العقد التالى .

كذلك كانت التغيرات الاجتماعية التى سببتها الحرب عظيمة ،فقد اختل التوازن العادى بين الجنسين من جهة

وبين مجموعات الاعمار من السكان من جهة أخرى بسبب تفكك الحياة العائلية أثناء التعبئة ،وقتل ملايين من الشبان، وهبوط نسبة المواليد هبوطا حادا ثم ارتفاعها ارتفاعا شديدا مماثلا بعد انتهاء الحرب . ودخلت النساء العاملات حبا للوطن فى المصانع والخدمات الحربية سوق العمل على نطاق لم يعرف من قبل . فلما وجدت الكثيرات بذلك أساسا اقتصاديا لمزيد من الاستقلال ظللن فيه ،و جعل الدور الذى قمن به فى مجهود الحرب خصوصا فى بريطانيا ،مطالبتهن بحق الانتخاب أمرا لايقاوم بعد الحرب. ومن ثورات العصر الحديث الاخفض صوتا والاقل ملاحظة تغيير وضع النساء فى المجتمع فى العالم . فقد تحررن من وضع فيه الخضوع القانونى والاجتماعى للرجال على الأسوأ وافيه التبعية الاقتصادية والسياسية ،وكسبن فى بلد بعد الآخر مركزا فيه قدر أعظم من المساواة مع الرجال . وامتدت هذه الثورة حتى الى آسيا ،كما أثرت أخيرا فى افريقيا . لعبت الحرب دورا هاما فى كل هذه العمليات فى بريطانيا وغرب اوروبا ،وحدثت هزات اجتماعية اخرى نتيجة لتضخم الاسعار بعد الحرب ولثقل عبء الضرائب اذ عانى من هبوط مستوى المعيشة كل الذين اعتمدت معيشتهم على دخول ثابته من الاستثمارات اوالمدخرات و كل الذين لم تتيسر زيادة اجورهم النقدية . فتركت الحرب بأثقالها ومشقاتها وجنونها وانهاكها ،شعوبا ثائرة عديمة الاتزان تصارع عواقبها .

ومن ناحية آخرى كان للدمار الشامل الذى تعرضت له دول اوروبا خلال الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨) آثره الواضح فى اضمحلال اوروبا اقتصاديا . فتدمير معظم المصانع الاوروبية قد آفقدت اوروبا قدرتها على الانتاج ،كذلك آفقدها تجنيد الايدى العاملة فى الحرب خيرة شبابها من العمال المهرة الذين يقدرون بنحو ثمانية ملايين ونصف ،بالاضافة الى ذلك فان قيام اوروبا من كبوتها كان يتطلب وقتا غير قصير كى تستعيد كامل نشاطها وانتاجها . كما ان تحول المصانع من الانتاج الحربى الى الانتاج المدنى كان يستلزم بعض الوقت زد على ذلك ان مشروعات التنمية الاقتصادية واعادة بناء اقتصاديات تلك البلاد كان يتطلب آموالا وفيرة ،ولم تكن بحكم استدانتها فى الحرب بقادرة على انفاق المزيد من الاموال . هذا بالاضافة الى ان انخفاض قيمة العملة و نقص الاحتياطى من الذهب قد آعجز تلك الدول عن شراء حاجياتها من المواد اللازمة لصناعتها من الخارج . وهكذا اضطربت الحياة الاقتصادية فى معظم دول اوروبا ،ولكن بنسب متفاوته بقدر ما آسهمت تلك الدول فى الحرب ،وبقدر ماقدمت من تضحيات . وكانت اكثر الدول استفادة من الحرب الولايات المتحدة واليابان .

وكان من آهم نتائج الحرب تغير العلاقة الاقتصادية بين اوروبا والقارات الاخرى تغييرا ثوريا . ففى عالم

ماقبل الحرب كان كل بد اوروبى متقدم يستورد اكثر ممـــا يصدر ،مؤديا الفرق من فوائد استثماراته الخارجية ومـــن اجور النقل والخدمات الاخرى . أما الآن فكان على البـــلاد الاوروبية ان تجتهد فى تصدير بضائع اكثر مما تستـــــورد لتسديد ديون الحرب ولتستعيد فى فترة ارتفاع الاسعـــار أسواق تجارتها الخارجية ،فتأثرت مستويات حياتها تبعـــا لذلك . وفى عالم ماقبل الحرب ،كان الانتاج الصناعى قـــد تركز فى اوروبا و كان قوام وارداتها من القارات الاخـــرى هو الخامات والاغذية . و كانت البلاد غير الاوروبية تعتمـــد أساسا على صادرات اوروبا فى الحصول على السلع التامـــة الصنع ،كما كانت تعتمد على المستعمرات الاوروبية فـــى الحصول على راس المال وعلى المهاجرين الاوروبيين فـــى الزود بالخبرة الفنية . و لم يحل عام ١٩١٤ الا وكانـــت هذه التبعية العضوية المتداخلة ،المتضمنة تمييز البـــلاد الاوروبية ازاء بقية البلاد قد ضاعت جزئيا بسبب عوامـــل غير منظورة ،لكن التوسع الصناعى السريع للولايات المتحدة واليابان ولبعض دول امريكا الجنوبية لمواجهة مطالب فترة الحرب الشرهة ذهب الى الابد بمركز اوروبا الصناعـــى المتميز . والآن انضمت بلاد ماوراء البحار الى صـــف المصدرين الدوليين أو أصبحت قادرة على سد نسبة عاليـــة من حاجاتها المحلية . وأقيمت علاقات تجارية جديدة لـــم يقم فيها وزن للبلاد الاوروبية ،اذ ازدادت التجارة المباشرة

بين الولايات المتحدة من ناحية وامريكا الجنوبية والشرق الاقصى من ناحية آخرى ،وبين اليابان من جانب وامريكا الجنوبية والهند من جانب آخر . ومع هذا ظلت أحد المراكز الصناعية العظمى فى العالم . ولكنها لم تعد بؤرة الانتاج الصناعى و أتيح لها الى درجة ما خلال العقدين التاليين ان تعيد بناء مركزها العالمى ،ولكنها لم تستطع مطلقا معاودة بلوغ مستويات ١٩١٤ العالمية المتميزة . وكما تحول ميزانالميزان الاقتصادية قبل ١٩١٤ من دولة اوروبية الى دولة اوروبية اخرى تحول هذا الميزان الآن بين القارات ،وعانت كل الدول الاوروبية هبوطا نسبيا فى آهميتها العالمية .

أما بالنسبة للتغييرات السياسية ،فقد تهاوت الأسر الحاكمة القديمة فى انكسار وانهيار،بينما صمدت الدول الغربية الديموقراطية فى ظفر . ففى روسيا والمانيا والمجر وتركيا تغيرت النظم السياسية نتيجة للحرب تغييرات جوهرية ،فقامت فى روسيا حرب اهلية عنيفة بين الحكومة البلشفية والثائرين ضدها من أنصار تروتسكى واستمرت الحرب فترة غير قصيرة تغيرت خلالها النظم . وفى المانيا قامت ثورة الاشتراكيين فى برلين فى ٧ نوفمبر عام ١٩١٨ منادية بالنظام الجمهورى و نجحت فى تشكيل حكومة اشتراكية على رأسها ابرت (Ebert) الذى ووجه بمعارضة شديدة من قبل العناصر البلشفية التى

اطلق عليها اسم سبارتكوس Spartakos وبعد مقاومة عنيفة تمكنت الحكومة من اخمادها . ولكنها لم تكن الثورة الاولى او الاخيرة ،فقامت ثورات متعددة في اجزاء مختلفة من المانيا . وكان اخطرها محاولة الحكومة البافارية الاشتراكية التى تشكلت بصفة مؤقته فى اعلان الاستقلال عن المانيا ،ولكن بفضل جيش الاحرار الذى جندته حكومة ابرت تمكنت من السيطرة على الموقف والقضاء على كل تلك الحركات . و فى المجر قامت ثورة فى ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ أجبرت الامبراطور شارل ملك المجر على التنازل من العرش و تم المناداة بالجمهورية ،وتكونت حكومة مؤقته برئاسة ميشيل كارولبى(Karolyi) الذى حاول القيام باصلاحات اجتماعية معتمدا فى ذلك على تأييد الاشتراكيين . ولكن البؤس والبطالة ونقص التموين فى المدن الكبرى بسبب توقف السكك الحديدية وفقدان الفحم، أدى الى نمو حركة شيوعية برئاسة صحفى اسرائيلى يدعى بيلاكون (Bela Kun ١٨٨٥ - ١٩٣٧) وتمكن بيلاكون بمساعدة الشيوعيين من اسقاط حكومة كارولبى فى مارس عام ١٩١٩ واعلان قيام دكتاتورية الطبقة الكادحة، ولن تستطع حكومة بيلاكون الشيوعية الاستمرار وسقطت بسبب عدم اعتراف الحلفاء بها وقبض على زمام الامور فى المجر الاميرال هورتى (horthy) بعد عودة الوصى على العرش الارشيدوق جوزيف .

وهذه الحروب الاهلية التى سادت قسما كبيرا من اوروبا كان يناقضها الاستقرار السياسى فى الدول الديموقراطية : بريطانيا وفرنسا ،فلقد خرجتا من الحرب وهما محتفظتين بنظمها الدستورية دون ان تتعرضا للهزات العنيفة التى واجهت الدول الاخرى كما سبق الاشارة الى ذلك . حقيقة ان حكومتى بريطانيا وفرنسا قد اضطرتا الى الحصول على سلطات استثنائية شبه دكتاتورية خلال الحرب لمواجهة المشاكل الخاصة بتعبئة الجيوش واعداد التموين العسكرى والمواد الغذائية ولكن كل هذه التطورات التى حدثت اثناء الحرب لم تستمر عندما توطد السلام، فعادت النظم السياسية والادارية فى عام ١٩١٩ الى ما كانت عليه فى عام ١٩١٤ . وهكذا خرج النظام الديمقراطى سليما بعد الحرب ، ولكنه لم يكن آمنا فى حقيقة الامر ،فالمناخ السياسى فى الدول الديمقراطية أعيد كما كان فى عام ١٩١٤ . ففى خلال الحرب اضطرت الحكومات فى العالم الى تدريب شعبها على تطبيق ما يسمى " تدويل الفكر "،بمعنى آخر انها منعت كل تعبير عن الرأى قد يؤدى الى خفض المعنويات القومية والاصرار على الكفاح . وعلى هذا فلم تحترم خلال الحرب حرية الفكر التى هى اساس النظام الحر والنظام الديموقراطى ،وبالتالى أدت الحرب الى انحطاط الفكر الحر.

وفى المجال الفكرى المذهبى ، أسفرت الحرب عن قيام النظام الشيوعى الى جانب النظام الرأسمالى ،وظهر التباين واضحا بين النظامين أو المذهبين وذلك بانعقاد المؤتمر الذى دعا

البلاشفة الى عقده فى عام ١٩١٨ بهدف ايجاد دولية جديدة وهى الدولية الشيوعية ،وعقب ذلك دعا الاشتراكيون "الغربيون" فى برن الى مؤتمر اشتراكى دولى فى عام ١٩١٩، وقد شجب هذا المؤتمر الذى سيطر فيه الاشتراكيون الفرنسيون والانجليز بالاغلبية ،المذهب البلشفى ، وأكد اخلاصه وولاءه للمبادىء الديمقراطية ،وجاء فى بيان برن : " ان النمو الاشتراكي الحقيقي لايمكن ان يكون الا في ظل قانون الديمقراطية . وهكذا حدث الانفصال فى فبراير عام١٩١٩ بين الاشتراكيين الديمقراطيين " من جهة ، والشيوعيين من جهة آخرى .

وهكذا يتضح ان الحرب العالمية الاولى قد أحدثت تغييرات جوهرية فى ميادين متعددة داخل اوروبا وخارجها ،وما كان من الممكن حدوثها بتلك السرعة لولا قيامها . وبالاضافة الى ذلك كانت اهم ظاهرة لعالم ما بعد الحرب هى الاضطراب السياسى الذى أعقب التطبيق العملى لمعاهدات الصلح .

ملحــــــق

بعض نصوص عهد عصبة الأمــــم

الديبـاجـــــة

مراعاة لتنمية التعاون بين الامم وضمان سلامها أمنهـــا وما يفرضه ذلك من قبول بعض التزامات تقضى بعدم الالتجاء الى الحرب ووجوب الارتباط علانية بعلاقات دولية اساسها العدل والشرف ،والسهر على تطبيق أحكام القانون الدولى المعتـــرف بها من الحكومات كقواعد للتعامل بين الدول واجبة الاحترام، وحرصا على سيادة العدالة واحترام كافة الالتزامات الناجمة عن المعاهدات التى تبرمها الشعوب المنظمة فى علاقاتهـــــا المتبادلة .

قبلت الاطراف السامية المتعاقدة هذا الميثاق الـــذى يؤسس عصبة الأمم .

المادة الاولــــــى

(١) أعضاء عصبة الامم الاصليون هم الدول الموقعة على هـــذا الميثاق و المبينة أسماؤها فى الملحق المرفق بهـــذا الميثاق وكذلك الدول التى تنضم للميثاق بلا قيد ولا شرط خلال شهرين من بدء سريانه وتدون أسماؤها فى الملحـــق المذكور بعد تقديم طلب الانضمام الى السكرتارية التى تخطر به الدول الاخرى أعضاء العصبــة .

(٢) كل دولة مستعمرة كانت او من الممتلكات ، تحكم نفسها ولم يدرج اسمها فى ملحق الميثاق ،من حقها ان تصبح عضوا فى العصبة متى وافق ثلثا أعضاء الجمعية على انضمامها بشرط تقديم الضمانات الكفيلة بالافصاح عن نواياها الحميدة نحو مراعاة التزاماتها الدولية وقبولها نظام العصبة الخاص بقواتها وأسلحتها العسكرية والبحرية والجوية ٠

(٣) يحق لكل عضو فى العصبة الانسحاب منها على ان يعلن رغبته هذا قبل انسحابه بسنتين وبشرط ان يكون قد وفى حتى هذا التاريخ بجميع التزاماته الدولية بما فيها الالتزامات الناشئة عن هذا الميثاق ٠

المادة الثانية

تمارس عصبة الأمم ـ بأوضاعها المبينة فى هذا الميثاق ـ أعمالها عن طريق جمعية ومجلس يعاونهما أمانة دائمة ٠

المادة الثالثة

(١) تتكون الجمعية من ممثلى أعضاء عصبة الأمم ٠

(٢) وهى تنعقد فى فترات محددة وفى أى وقت آخر حسبما تستدعى الظروف ويكون انعقادها فى مقر العصبة أو فى مكان آخر يحدد للاجتماع فيه ٠

(٣) تختص الجمعية بالنظر فى كل مسألة تدخل ضمن اختصاص العصبة أو يكون من شأنها التأثير على السلام العالمى.

(٤) لا يحق لأى عضو فى العصبة أن يمثل فى الجمعية بأكثر من ثلاثة مندوبين ولا أن يمنح أكثر من صوت واحد .

المادة الرابعة

(١) يشكل المجلس من ممثلى الدول العظمى المتحالفة وأنصارها من ممثلى أربع دول اخرى من أعضاء العصبة . وللجمعية ان تختار هؤلاء الاعضاء الاربعة بكل حرية كما لها مواعيد هذا الاختيار حسب رغبتها . ولحين اتمام التعيين الاول بواسطة الجمعية يعين ممثلو بلجيكا والبرازيل واسبانيا واليونان أعضاء فى المجلس .

(٢) للمجلس ان يختار أعضاء آخرين من العصبة ليمثلوا أمامه تمثيلا مستديما بعد موافقة أغلبية أعضاء الجمعية كما يحق له ايضا بموافقة نفس الاغلبية ان يزيد من عدد أعضاء العصبة الذين تختارهم الجمعية ليمثلوا فى المجلى .

- مكرر - تحدد الجمعية بأغلبية ثلثى الاصوات القواعد الواجب اتباعها فى انتخاب الاعضاء غير الدائمين فى المجلس وعلى وجه خاص تلك التى تحدد مدة تمثيلهم وشروط اعادة انتخابهم .

(٣) ينعقد المجلس كلما استدعت الظروف ذلك على ان ينعقد مرة على الأقل كل سنة بمقر العصبة أو فى أى مكان آخر يقع عليه الاختيار.

(٤) يختص المجلس بالنظر فى كل مسألة تدخل ضمن اختصاص العصبة أو من شأنها التأثير على السلام العالمى .

(٥) يدعى كل عضو فى العصبة يكون غير ممثل فى المجلس الى بعث مندوب لميثله داخل المجلس كلما أثيرت فيه مسألة تهم هذا العضو بنوع خاص .

(٦) كل عضو من أعضاء العصبة الممثلين فى المجلس يمنح صوتا واحدا ولا يمثله سوى مندوب واحد.

المادة الخامسة

(١) تصدر قرارات الجمعية او المجلس باجتماع اصوات الاعضاء الممثلين فى الاجتماع ما لم ينص صراحة على خلاف ذلك فى ميثاق العصبة ، او فى نصوص المعاهدة الحالية .

(٢) جميع مسائل الاجراءات الواجب اتباعها أثناء اجتماعات الجمعية او المجلس بما فى ذلك تعيين لجان للتحقيق فى موضوعات معينة تقررها الجمعية او المجلس بأغلبية الاعضاء الممثلين فى الاجتماع.

(٣) تعقد الجمعية وكذلك المجلس جلستهما الاولى بناء على دعوة رئيس الولايات المتحدة الامريكية •

المادة السادسة

(١) السكرتارية الدائمة مقرها مبنى العصبة وهى مكونة من السكرتير العام ومن السكرتاريين المساعدين ومن عدد كاف من الموظفين •

(٢) السكرتير العام الاول مبين اسمه فى ملحق هذا الميثاق أما فيما بعد فانه يعين بواسطة المجلس بعد موافقة أغلبية الجمعية •

(٣) السكرتاريون المساعدون وموظفو السكرتارية يعينهم السكرتير العام بعد موافقة المجلس •

(٤) يشغل السكرتير العام للعصبة بحكم وظيفته منصبى سكرتير عام الجمعية وسكرتير عام المجلس •

(٥) يتحمل أعضاء العصبة جميع نفقاتها وبالنسبة التى تقررها الجمعية •

المادة السابعة

(١) تكون مدينة جنيف مقرا للعصبة •

(٢) للمجلس ان يقرر فى أى وقت يشاء اتخاذ مكان آخر ليكون مقرا للعصبة •

(٣) جميع وظائف العصبة والادارات التابعة لها بما في ذلك وظائف السكرتارية مباحة للرجال والنساء على حد سواء .

(٤) ممثلو أعضاء العصبة وموظفوها يتمتعون أثناء قيامهم بمهام منصبهم بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

(٥) المباني والاراضي التي تشغلها العصبة ،سواء بواسطة موظفيها أو لعقد اجتماعات أعضائها لايجوز انتهاك حرمتها .

المادة الرابعة عشرة

يكلف المجلس بوضع مشروع لمحكمة عدل دولية دائمة ويعرض هذا المشروع على الاعضاء . وتختص هذه المحكمة بفحص جميع المنازعات التي يعرضها عليها أطراف النزاع وتكون ذات طابع دولي ،كما أنها تختص أيضا بابداء آراء استشارية في كل نزاع أو موضوع يعرض عليها بواسطة المجلس أو الجمعية .

المادة الثالثة والعشرون

اتباعا ووفقا لنصوص الاتفاقات الدولية القائمة حاليا أو التي ستبرم فيما بعد اتفقت الدول أعضاء العصبة على أن :

أ ـ تسعى لتقرير وضمان بقاء شروط انسانية عادلة لصالح العمال من رجال ونساء وأطفال فوق أراضيها وفي سائر البلاد الاخرى التي ترتبط معها بعلاقات تجارية وصناعية ، كما لها انشاء وتدعيم المنظمات الدولية الكفيلة بتحقيق هذا الغرض .

ب ـ تتعهد بضمان معاملة عادلة للاهلين الاصليين في الاقاليم الخاضعة لادارة دولة العصبة •

جـ ـ تكلف العصبة بفرض رقابة عامة على تنفيذ الاتفاقات الخاصة بتجارة الرقيق من نساء وأطفال وعلى الاتجار بالافيون وباقى المواد السامة •

د ـ تعهد للعصبة بفرض رقابة عامة على الاتجار بالاسلحة والذخائر على البلاد التى يحتم الصالح العام مراقبة هذه التجارة فيها •

هـ ـ تتخذ ما يلزم من اجراءات لتأمين وضمان بقاء حرية المواصلات والترانزيت ومساواة جميع أعضاء العصبة فيما يتعلق بشؤون التجارة مع مراعاة الاحتياجات الخاصة بالاقاليم التى دمرت خلال الحرب بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ •

و ـ تبذل جهدها فى المحيط الدولى لاتخاذ الاحتياطات التى تؤدى الى الوقاية من الامراض والعلاج منها•

المادة الرابعة والعشرون

(١) جميع المكاتبات الدولية السابق تأسيسها بموجب معاهدات جماعية توضع تحت ادارة العصبة بشرط موافقة الدول المشتركة فيها على ذلك كما توضع ايضا تحت ادارة العصبة جميع المكاتب الدولية الاخرى وسائر

اللجان التى تنشأ فيما بعد والتى تستهدف تسوية المسائل المتعلقة بالصالح الدولى •

(٢) تلتزم سكرتارية العصبة - فى جميع المسائل المتعلقة بالصالح الدولى والتى نظمت بواسطة اتفاقات عامة ولكنها غير خاضعة لاشراف مكاتب أو لجان دولية - بجمع ونشر كافة البيانات المطلوبة ، والقيام بأية مساعدة أخرى ضرورية كانت أو مرغوبا فيها متى طلبتها الدول المشتركة فى الاتفاقات وبعد موافقة المجلس •

(٣) للمجلس ان يقرر ادراج نفقات أى مكتب أو لجنة وضعت تحت ادارة العصبة ضمن مصروفات السكرتارية •

المادة الخامسة والعشرون

يتعهد أعضاء العصبة بتشجيع انشاء تنظيمات وطنية مرخص بها للصليب الاحمر وتعضيد التطوع فيها والتعاون فيما بينها لما تهدف اليه من تحسين الصحة والوقاية من الامراض وتخفيف الآلام فى العالم •

المادة السادسة والعشرون

(١) التعديلات التى تدخل على هذا الميثاق يعمل بها بمجرد التصديق عليها من جميع أعضاء العصبة الممثلين فى

المجلس ومن أغلبية الاعضاء الممثلين فى الجمعية .

(٢) لكل عضو فى العصبة مطلق الحق فى عدم قبـــــول التعديلات التى تدخل على الميثاق ، وفى هذه الحالة تنتهى عضويته من العصـــبة .

(اتحدت النرويج مع السويد في ١٨١٤
وانفصل الاتحاد في ١٩٠٥)

فنلندة

استكهولم

موسكو

أدنبرة

بحر الشمال

الدانمرك

بحر البلطيق

الأراضي المنخفضة
(١٨١٥-١٨٣١)

لندن

بلجيكا

باريس

فرنسا

برن

سويسرا

تولوز

مرسيليا

أندورا

كورسيكا

سردينيا

نابولي

البحر الأسود

استانبول

صوفيا

بلغاريا

روميليا الشرقية

مقدونيا

روميليا

ألبانيا

أثينا

آسيا الصغرى

كريت
(دولة متمتعة بالحكم الذاتي
منذ ١٨٩٨)

قبرص
(احتلال بريطاني ١٨٧٨ سنة)

الجزائر

تونس

طرابلس

الإسكندرية

القاهرة

مصر

السويس

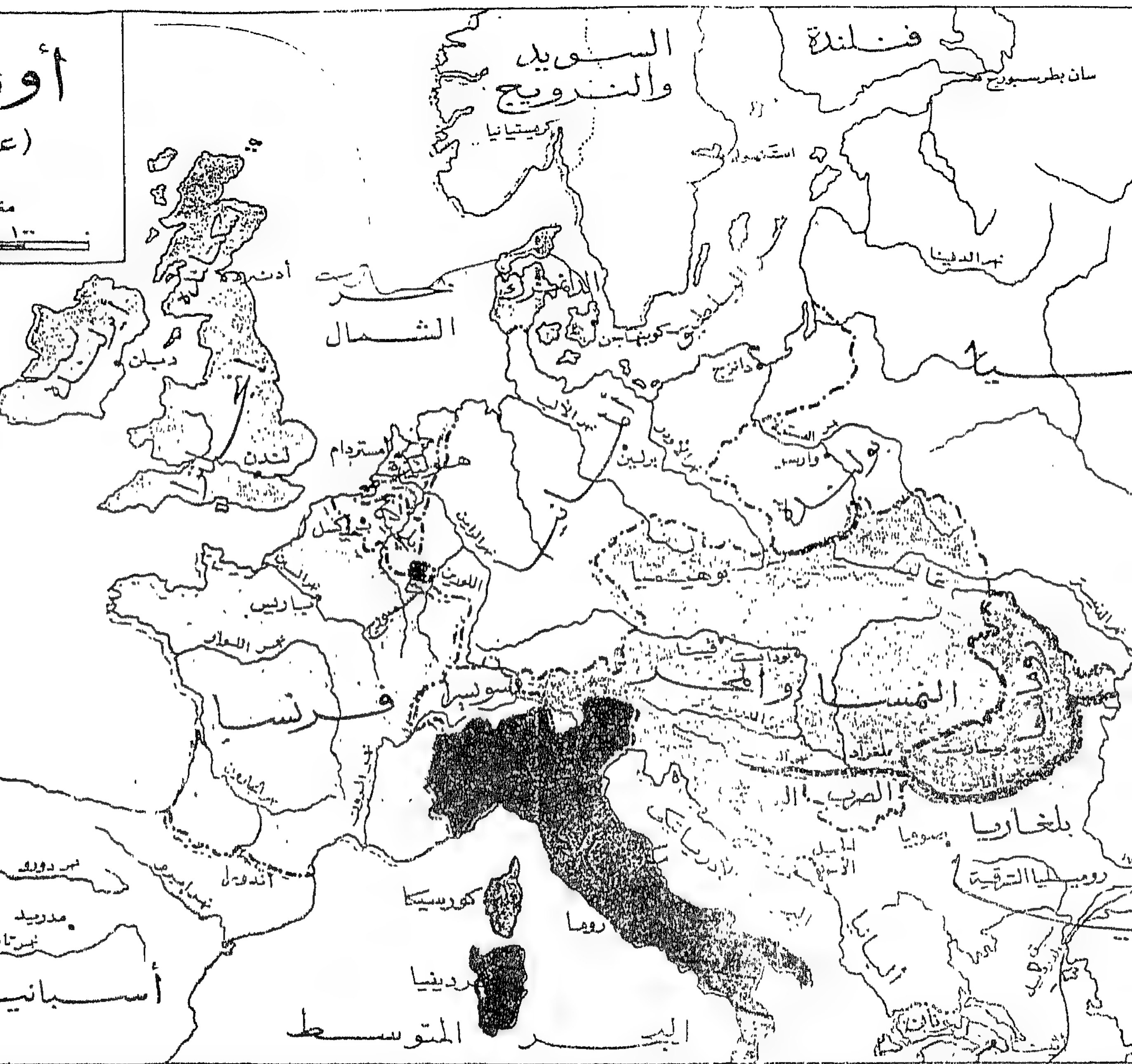
صلح

ية الألمانية

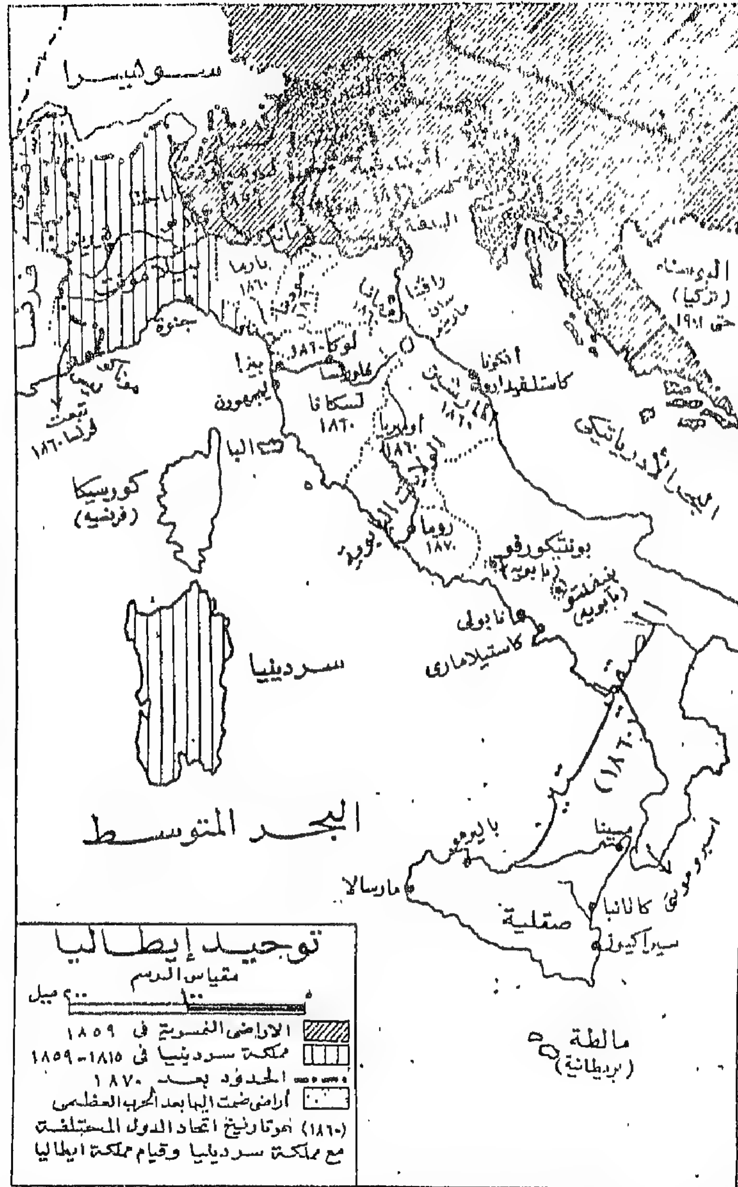
١٨٦٦ سنة

ي تكونت باتحاد
مملكة سردينيا

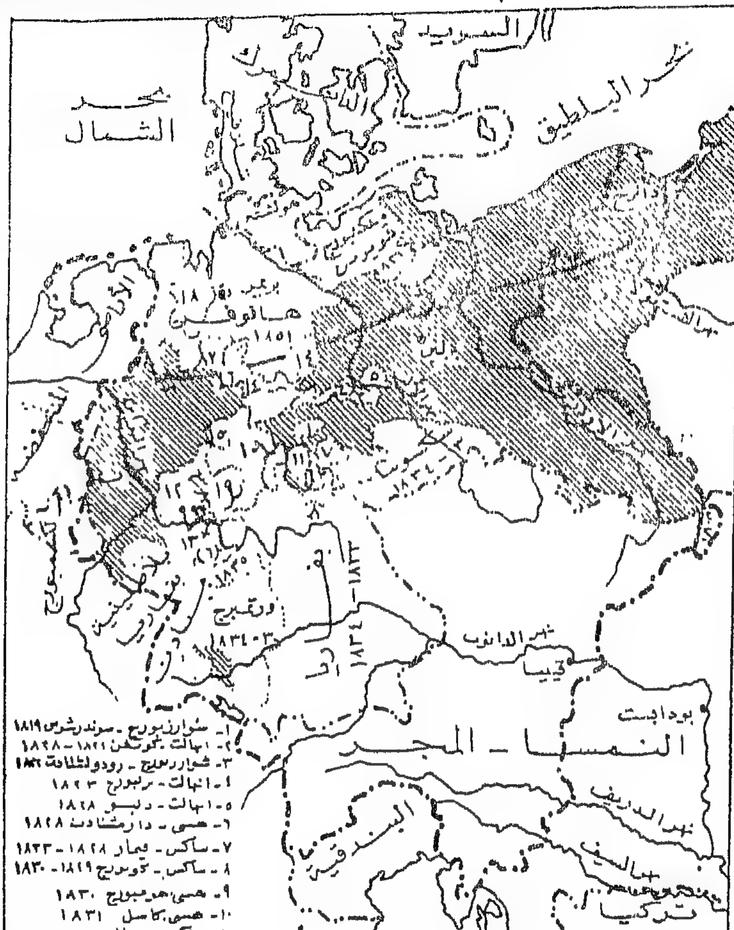
ام الاتحاد



السويد والنرويج
فنلندة
سان بطرسبورج
كرستيانيا
استكهولم
نهر الدفينا
بحر الشمال
أدنبرة
دبلن
لندن
امستردام
كوبنهاجن
برلين
وارسو
بوهيميا
باريس
فرنسا
نهر اللوار
سويسرا
فينا
النمسا
بلغراد
بلغاريا
صوفيا
روميليا الشرقية
مدريد
أسبانيا
كورسيكا
روما
سردينيا
البحر المتوسط



سويسرا
بارما
١٨٦٠
رافنا
جنوة
لوكا ١٨٦٠
أنكونا
كاستلفيدارو
بيزا
ليفورنو
توسكانا
١٨٦٠
أومبريا
١٨٦٠
فرنسا ١٨٦٠
كورسيكا
(فرنسيه)
روما
١٨٧٠
البوسنة
(تركيا)
حتى ١٩٠٨
البحر الأدرياتيكي
بونتيكورفو
نابولي
كاستيلاماري
سردينيا
البحر المتوسط
باليرمو
مسينا
مارسالا
صقلية
كاتانيا
سيراكيوزة
مالطة
(بريطانية)
توحيد إيطاليا
مقياس الرسم
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ميل
الاراضى النمسوية فى ١٨٥٩
مملكة سردينيا فى ١٨١٥-١٨٥٩
الحدود بعد ١٨٧٠
أراضى ضمت إليها بعد الحرب العظمى
(١٨٦٠) هو تاريخ اتحاد الدول المختلفة
مع مملكة سردينيا وقيام مملكة ايطاليا
الشروق



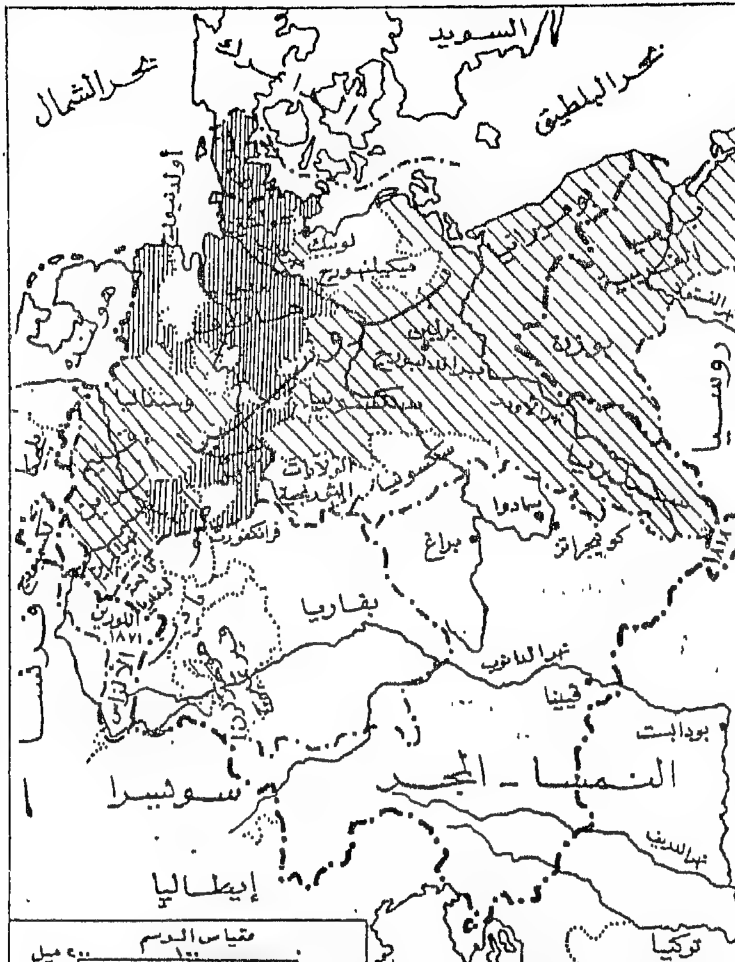
١- شوارزبورج - سوندرشوس ١٨١٩
٢- انهالت - كوتهن ١٨٢١ - ١٨٢٨
٣- شوارزبورج - رودولشتادت ١٨٢٢
٤- انهالت - برنبورج ١٨٢٣
٥- انهالت - دسو ١٨٢٨
٦- هسى - دارمشتادت ١٨٢٨
٧- ساكس - فيمار ١٨٢٨ - ١٨٣٣
٨- ساكس - كوبورج ١٨١٩ - ١٨٣٠
٩- هسى هومبورج ١٨٣٠
١٠- هسى كاسل ١٨٣١
١١- ساكس - جوتا ١٨٣٣
١٢- هسى - ناسو ١٨٣٥
١٣- فرانكفورت ١٨٣٦
١٤- برنزويك ١٨٤١ - ١٨٤٤
١٥- فالدبك ١٨٤١
١٦- ليبى - ديتمولت ١٨٤١
١٧- هومبورج - ليبى ١٨٥١
١٨- أولدنبورج ١٨٥٢
١٩- هسى ١٨٦٧
أ- جزء من لوكسمبورج انسحب من الاتحاد ١٨٣٩
هـ- جزء من ليمبورج أدخل فى الاتحاد أيضا ١٨٣٩

الاتحاد الألمانى
(١٨١٥ - ١٨٦٦)

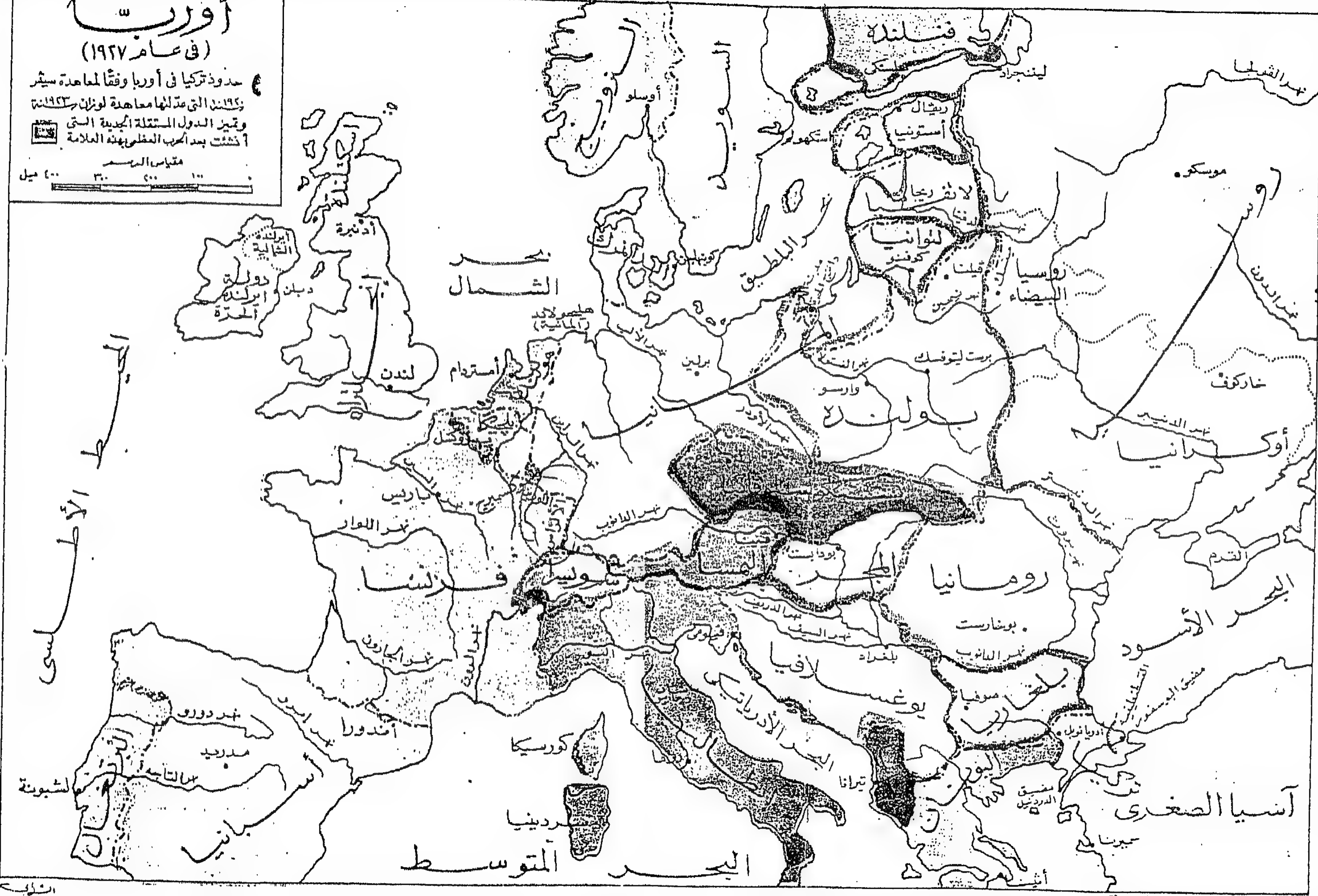
توضح الخريطة تشكيل الزولفرين البروسى - والتواريخ تشير إلى دخول كل دولة فى الزولفرين البروسى

حدود الاتحاد الألمانى من ١٨١٥ - ١٨٦٦
الأراضى البروسية فى ١٨١٥
حدود الأراضى النمساوية فى ١٨٦٦

الشوف



تشكيل ألمانيا الحديثة ١٨١٥-١٨٧١


أوربا
(فى عام ١٩٢٧)
حدود تركيا فى أوربا وفقاً لمعاهدة سيفر سنة ١٩٢٠ التى عدلتها معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣
وتميز الدول المستقلة الجديدة التى أنشئت بعد الحرب العظمى بهذه العلامة
مقياس الرسم
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ميل
فنلندة
لينجراد
استونيا
ريفال
استكهولم
لاتفيا
لتوانيا
كوفنو
روسيا البيضاء
موسكو
روسيا
نهر الفلجا
نهر الدون
خاركوف
أوكرانيا
نهر الدنيبر
بولندة
وارسو
برست ليتوفسك
برلين
بحر البلطيق
السويد
أوسلو
بحر الشمال
أدنبرة
دبلن
ايرلندة الشمالية
لندن
أمستردام
باريس
نهر اللوار
فرنسا
سويسرا
نهر الدانوب
بودابست
رومانيا
بوخارست
بلغراد
صوفيا
يوغسلافيا
البحر الأدرياتيكى
تيرانا
أدرنة
آسيا الصغرى
البحر الأسود
القرم
أثينا
كورسيكا
سردينيا
البحر المتوسط
أندورا
مدريد
نهر دورو
لشبونة
أسبانيا
المحيط الأطلسى

المحتـــــوى

الصفحـــــة

الصفحة